الحروب الإعلامية

على الإسلام والمسلمين

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

الناشر : دار زهور المعرفة والبركة

٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء الجيزة

٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ - ٠١٢٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

أحمد عبد الرحمن موسى

الحروب الإعلامية

على الإسلام والمسلمين

من أحداث سبتمبر .. حتى ثورات الربيع العربي

- الأصول الفكرية والجذور التاريخية لحملات الكراهية .
- الأفلام المسيئة منذ بداية السينما العالمية .
- مفهوم الأصولية .. وحرب المصطلحات الإعلامية .
- أساليب ووسائل تشويه صورة الأمة الإسلامية .
- دور المستشرقين الجدد .. والأصابع الخفية للصهيونية .
- الإسلام فوبيا .. تأصيل علمي ، ورؤية موضوعية .

دار زهور المعرفة والبركة

٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء الجيزة

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

إعداد إدارة الشئون الفنية

موسى ، أحمد عبد الرحمن

الحروب الإعلامية على الإسلام والمسلمين ... ، أحمد عبد الرحمن موسى .-

الجيزة : دار زهور المعرفة والبركة ، ٢٠١٣

ص ٢٠٧، ٢٤×١٧ سم

تدمك . ١٥ ٥١٧٢ ٧٧٩ ٨٧٩

١-الإسلام والسياسة

٢- وسائل الإعلام

أ- العنوان

٢١٤،٣٢

رقيم الإيداع : ٢٠١٣/١/١٣٢٦٧٠

إهـــــداء

إلى شهداء ثورة ٢٥ يناير ..

إلى شهداء ثورات الربيع العربي ..

إلى روح أبي العظيم ..

إلى أمي الحنون ..

إلى زوجتي المخلصة ..

إلى ابنتي الحبيبة " منة الله " ..

إلى ابني الجميل " حمزة " ..

إلى أهلي وأحبابي ..

إلى كل مسلم غيور على دينه .

أهدي هذا الكتاب

أحمد عبد الرحمن موسى

المقدمة

يبدأ دور الإعلام الغربي في صناعة "العدو" والترويج "للخطر الأخضر" أي الخطر الإسلامي ، حيث اللون الأخضر يرمز للراية الإسلامية ، من خلال إدراك القائم بالاتصال - الصحفي أو الإعلامي ــ للدول والثقافات والهيئات الأخرى بأنها " الآخر" أو المختلف ، ومن هنا يتأثر الصحفي أو الإعلامي بالأفكار والاتجاهات السائدة واهتمامات العامة - وهو جزء مهم- كما لا يمكن فصل الإعلاميين عن المؤثرات السياسية والاقتصادية في المجتمع ، وهذا الربط يفسر لنا الكيفية التي يتم بها إدراك وفهم الإسلام في أوروبا .. ونتيجة للتأثير المتبادل بين وسائل الإعلام والسياسة ، نجد أن الخطر الأخطر أي "الإسلام" يصنع أخباراً حية ومشوقة في نشرات التليفزيون ووسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة ، يمكن الاستفادة بها في دعم السياسات الخارجية المقررة من قبل الدول الغربية. وتعبر المشاعر المعادية للإسلام والمسلمين عن نفسها في الإعلام الغربي بنبرة تتراوح بين الارتياب المضمر والكراهية العنصرية الصريحة ، ويتجلى ذلك مثلاً في الاتهام المبطن بأن الإسلام يسعى للسيطرة علي العالم ، مثل هذه التصميمات تمثل الأركان الأساسية للصور النمطية واختزال الآخر في صور سلبية واستخدام الشائعات والاتهامات الملفقة، واتهام المسلمين بـــ"التقية" وتشويه دينهم باعتبارة إيديولوجية شمولية وبالتالي نزع سمة الدين عن الإسلام ، كل هذه الأحكام العامة قد تؤدي إلي صور خطيرة متوهمة عن الإسلام والمسلمين .

وقد ساهم الدور المتناقض لوسائل الإعلام الغربية في جعل معاداة الإسلام موضوعا منتشراً للغاية ، فالتقارير الصحفية ليست صالحة دائماً لنشر توعية موضوعية بخطورة العداء للإسلام والتجنب للصور النمطية.

وقد قامت وسائل الإعلام الغربية ــ والأوروبية بصفة خاصة - باستخدام المسيحية " كعنصر من عناصر الدفاع الثقافي" في مواجهة الإسلام.. كما جاء في نتائج الدراسة التي أجراها كارل جابرييل كبير أساتذة قسم "الدين والسياسة" في جامعة مونستر الألمانية عام ٢٠١١ تحت عنوان "الدين لدى صناع الرأي العام" والتي تناولت موقف النخبة الإعلامية بالنسبة لموضوع الدين ، ويري الباحث أن زيادة المؤثرات الثقافية المسيحية في وسائل الإعلام الرائدة في ألمانيا ــ كنموذج للمجتمع الأوروبي ــ يعد مصدراً من مصادر الصراع مع الإسلام ، فالدين أصبح دعامة تستند عليها الهوية التي تتعرض للنقد والهجوم ، في عصر تغذي فيه العولمة مشاعر الخوف من فقدان الذات ، مثلما فعلت جماعة من أجل الحركة عندما خاضت الانتخابات عام ٢٠١٢م في ولاية شمال الراين وستفاليا تحت شعار " الغرب في يد مسيحية ".

إن العداء للإسلام والمسلمين قديم قدم نشأة الإعلام الغربي في العصور الوسطي بوسائله البدائية وقد بلغ العداء ذروته مع أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ، وهو ترصده هذه الدراسة ، حيث تقارن بين موقف الإعلام الغربي قبل وبعد الأحداث ، وكيف أصبحت صورة الإسلام والمسلمين بعدها ، وهل استطاعت ثورات الربيع العربي أن تغير من تلك الصور السلبية عن الإسلام في إعلام العالم الغربي ، كما صرح بذلك بعض الزعماء والسياسيين الغربيين في أعقاب اندلاع الثورات العربية .

القاهرة

يونيو ٢٠١٢

الفصل الأول
الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين في الإعلام الأوروبي

يعد تحديد مفهوم الصورة الذهبية مقدمة ضرورية لفهم الصورة الذهبية للإسلام والمسلمين في أوروبا ، وهذا ما سيتم تناوله في المبحث الأول تمهيداً لمعرفة مكونات هذه الصورة في المبحث الثاني ، ثم دراسة وسائل تكريس هذه الصورة في المبحث الثالث وذلك علي النحو التالي.

المبحث الأول
مفهوم الصورة الذهبية

أولاً : تعريف الصورة الذهبية :

عرف قاموس " ويبستر " في طبعته الثانية الصورة الذهبية بأنها : " التقديم العقلي لأى شيء لا يمكن تقديمه للحوار بشكل مباشر أو هي محاكاة لتجربة حسية ارتبطت بعواطف معينة واسترجاع لما اختزنته الذاكرة أو تمثل تخيل ما أدركته الحواس الخمس .

وفي طبعته الثالثة ذكر قاموس ويبستر تعريفاً آخر للمصطلح هو : " مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو نظام ما أو طبقة معينة أو جنس بعينه أو فلسفة سياسية. وقد قدم كينيث بولدينج تعريفاً للصورة الذهنية من خلال تعريفه لصورة المرشح في الانتخابات

علي أنها : " مجموعة الانطباعات الذاتية التي تتكون في أذهان الناخبين عن القيم السياسية للمرشح أو شخصية أو قدراته القيادية ، وتتكون هذه الانطباعات من خلال ما ثبته وسائل الإعلام وبناءً علي خبرات الإنسان السابقة منذ لحظة الميلاد وربما قبل ذلك " (١)

ثانيا : الفرق بين الصورة الذهنية والصورة النمطية :

يرى "روبيسون" و "باولو" أن كلمة Image أي الصورة الذهنية تتشابه إلي حد كبير مع كلمة Stereotype أي الصورة النمطية ، وأنهما يرتبطان بالتحيز Prejudice ، وتلك الكلمة تعني في أصلها اللاتيني "الحكم المسبق" أو التسرع في الحكم قبل توافر الأدلة .. ولكن الصورة الذهنية تختلف في أن كل تجربه جديدة أو رسالة جديدة تجد مكانها المخصص لها بحيث تدعم التجارب السابقة وتؤيد التصور الذي كوناه عن العالم.

وكل تجربه جديدة يتم استقبالها وتفسيرها بطريقه من أربع طرق :

١- أما تدعم التصور الحالي.

٢- أو تضيف إلي التصور الحالي الموجود معلومات جديدة .

٣- أو تحدث مراجعات طفيفة علي هذا التصور .

٤- أو ينتج عنها إعادة بناء كامل للتصور .

بناءً علي ما سبق يتضح أن الصورة الذهنية متغيرة وتتأثر بالتجارب والرسائل التي تصل إلي الإنسان عن طريق الإدراك بالحواس ، بينما الصورة النمطية تعد قوالب جامدة أو أكلاشيهات محددة وغير قابلة للتعديل إلا في ضيق الحدود.. كما أن الصورة الذهنية تتكون وتتشكل من خلال عدة عوامل مختلفة وهي قابلة للتعديل باستمرار ، وترتبط بالسلوك الإنساني ، فأي تغيير في الصورة يستتبع تغيرا في السلوك . (٢)

ثالثاً : طبيعة الصورة الذهنية

يرى جفكينز أن مفهوم الصورة الذهنية "يرتبط بالانطباع الصحيح" ، والحقيقة أن الانطباع يكون صحيحاً إذا كونته معلومات صحيحة ودقيقة ، ويمكن أن يكون غير صحيح إذا كونته معلومات مضللة أو مغرضة ، كما أن العواطف والتأثيرات النفسية تضيف بعداً آخر في تحديد معا لم الصورة ، حيث تعمل علي تشويه المعلومات التي تلقاها الفرد وإدراكها علي نحو لا يتفق مع الحقيقة وذلك بتأثير الاستعدادات السابقة للأفراد والاتجاهات ذات الصلة بما يتم إدراكه.

أنواع الصورة الذهنية :

للصورة الذهنية عدة أنواع هي :

١- الصورة المرآة .. وهي الصورة التي ترى جهة ما نفسها من خلالها .

٢- الصورة الحالية . وهي الصورة التي يرى بها الآخرون هذه الجهة .

٣- الصورة المرغوبة .. وهي التي تود هذه الجهة أن تكوِّنها لنفسها في أذهان الجماهير .

٤- الصورة المثلي أو المتوقعة .. وهي أمثل صورة يمكن أن تتحقق .

٥- الصورة المتعددة .. وتحدث عندما يتعرض الأفراد للعديد من الممثلين عن الجهة التي تريد رسم صورة لها عند هؤلاء الأفراد ، فيعطي كل منهم انطباعاً مختلفاً عن هذه الجهة ، وبعد فترة تتحول هذه الانطباعات إما إلي صورة إيجابية أو صورة سلبية ، أو صورة موحدة تظلها العناصر الإيجابية والسلبية تبعا لشدة تأثير كل منها علي هؤلاء الأفراد .

من المفترض أن الناس لديهم صور صحيحة عن أشياء كثيرة "كالولايات المتحدة" ولكنهم إذا ما تلقوا معلومات كثيرة عنها وبالتالي تكونت صورة معينة

في أذهانهم يصعب تغييرها تغييراً حاسماً في الظروف العادية .. فصورة العربي والمسلم عند الشعب الأوروبي تكونت نتيجة للدور الذي مارسته وسائل الاتصال الجماهيرية لفترة طويلة ، ومن خلال الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية والإسلامية ونقلتها هذه الوسائل .. هذه الصورة يصعب تغييرها بين يوم وليلة . (٣)

رابعاً : دور وسائل الإعلام في تكوين الصور الذهنية

إن توجيه وسائل الإعلام للمعلومات هي إحدى أهم الطرق المؤثرة على تكوين الصور لدى أمة عن أمة أخرى ، فهذا التأثير مهم لنا ، عندما نعلم أنه تُكتب كل يوم في العالم أكثر من مليون كلمة إعلامية " لا يتسلم منها القارئ أكثر من نصف في المائة " ، وأما ما تبقي من هذا البحر من المعلومات الإخبارية فيخضع " لتغيير ضخم " .. ويقول كارل "دوتيش وريتشارد ميرت" في دراستهما عن تأثير الأحداث علي الصور الوطنية والعالمية .. أن القائمين "علي المعلومات العامة هم الذين يجرون هذا التغيير ، وهؤلاء هم النخب الحاكمة في وسائل الإعلام ، والذين نسميهم "قادة الرأي" فهؤلاء هم الذين يختارون من بحر المعلومات الواردة ما يناسب اهتماماتهم ويخفون مالا يريدون توزيعه ونشره . (٤)

إن عملية اختيار المعلومات المتناثرة من بحر المعلومات لتكوين الصور هي عملية مهمة لسببين :

الأول : أن هذه المعلومات المتناثرة يختارها القائمون علي الصحف حسب أهوائهم السياسية ، الأمر الذي يزيد الصور المشوهة تشويها ..

الثاني: أن الصحف تدَّعي أنها تلعب دوراً تثقيفيّاً بين جمهور المواطنين الذين يعتمد معظمهم علي الصحف في تأدية هذا الدور .. خاصة في القضايا الخارجية التي لا يملك القارئ التدقيق في أخبارها عكس القضايا الداخلية ،

ومن هنا فإن إمكانية التشويه من خلال تلاعب المراسل بالأخبار في الموضوعات الدولية تكون أكبر وأكثر تأثيرا في نفس الوقت . (٥)

المبحث الثاني
صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي

أولاً: الموضوعات التي أثارها الإعلام الغربي منذ بداية الثمانينات:

١ـ المسلمون عدوانيون :

يحاول الإعلام الأوروبي ترسيخ الصورة التاريخية في أذهان الشعب الأوروبي ، من خلال التأكيد علي المشاهد الدموية ومظاهر العنف والاختطاف والحروب في تطرقه لشئون المسلمين ، خاصة ما يجري في الشرق الأوسط والعالم العربي .. فتري المشاهد التليفزيونية تعرض "يوميًا" أمام الرأي العام صورا لمسلمين متعصبين ينادون بشعارات الموت ضد أعدائهم ، ويحملون بنادق وسكاكين وكأنهم متعطشون للدماء ، كما يعرض للمشاهد مسلمين غاضبين يتظاهرون في الشوارع يطالبون بقتل مؤلف أو صحفي أو سياسي..

وهذه الصور اليومية توحي للمشاهد البسيط بحالة الارتباط بين الإسلام والعنف والإرهاب ، وتجعله يعتقد بأن جميع المسلمين أصوليون وأن كلمة "أصولي" تعني "عدواني" و"متعصب" . (٦)

٢ـ المسلمون يحتلون أوروبا :

نظراً لتزايد أعداد المسلمين في أوروبا خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ، فقد روَّج الإعلام الأوروبي لمقولة " إن معدل الإنجاب لدى المسلمين مرتفع وأنهم بهذه الوسيلة سيحتلون أوروبا مستقبلاً " .

ونجد الإعلام في بريطانيا يعرض لقضايا المسلمين مطالباً إياهم بالعودة إلي بلادهم التي أتوا منها ومغادرة بريطانيا .. كما يطلق عليهم أحياناً لفظ

"الآسيويين" نسبة إلي القارة الآسيوية حيث توجد في بريطانيا أكبر جالية إسلامية من آسيا .[٧]

٣ـ اضطهاد المرأة :

يتخذ الإعلام الأوروبي موضوع المرأة مناسبة للطعن في الشريعة الإسلامية وأحكامها ، وذلك بسبب الخلط بين التقاليد الإسلامية من جهة وبين العادات والتقاليد المختلفة للشعوب الإسلامية والسلوك الشخصي لبعض المسلمين .. ولا يمر أسبوع دون أن يتطرق الإعلام الأوروبي في مقال صحفي أو برنامج أو ندوه تلفزيونية لوضعية المرأة المسلمة ، فيجري تصويرها على أنها تعاني من الأحكام الإسلامية التي تضطهدها وتقهرها .

أما الحجاب فيحتلّ اهتماماً كبيراً من حين لآخر في الإعلام الأوروبي وذلك كرد فعل لحادث طرد تلميذات في فرنسا ـ منتصف التسعينات ـ لأنهن يرتدين الحجاب ، أو لرفض مدير إحدى المدارس في هولندا دخول طالبة مرتدية الحجاب ، فيجري استضافة خبراء ومتخصصين في علم الاجتماع وعلم النفس والأديان وضيوف من المسلمين والمحجبات لمناقشتهم في ذلك الموضوع.. كما رسم الإعلام صورة للمسلم علي أنه رجل مزواج يبحث عن المتع والغريزة ، رغم أن القرآن اشترط العدل بين الزوجات وجعل التعدد علاجاً لبعض المشاكل مثل العنوسة .[٨]

٤ـ العنف تجاه الأطفال :

عمل الإعلام الأوروبي علي تسويق فكرة أن المسلمين ذَوُوا تفكير وسلوك عنيف حتي مع أطفالهم ، من خلال العرض لقضايا تربية الأطفال والمشاكل السلوكية والنفسية التي يعانون منها، خاصة أن الأطفال المسلمين في أوروبا يكونون عرضة لتجاذب ثقافتين مختلفتين ، هما الثقافة الأوروبية : في الشارع، والمدرسة ،والتلفزيون ، والثقافة الإسلامية : داخل المنزل .. وقد استغل

الإعلام الأوروبي سلوك بعض الآباء المسلمين تجاه أبنائهم .. مثل استعمال الضرب أو العقاب أو إجبار الفتاة علي الزواج من شخص لا تريده مما يضطر هؤلاء الأبناء لمغادرة المنزل واللجوء إلي مراكز خاصة باستقبال مثل هذه الحالات ، والتي تكون حقل تجارب للبحوث الاجتماعية والنفسية إلي جانب استضافتهم في برامج تليفزيونية وإذاعية للحديث عن تجاربهم مع ذويهم ، حيث يكون مقدم البرنامج متعاطفاً مع الفتاة التي تهرب من البيت ، ويصور أسباب الهروب علي أنها ترجع إلى الكبت والقهر والإجبار ويجري التنديد بمواقف الآباء المتعصبين.

٥- تشويه صورة المهاجرين المسلمين في أوروبا:

تطرق الإعلام الأوروبي لقضايا "المهاجرين" بشكل مسيء لا ينسجم مع أبسط الحقوق الإنسانية ، فيشار إليهم بصورة واحدة وهي التخلف الحضاري والثقافي واتهامهم بارتكاب جرائم السرقة والاغتصاب والاعتداء المسلح .. وهذه الاتهامات يتعرض لها "المهاجرون المسلمون" بصفة خاصة ، لأن غالبية المهاجرين الذين يتدفقون سنويا علي أوروبا هم من الدول العربية والإسلامية وفي حالة التعرض لأخبار الجرائم والاتهامات في الإعلام الأوروبي ، تُظهر المشاهد التلفزيونية ملامح المتهم بكل وضوح إذا كان أجنبياً ، أما إذا كان أوروبياً فيكتفي بالخلفية أو يتم التشويش علي ملامح وجهه ...

كما يُتهم أولاد الأجانب بأنهم أعضاء في شبكات توزيع المخدرات والإجرام.. وقد حملت إحدى الصحف الشعبية واسعة الانتشار في بريطانيا الأجانب مسئولية انتشار مرض "الحمي القلاعية" ،الذي تسبب في خسائر اقتصادية هائلة هناك .[١٠]

٦ـ إساءة معاملة الحيوانات :

تحاول وسائل الإعلام في أوروبا الترويج لدعوات منظمات حماية الحيوانات والأحزاب العنصرية التي تعمل علي زرع بذور الكراهية للمسلمين ، من خلال موضوع ذبح الحيوانات ، حيث يتابع الإعلام الأوروبي المسلمين في عيد الأضحى وبعض المواسم الإسلامية ، ويذهب المصورون لالتقاط الأفلام والصور في المجازر الإسلامية لتعرض علي المشاهد خاصة في "فرنسا" مناظر الدم وقطع رءوس الماشية والأغنام .. كما تعرض وسائل الإعلام صوراً مؤلمة عن حيوانات تعاني الآلام أثناء النقل والشحن وتعرضها للجوع والعطش ، فالمسلمون متهمون بإساءة معاملة الحيوانات بسبب قيامهم بذبح الأغنام والماشية في المواسم الإسلامية وعيد الأضحى .

٧ـ تصوير الإسلام بوصفه " ديناً عربيّاً " :

ينظر المواطن الأوروبي خاصة في الدول المطلة علي البحر المتوسط إلي الإسلام بوصفه "ديناً عربياً على الرغم من أن العرب يعدون أقلية بالنسبة لمجموع سكان العالم الإسلامي .. وبناءً علي ذلك فإن جميع التحيزات الموجهة للعرب – وهي كثيرة – مُوجَّهة الي الإسلام والمسلمين، ولكي يتعرف القارئ الكريم علي هذا التحيز وكيف تتم صياغته ، فينبغي أن يشاهد أفلام هوليوود التي تتناول العرب ، وهو ما سوف نعرض له لاحقاً بالتفصيل . (١١)

٨– **نمط 5B**: والمقصود بها أن الصورة النمطية للعرب والمسلم في الإعلام الغربي تحمل "خمس صفات" تبدأ كل وحدة منها بحرف B كالأتي:

– بدوى Bedouin ، أي الإنسان "الهمجي" والبربري" الذي يحمل الخنجر في فمه وهو شخص لا يوثق به لا حرفه له إلا الغزو والسطو .

– الراقصة الشرقية Belly dancer : والمقصود بها ثقافة هز الوسط ، أي الابتزاز ، وهو نمط ثقافي قائم علي الغرائز الجنسية البحتة والإغراء .

– رجل البازار Bazar man.. أي صورة المسلم الذي يعتمد على عمليات المساواة والاستغلال– كما يفعل بائعي البازار في خان الخليلي والحسين .

– إلي جانب صورة العربي المسلم Billionaire الثري الذي يمارس القمار ويشرب الخمر.. وBomber أي المسلم قاذف القنابل الاستشهادي (انتحاري) في نظرهم. (١٢)

٩ـ العنصرية ضد المسلمين :

احتلت الأحداث العنصرية ضد المسلمين ــ مثل الاعتداء علي بعض المسلمين والمراكز الإسلامية والمساجد ــ في أوروبا والغرب بصفة عامة اهتماماً كبيراً من جانب الإعلام الغربي ، خاصاً في البلدان التي تشهد نمو تيار قومي متطرف ينادي بطرد المهاجرين الأجانب– مثل ألمانيا وفرنسا – وغالباً ما كان يجري التنديد بهذه الاعتداءات ، لعدة أسباب منها طبيعة المجتمع الأوروبي الذي يرفع شعارات الحرية والمساواة ، التي جانب مخاوف الأقليات اليهودية من تنامي الشعور العنصري والذي يرافقه تنامي تيار نازي جديد ، كما في ألمانيا ، وإن كانت هذه التيارات أصبحت تصب جام غضبها علي المسلمين بدلاً من اليهود كم كان في الماضي . (١٣)

١٠ـ التحيز في تغطية الصراع الإسرائيلي :

أبدى الإعلام الغربي في تلك الفترة تحيزاً واضحاً فيما يتعلق بالأحداث في الأراضي العربية المحتلة، إذ كانت التغطية الإعلامية لهذه القضية تتصف بحساسية شديدة ، خاصة فيما يتعلق بأخبار المقاومة الإسلامية ضد إسرائيل ، فعندما تقوم المقاومة بأي عمل فدائيٍ ضد الجانب الصهيونيٍ ، تتباري الصحف والإذاعات والمحطات التلفزيونية الغربية – التي لها مراسل دائم في تل أبيب – في تخصيص مساحات وأوقات كبيرة لا تتناسب مع الحدث نفسه فيما لو كان الضحايا من الفلسطينيين ، كما صورت أعمال المقاومة علي أنها إرهاب

وتطرف وأعمال تخريبية بينما المذابح والقتل والدمار الذي يقوم الجانب اليهودي هو "دفاع عن النفس" في مواجهة الإرهاب والتطرف !!

المبحث الثالث
رسم الصورة السلبية للإسلام والمسلمين

تتعرض السطور القادمة للوسائل والأدوات التي استخدمها الغرب ، لتقديم الإسلام والمسلمين بصورة غير محبذة في الغالب ، وكيف لعب الاتصال الجماهيري بشتى مواقعه وأشكاله الدور الرئيس في رسم صورة للإسلام والمسلمين تتطابق مع الصورة الغربية التي تكونت منذ القرون الوسطي ، علي اساس أن العرب والمسلمين (يؤمنون بالخرافات جداً ، كسالى ، خانعون للسلطة شهوانيون..)

ويمكن رصد وسائل تكريس الصورة الذهنية المشوهة عن الإسلام والمسلمين كالتالي .

أولاً الصحافة :

بدأت الصحف الأوروبية بعد سقوط الشيوعية ، بداية التسعينات في التأثير علي الرأي العام الأوروبي وإقناعه بأن الإسلام هو العدو الجديد والخطر القادم من الشرق.. وعلي سبيل المثال فقد نشرت صنداي تليجراف البريطانية في ١٢ يناير عام ١٩٩١ مقالاً لبيرجرين دور تون بعنوان (الوجه القبيح للإسلام) جاء فيه "إن الإسلام الذي كان حضارة عظيمة تستحق الحوار معها ، قد أصبح عدواً بدائيًا لا يستحق إلا الإخضاع"..

في حين حذرت بعض الصحف من خطر وصول الإسلاميين إلى السلطة في العالم الإسلامي ،حتي ولو كان عبر الطرق الديمقراطية، فقد نشرت صحيفة فاينشال تايمز البريطانية في ١٣يونيو عام ١٩٩٠ مقالاً جاء فيه "يجب علي

الولايات المتحدة ألا تشجع الاتجاهات الديمقراطية في العالم الإسلامي ، لأنها بذلك تدفع دون أن تدري بالأصوليين إلى تسلم زمام السلطة هناك".

وقد استمرت الحملات الإعلامية المعادية للإسلام والمسلمين في الصحف الأوروبية علي نفس النمط من المعالجة الإعلامية المغلوطة والتشويه المتعمد للصورة الذهنية ، مستخدمة كافة الأساليب والوسائل الفنية لتثبيت هذه الصورة (سيأتي الحديث عنها بالتفصيل).. وقد أخذت الصحف تعمل علي تحليل الواقع الإسلامي وتقدم للقارئ الحجج والبراهين و من أجل أن يستقر في ذهنه أن الإسلام هو دين الكراهية والتعصب والعنف.

ومن بين هذه المعالجات نذكر تحليل مجلة "لوموند دبلوماتيك" الفرنسية في عددها الصادر في شهر ديسمبر ١٩٩٤.. حيث عددت للقارئ عوامل وأسباب تحول الإسلام إلي خطر كبير في القرن الواحد والعشرين ، خاصة في حالة تملك العالم الإسلامي للأسلحة النووية والبيولوجية . (١٤)

في منتصف التسعينات بدأت الصحف الأوروبية تعزف علي وتر القضايا الإنسانية والاجتماعية وتصوير المجتمعات الإسلامية بأنها لا تعرف حقوق الإنسان أو الحريات العامة والخاصة، وكنموذج لهذه القضايا فقد أبرزت الصحف البريطانية في عام ١٩٩٥م قضية الخادمة الفلبينية التي حكم عليها بالإعدام في الإمارات لقيامها بقتل مخدومها .. وكانت صحيفة "أوبزرفر" البريطانية هي أكثر الصحف اهتماما بهذه القضية ، حيث نشرت صورة كبيرة في صدر الصفحة الأولي في عدد يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٩٥م جاء تحتها- للتأثير علي نفسية القارئ - أن صاحبة هذه الصورة فتاة عمرها ١٦عاماً ، وأنه قد قامت محكمة "إسلامية" بالحكم عليها بالإعداد لقيامها بقتل مخدومها الذي اغتصبها واعتدى علي كرامتها.. كل ذلك من أجل ترسيخ الصورة الذهنية التي أخذت تتكون لدى القارئ عن المسلمين ، بما يوحي بأنهم غير متحضرين أو

عادلين في قوانينهم الإسلامية ، مما أدي بالفعل إلى أثارة الرأي العام الإنجليزي ضد قوانين الشريعة الإسلامية ، وزيادة مخاوفه من الإسلام والمسلمين .. كما نلاحظ في القضية السابقة أن الصحف تدخلت بالرأي والتعليق ولم تكتف بالرصد والتحليل .. دون دراية كافية بالشريعة الإسلامية مما يجعلها تقدم معالجة غير موضوعية .. في حين أنها تتعرض دائماً لضرورة احترام المهاجرين "ومنهم المسلمون" لقوانين البلاد الأوروبية التي يعيشون فيها.

كما اهتمت الصحف الغربية منذ منتصف التسعينات بنشر ملخصات وعروض للكتب التي تتناول القضايا الإسلامية ، مثل كتاب "حروب بلا نصر" للرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون ، حيث عرضت هذه الصحف أجزاء كبيرة من الكتاب ، والذي حذر فيه نيكسون الغرب من صحوة الشعوب الإسلامية والأصولية الإسلامية ، والتي أطلق عليها عبارة (الفكرة السيئة The Bad Idea) .[١٥]

يلاحظ أن هناك الكثير من الكتب التي ظهرت منذ سقوط الشيوعية عن علاقة الإسلام بالغرب والمخاوف من الحضارة الإسلامية .. وكان أهمها وأكثرها إثارة للجدل كتاب صموئيل هانتنجتون "صراع الحضارات" والذي نشر عام ١٩٩٤ ، وكانت مجلة Foreign Affairs" قد نشرت مقالاً للمؤلف في عدد يوليو١٩٩٣م تضمن الأفكار الرئيسية التي وردت في الكتاب .

وقد حظي كتاب هانتنجتون ونظريته حول صراع الحضارات باهتمام كبير من جانب الصحف الأوروبية منذ صدوره حتي نهاية القرن الماضي .. وقد اهتمت كبريات الصحف الأوروبية في السنوات الأخيرة بعرض مثل هذه الكتب، خاصة إذا كانت لمؤلفين من أمثال فرانسيس فوكوياما وبرنارد لويس وغيرهم من الذين لديهم آراء مضادة للإسلام والمسلمين ، مما يساهم في تشكيل صورة الإسلام في الوعي الأوروبي لما يحظي به هؤلاء المفكرين والباحثين

من مكانة في الأوساط الثقافية في أوروبا والولايات المتحدة [١٦] .. في حين لا تهتم الصحافة كثيراً بنشر وعرض الكتب التي تعرض الصورة الإيجابية للإسلام والمسلمين ، فيما عدا الدوريات المتخصصة.

أما فيما يتعلق بالتناول الإعلامي لقضايا الإسلام والمسلمين في الصحافة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ، فسوف يتم التعرض لأهم ملامح التغطية الصحفية في تلك الفترة بالتفصيل لنرى كيف تغيرت اتجاهات هذه الصحف كانعكاس لتلك الأحداث.

تصور الصحف الغربية عبر "رسوم الكاريكاتير" العرب والمسلمين في قالب من السخرية والتشويه ، فقد أخذ رسامو الكاريكاتير بالصحف الغربية منذ السبعينات إلى تصوير المسلمين والعرب علي أنهم قوم يتصفون بالعناد والسخف إلى جانب الإرهاب والتطرف .. غالبا ما تعرض هذه الرسوم شخصية العربي المسلم ـــ كشخص ضخم الجسد ذو لحية وشارب مع أنف مقوس وعباءة واسعة وكوفية رأس ويحمل خنجرا في خاصرته ـــ ثم تطور فيما بعد الي حمل بندقية كلاشنكوف ، ويظهر في بيئة صحراوية ومن خلفه آبار البترول.[١٧]

وهناك نماذج صارخة تكرس هذه الصورة السلبية المشوهة ، مثل الكاريكاتير الذي نشرته صحيفة صنداي تليجراف بتاريخ ٣٠نوفمبر ١٩٧٣م وهو يصور في نصفه (شرذمة من العرب يركضون خلف إنجليزي متغطرس وهو يرتدى نظارة شمسية وقبعة ويصيحون "الصدقة حباً لله" .. وفي النصف الآخر من الرسم مجموعة من الإنجليز وهم يرتدون بدلات غامقة وقبعات ويتبعون أميراً عربيا بديناً مترفعاً وهم يصيحون " النفط حباً ").

وفي جريدة "لندن إيفننج ستاندرد" نشر رسام الكاريكاتير الشهير "jack" رسماً يصور شخص عربn مسلم يحمل سلاحاً وقنبلة يسير متسللاً في حي بيكادلي وشرطيان بريطانيان يلاحظانه ، فيقول أحدهما "أوه ، أظنه ملحقاً في

إحدى السفارات العربية".[١٨] ..كما نشرت صحيفة صنداي تايمز بتاريخ ٢٥يوليو عام١٩٧٦ رسماً يعد تهكماً عنيفاً علي العرب ، حيث أشار الرسام في تعليقه على الرسم إلي أن السيارات الرولزرويس التي تقف أمام محلات هارودز الشهيرة بلندن وتنتظر أصحابها من العرب ، إنما تشبه قوافل الجمال التي كانت تنتظر تحميلها بثروات السلطان .

واصلت الرسوم الكاريكاتيرية هجومها علي الشخصية العربية المسلمة وتقديمها بشكل قبيح وكريه ، في فترة الثمانينات والتسعينات ، وتطورت هذه الشخصية ، حيث تم تشبيهها بأسامة بن لادن أحياناً أو حكّام طالبان أحياناً أخرى أو بالفدائي الفلسطيني الذي يقوم بعمليات استشهادية .

ويلاحظ أن رسم الشخصية العربية المسلمة كان غالباً رسماً لشخصية "الإرهابي" المتعطش للدماء العنصري أو المتطرف المتعصب الجاهل خاصة بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١.

ثانياً : الإعلام المرئي

أولاً : التلفزيون

مع بداية عقد الثمانينات من القرن الماضي أخذت التغطية التلفزيونية في أوروبا والولايات المتحدة تعمل على إبراز الهلع والخوف من الإسلام فيما عرف بـــ(Phobia Islam) وتسويقه من خلال أحداث الثورة الإيرانية ، وتصوير الحرب الأهلية في لبنان علي أنها حرب بين الإسلام والمسيحية.[١٩] ويوضح إدوارد سعيد في كتابه "تغطية الإسلام" أن وسائل الإعلام المرئية جعلت الإسلام مسئولاً عن سعر النفط وأزمة الطاقة ، وما صاحبها من آثار ضارة علي المجتمعات الغربية ، إلي جانب مسئوليته عن كثير من الاضطرابات في الوطن العربي في تلك الفترة.[٢٠]

ومن أهم "الأفلام" التي عملت علي تغذية الخوف من الإسلام والمسلمين في هذه الفترة ، فيلم "موت أميرة" ، وهو فيلم بريطاني عرض في إبريل١٩٨٠

علي قناة I.TV ، كما عرض في الولايات المتحدة يوم ١٢مايو ١٩٨٠ ، والفيلم يعد من "الأفلام الوثائقية الخيالية" لأنه يعرض لشخصيات الفيلم من خلال ممثلين محترفين ، وقد سبب الفيلم توتراً في العلاقة بين السعودية وبريطانيا ، حيث سحبت السعودية سفيرها من لندن احتجاجاً علي الفيلم الذي اعتبرته إهانة للإسلام وأنه يعطي صورة مغلوطة عن المجتمع العربي ، وقد عمد مخرج الفيلم "انتوني توماس" علي إظهار قيم وأعراف المجتمعات العربية ، إلي جانب شريعة الإسلام في العقوبات بشكل غريب وقاس وبعيد عما هو مألوف للمشاهد الغربي.

وقد روَّجت الأفلام الغربية في تلك الفترة أيضاً صورة الفدائيين من رجال المقاومة الفلسطينية "الإرهابيين " و "القتلة" و "وعديمي الرحمة" .. وأن المقاومة ما هي إلا "إرهاب" كما جاء في سياق فيلم "غارة عنتيبي" الذي عرضته قناة I.T.V البريطانية يوم ١٨ أكتوبر ١٩٨١م والفيلم يصور الإسرائيليين بأنهم (ديمقراطيون – متحضرون ، أبطال) لأنهم يقومون بإنقاذ طائرة ركاب مدنية أختطفها رجال المقاومة في مطار عنتيبي بأوغندا..

كما عرضت نفس القناة فيلما بعنوان "أشانتي" يوم ٣٠ أغسطس عام ١٩٨٢م وتدور أحداث الفيلم في إطار القوالب النمطية الجامدة عن العرب المسلمين ، حيث يُظهر الفيلم – من خلال أحداثه- العرب في صورة تجار رقيق للنساء والأطفال ، ويعالج سيناريو الفيلم (الذي جري تصوير جزء منه في الأراضي المحتلة) قصة طبيب غربي ذهب في بعثة طبية مع زوجته إلي إحدى الدول الأفريقية ، فيقع فى أيدي تجار الرقيق العرب.

ومن الأفلام التي روجت في إطار ضمنى لصورة العرب (كشعب متخلف) مع الترويج للتفوق الإسرائيلي علي حساب العرب ، فيلم "امرأة تدعى جولدا " وهو فيلم يتناول حياة جولدا مايئر رئيسة وزراء إسرائيل إبان حرب ١٩٧٣م وقد عرضته قناة B.B.C البريطانية في نوفمبر ١٩٨٢م .[٢١]

أما في حقبه التسعينات ومع سقوط الشيوعية ، فقد رسم التلفزيون في الغرب بقنواته المختلفة صورة للإسلام بأنه دين العدوان والعنف وعدم التسامح ، وأن المسلمين قوم متخلفون ، يمارسون تعدد الزوجات وإيذاء النساء نفسيّاً وبدنيّاً ، فضلاً عن خطف الأطفال وبيعهم في سوق الرقيق.[٢٢]

وقد جاءت الأفلام التسجيلية في مقدمة المواد الإعلامية التي تتعرض للإسلام والمسلمين ، وظلت الصورة سلبية ومشوهة ، مع استبدال العدو الإسلامي "الخطر الأخضر" بالعدو الشيوعي ؛ لأن الغرب لا يستطيع أن يعيش بدون عدو!! وهو ما سنتعرض له لاحقاً .. ومن أهم الأفلام التي أثارت ضجة في تلك الفترة فيلم "سيف الإسلام" وهو فيلم بريطاني عرضه التليفزيون الحكومي B.B.C عام ١٩٩٤م ، ويُظهر المسلمين بشكل متخلف وغير حضاري ، ويصور الجهاد الإسلامي ضد المحتل علي أنه (إرهاب وسفك لدماء الأبرياء)[٢٣].. وهناك فيلم "نساء مسلمات" الذي عرضته القناة الثالثة بالتلفزيون الإيطالي في شكل حلقات مسلسلة في الأسبوع الأخير من شهر يناير ١٩٩٩م والذي عرض نماذج من نساء إيران وفلسطين _ المحجبات ؛ قد انخرطن في الحياة وفي العمل دون أن يكون الحجاب عائق لهن ، حتى أن النساء الفلسطينيات قد التحقن بجهاز الشرطة وبالمقاومة المسلحة دون خلع الحجاب أثناء التدريبات.

استخدام التلفزيون في الغرب "الرسوم المتحركة " كأحد أشكال المعالجة الإعلامية لتقديم صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين ..ومن أهم أفلام الكارتون في تلك الفترة ، فيلم "علاء الدين" وهو فيلم موجه للأطفال في المقام الأول ، ولكنه يرسم صورة المسلم العربي بأنه مزواج ويهدف الي المتعة الجسدية علي اعتبار أن ذلك يرجع للطبيعية الإسلامية .

كما عرض التلفزيون في الدول الغربية العديد من أفلام الرسوم المتحركة والتي انتجتها مدينة هوليوود الأمريكية نهاية القرن العشرين ، لتقديم صورة

سلبية عن الإسلام والمسلمين ، ومن أهمها فيلم "أمير من مصر" والذي يتعرض لقصة سيدنا موسي عليه السلام ، وفيه يرسم المخرج اليهودي "سبيلبرج" صورة مغلوطة ومشوهة عن المصريين والعرب ، من خلال استدعاء التاريخ مع الترويج لفكرة تفوق ونقاء بني إسرائيل.

كما قدم التلفزيون في الدول الأوروبية العديد من البرامج الحوارية والثقافية التي تتناول الإسلام والمسلمين ،والتي استعان فيها بالمفكرين والباحثين والإعلاميين المتخصصين في القضايا الإسلامية وشئون الشرق الأوسط ، وعلم الأديان .. ولكن لم يسمح ، إلا نادراً بعرض وجهة النظر الموضوعية فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين.. والمثال الواضح في ذلك الشأن هو التلفزيون الفرنسي ، والذي منع في منتصف التسعينات أصحاب الآراء المعتدلة عن الإسلام والمسلمين من الظهور في جميع القنوات ، وعلي رأس هؤلاء الباحث "فرانسو بورجا" صاحب كتاب "الإسلام السياسي" والعديد من الكتب والدراسات التي تتعرض للشأن الإسلامي بقدر من الموضوعية ، ولم يتمكن بورجا – الذي عمل في تلك الفترة في مركز الأبحاث الفرنسي بالقاهرة "سيداج" – نتيجة لآراءه المتزنة من الظهور في التلفزيون الفرنسي إلا عن طريق قناة ألمانية ـــ فرنسية خاصة "R.T" وكان ظهوره في هذه القناة من خلال الجانب الألماني وليس الجانب الفرنسي .

من خلال عملية تحليل محتوى بعض المواد التلفزيونية الأوروبية في الفترة التى سبقت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نجد أن التلفزيون الفرنسي ثم الألماني هي الأكثر تحيزاً وتشويها لصورة الإسلام والمسلمين .. ويرجع ذلك إلي أنهما أكثر استقبالاً للمهاجرين من الدول العربية والإسلامية ، خاصة في ظل نمو اليمين المتطرف والحركات العنصرية الجديدة التي تنادي بطرد المهاجرين وعلي رأسهم العرب والمسلمين ، إلي جانب أخطاء وسلبيات المهاجرين أنفسهم، مما شجع التلفزيون الأوروبي علي إبراز هذه المظاهر السلبية في

التناول الإعلامي بشكل بارز ومكثف .. وجاء التلفزيون البريطاني في المركز الثالث في مجال رسم صورة سلبية عن الاسلام والمسلمين ، نظراً لأن أعداد المهاجرين والمقيمن أقل من فرنسا وألمانيا ، وكذلك المشاكل المتعلقة بمسلمي بريطانيا أقل من تلك التي يثيرها وجود المسلمين في البلدين .

ثانياً : السينما

صورة الإسلام والمسلمين في أفلام هوليوود :

قدمت أفلام هوليوود "الإسلام" بوصفه ديناً للسذج بدون روحانية وتقام الصلاة كتمارين جسمانية ، ورمضان هو شهر الحفلات الليلية ، والحج عادة وثنية لا يقبلها العقل .. أما (المسلمون والعرب) فيظهرون في هذه الأفلام بوصفهم كسالي وجبناء ، وهم متعصبون مهووسون بالجنس والملذات ، ويرى المشاهد في معظم اللقطات والمشاهد الشيوخ العرب تحيط بهم النساء نصف عاريات وهم يتكئون بجوار آبار البترول .[٢٤]

وفي دراسة حول "الشخصية النمطية السيئة للعرب في أفلام هوليوود" للدكتور جاك شاهين – أستاذ الأتصال الجماهيري بجامعة الينوي والخبير في مجال الصورة الذهنية للشخصية العربية– تتبع فيها المؤلف أكثر من ٩٠٠ فيلم من الأفلام التي تناولت شخصيات عربية أو مسلمة منذ عهد السينما الصامتة الي بداية عام ٢٠٠١م ، وقد توصلت الدراسة الي أن ملامح صورة العرب والمسلمين في تلك الأفلام ، هي صورة سلبية منفرة، حيث الرجال يحطون من مكانة المرأة ويعاملونها كمخلوق أدني ، والمرأة إما إرهابية تقوم بتفجير القنابل، أو هي جارية ترتدي ملابس مثيرة وتقوم بأداء حركات راقصة رخيصة، لأهمَّ لها إلا إمتاع الرجل.. كما صورت أفلام هوليوود المصريين علي أنهم فراعنة قساة يضطهدون اليهود !! أو في صورة غامضة مثل : المومياوات التي تبعث حية من قبورها وتقدم بأعمال إرهابية فظيعة.

ومن أهم النتائج التي توصل اليها الباحث ، أنه إذا كانت الأفلام التي جرى بحثها تصور العرب بصفة عامة بأنهم قتله وإرهابيون لديهم أسلحة نووية ويشنون هجمات غادرة لتدمير المنشآت المهمة (لاحظ الدلالة والتي تعد تهيئة للعقل الغربي لتقبل فكرة قيام العرب والمسلمون بهجمات ١١سبتمبر).

ترى الأفلام أن "العرب جميعاً شيء واحد " ففي فيلم "الشيخ يتعبد" الذي عُرض١٩٣٧م ، تقول البطلة الأمريكية أن العرب جميعهم متشابهون في نظري ويقول بطل الفيلم نفس الجملة .. وبعد عشرات السنين لم تتغير الصورة الذهنية عن العربي المسلم ، ففي فيلم "الرهينة" الذي عرض عام ١٩٨٦م يقول الممثل الذي يقوم بدور السفير الأمريكي في الفيلم ، أنني لا أستطيع أن أمُيِّز عربياً عن عربي آخر فهم يبدون سواءً .(٢٥)

ملاحظات مهمة حول الدراسة السابقة

١- أشارت الدراسة الي أن صناع السينما في هوليوود لا يفرقون بين العرب والمسلمين ويضعونهم في سلة واحدة ، ولذلك فهم يقومون مراراً وتكراراً بإظهار كافة العرب علي أنهم مسلمون ، وإظهار كافة المسلمين علي أنهم عرب.. ومن ثم فإن مشاهدي السينما أصبحوا يعتقدون أن العالمين العربي والإسلامي لهما نفس السمات .. مع أن الواقع غير ذلك..

٢- أكدت الدراسة أن صناع السينما في هوليوود لم يبتكروا هذه الصورة النمطية المشوهة للعرب والمسلمين ، ولكنهم ورثوا تلك الصور التي كانت تسخر من العرب في الماضي في الدول الأوروبية .. خاصة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، حيث رسم المؤلفون والكتاب في أوروبا صور نمطية مشوهة للشخصية العربية مستمدة ومستوحاة من "القصص الخيالية" التي تمثل العرب كأشخاص متوحشين يستعبدون الجواري ،ومن هنا أصبحت الصور الخيالية جزءاً لا ينفك عن الذهن الأوروبي مع إضافة بعض التعديلات ، ولا

يمكن محوه بسهوله من الثقافة الأوروبية ، خاصة قصص كتاب "ألف ليلة وليله" والتي أثَّرت بشكل أو بأخر علي المفاهيم الأوروبية والأمريكية.

٣- يؤكد د.جاك شاهين أن استخدام لفظ هوليوود للدلالة علي مكان إنتاج الأفلام ، وأنه إذا كانت معظم الأفلام أنتجتها شركات أمريكية ، فإن هناك العديد من الأفلام قد أنتجتها شركات أوروبية سواء إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية ، وهناك أفلام أسبانية وإيطالية وسويدية، ويوضح أنه لم يتطرق في دراسته للأفلام الوثائقية التسجيلية أو الأفلام التي أنتجتها هوليوود للعرض التلفزيوني فقط .

صورة العرب والمسلمين في السينما الأوروبية:

ساهمت السينما الأوروبية مساهمة كبيرة في رسم صورة ذهنية قبيحة للعرب والمسلمين في أوروبا والغرب بصفة عامة ، منذ بداية القرن العشرين من خلال تثبيت الصور النمطية والقوالب الجامدة التي تحدثنا عنها - كموروث ثقافي- أو برسم صور ذهنية جديدة معدلة ، وكانت الصور الرئيسية التي عملت علي ترويجها السينما الأوروبية علي المستوى الشعبي في العشرينات عن أجدادنا العرب هي (الرقص والسرقة والقرصنة) أي شيطنة الشخصية العربية المسلمة، لاسيما في فيلم "مصر الصغيرة" عام ١٩٢٠م " الراقصة المصرية" عام١٩٢٠م أيضاً "رقصة النيل" عام ١٩٢٣م ... ولكن أكثر الأفلام رواجا في تلك الفترة كان فيلم "الشيخ" عام ١٩٢١م ، وفيلم "ابن الشيخ" والذي عرض عام ١٩٢٦م ، مما أدي إلي إدخال مصطلح أو مفهوم جديد "الشيخ" في الاستعمال الدارج في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي في أوروبا.. ويلاحظ أن الفيلم يصور ذلك "الشيخ" بأنه صاحب أسلوب شهواني ، يختطف امرأة حسناء ويجبرها علي أن تقع فى غرامه، وهو أيضاً رجل عاشق محاط بالرعب والغموض وسحر الشرق وغواية الصحراء . [٢٦]

وفي الثلاثينات أظهرت السينما الأوروبية صورة العرب والمسلمين كمرتزقة ومتعطشين للدماء ، خاصة في فيلم "الريشات الأربع" عام ١٩٣٩م ويتناول الفيلم قصة قائد عسكري إنجليزي يخسر معركة حربية في السودان فيقوم بعملية تنكرية وينضم إلي جيش الخلافة العثمانية كجاسوس لبريطانيا .. ويري المتخصصون أن الفيلم يظهر العرب كسذج ، حيث استطاع البطل "الأوروبي" خداعهم والتنكر في زي الأهالي ، ويمكن القول أن هذه الفكرة تتفق مع كتابات المستشرقين مثل بركهاروت وبروتون ، وتنطبق علي ضباط إنجليز مثل : لورانس العرب .

وإذا كانت فترة الأربعينات قد شهدت أفلاماً تحمل صورة خيالية .. فانتازيا.. مثل فيلم "لص بغداد" عام ١٩٤١م "وعلي بابا والأربعين حرامي"١٩٤٤م "وألف ليلة وليلة" عام ١٩٤٥م ، و"السندباد البحري" ١٩٤٧م ، وهي أفلام تدور في إطار المكائد والمطاردات في الصحراء التي يقيم بها العرب ، فإن بعض الأفلام قد صورت العرب كبدائيين ومتعصبين ضد اليهود كما في فيلم "سيف في الصحراء" ١٩٤٩م وإن كان هذا الفيلم ، إلي جانب فيلم الخروج ١٩٦٠م يصور العرب أو المسلمين كأناس "متخلفين" "وإرهابيين" يمثلون تهديداً لدولة إسرائيل ولليهود كما يشين الفيلم هؤلاء العرب الذين يقاتلون تحت قيادة عربي نازي !!

وفي الستينات نجد أن هناك فيلمين قد ساهما بشكل كبير في رسم صورة للعرب والمسلمين في تلك الحقبة أولهما فيلم "لورانس العرب " عام ١٩٦٢م وهو من أكثر الأفلام رواجاً آنذاك .. ومنه استمد الكثير من الناس في أوروبا تصوراتهم عن العرب والمسلمين فقد أراد صناع الفيلم إظهار نمط الحياة البدوية للعرب وتفوق الشخصية الأوروبية ، من خلال البطل "لورانس" الذي استطاع أن يوحد العرب ثم هزيمة الأتراك ، وإيصال رسالة للجمهور وهي أن الحكام العرب قوم مخادعون لا مبدأ لهم ولا يبغون إلا تحقيق المنفعة .. أما

ثاني الفيلمين هو فيلم "الخرطوم" عام ١٩٦٦م ، فالمسلمون هنا "متعصبون" بقيادة زعيم ديني "متعصب" وهو المهدي ، ويركز العمل علي تقديم العرب في شكل تجار رقيق ومقاتلون متوحشون ، بينما الإنجليز هم قوم يتمتعون بالإنسانية والتواضع.

ومن الملاحظ أن غالبية الأفلام السينمائية قد عرضت في القنوات التلفزيونية الأوروبية ، وبالتالي استطاع المشاهد الأوروبي تكوين آراء وصور ذهنية بموجبها عن العرب والمسلمين ، ولاسيما من خلال الفيلمين الأخيرين "لورانس العرب" والخرطوم".

ومع بداية التسعينات وسقوط الشيوعية وانهيار الإتحاد السوفيتي ، أخذت السينما الأوروبية تهتم بطرح قضايا الإسلام والمسلمين بشكل مباشر علي اعتبار أن الإسلام هو الخطر الداهم بعد الشيوعية ، حتى أن روسيا نفسها أخذت تعامل الإسلام علي أنه "العدو" رغم أن مسلميها هم سكان أصليون ، وإن كانوا أقلية (حوالى ٢٠ مليون مسلم حالياً) إلا أنهم قد أثاروا حفيظة الروس دون سبب ، مما أدي إلي تركيز السينما الروسية علي حياة المسلمين ، ومن أهم هذه الأفلام فيلم "مسلم" والذي يتناول قصة شاب روسي اعتنق الإسلام أثناء مشاركته في الحرب ضد أفغانستان في تلك الفترة ، ويعيش بطل الفيلم في غربة زمانية ومكانية فور عودته إلي قريته ، فهو يرفض الاندماج والتعايش مع أهله وأصدقائه ، لأنه أصبح مسلماً مختلفاً عنهم في العادات والتقاليد والأخلاقيات .. وتدور تطورات الفيلم في إطار رفض "المسلم" لكل القيم والمبادئ التي تخالف دينه حتى لو كانت قيم الأهل والمكان الذي تربي فيه ، لذلك فهو شخص غير طبيعي يتمسك بقيم غريبة علي مجتمعة وأهله ، حتى أنه كاد يقتل أخاه الذي حاول إعادته إلي مجتمعه وأهله ، وفي النهاية لا يجد البطل إلا التكيف مع من حوله ويعود إلي طبيعته قبل اعتناق الإسلام حتى يستطيع الاستمرار في الحياة .. ولكنه رافض لمجتمعه ناقم عليه يكره الروس لأنهم

أحتلوا بلداً إسلامياً وقتلوا إخوانه في العقيدة "مسلمي أفغانستان" .. فهو فيلم يعرض صورة أقل قتامة من الأفلام الأمريكية ، ولذلك تم منع عرضه في الولايات المتحدة.

وفي هذا الإطار قدمت السينما الألمانية مجموعة أفلام تصور مسلمي شمال إفريقيا – المغرب العربي – والأتراك علي أنهم مهاجرون سيئون .. لصوص وقتلة أو مشاكسون ينحرفون عن قوانين البلاد ويسببون أزمات ومشاكل للمجتمع الذى يعيشون فيه ، ومن أهم هذه الأفلام فيلم "ياسمين" الذي يصور الأتراك بالهمجية والقسوة لأنهم يعارضون ارتباط الابنة ياسمين بشاب ألماني ، وهم متخلفون غير قادرين علي التعايش مع المجتمع المتحضر في المانيا (٢٨)" وهناك فيلم "الكل إسمه "على" الذي يصور كل مسلم أو عربي علي أنه "عليٌّ" وعليٌّ شاب عاطل يبحث عن النساء العجائز للاستيلاء علي أموالهن بعد إيهامهم بالحب ، هو قاتل مأجور ومحترف نصب ومشاجرات له كل صفات الإجرام.

قنوات فضائية تشوّه الإسلام :

عملت وسائل الإعلام العربية والإسلامية التي حصلت علي تراخيص إصدار من أوروبا(نظراً للحرية التي تتمتع بها الدول الأوروبية) علي ربط هذه الوسائل بالوطن الأم والدفاع عن قضاياه، ومع انتشار القنوات الفضائية ظهرت قنوات عديدة تبث برامجها من خلال الدول الأوروبية ، مثل القنوات العربية التي تعمل من لندن أو باريس.. في السنوات الأخيرة سمحت السلطات المعنية في الدول الأوروبية لبعض الفرق الضالة بإنشاء قنوات فضائية تحمل أسماءً إسلامية ولكنها تقدم تشويهاً صريحاً للإسلام وشريعته والعقيدة الإسلامية ، وهذا العمل يعد مشاركة أوربية غير مباشرة في تقديم صورة مغلوطة ومشوهة عن الإسلام ، من أهم هذه القنوات ، نجد قناة "التلفزيون الإسلامي الأحمدي" وهي قناة تبث برامجها من العاصمة البريطانية لندن ، وتتبع الطائفة "القاديانية" (وهي

جماعة منحرفة عقائدياً ومعروفة بكفرها وخروجها علي الإسلام) وهذه القناة تعمل علي الدعاية للمذهب القادياني باسم الإسلام ، بعدة لغات منها العربية والإنجليزية والفرنسية إلى جانب اللغة التركية والروسية والبوسنية .. وتبث هذه القناة برامجها علي القمر الصناعي الأوروبي "يورسات" الذي يغطي أوروبا الغربية كلها وجزء من شرق أوروبا.

يري المتخصصون أن تأثير هذه القنوات مزدوج في تشويه صورة الإسلام ، فمن ناحية يقدم مضموناً ومغلوطاً عن الإسلام لغير المسلمين ، بينما يشكك الأجيال الجديدة من مسلمي أوروبا في دينهم ، خاصة أن الشباب قد لا يعرف دينه جيداً ، طالما انقطعت صلته بالوطن الأم .. كما أن المسلم حديث العهد بالإسلام (المهتدي) سوف يتعرض لصورة مغلوطة في قالب إسلامي !! فقناة مثل "التلفزيون الأحمدي" تستهل برامجها بصورة المسجد الحرام ، وبين منارتين منه يظهر مدعي النبوة (ميرزا غلام القادياني) حتى يتوهم المشاهد أن القاديانية جزء أصيل من الإسلام ، ثم تقوم القناة ببث بعض آيات من القرآن الكريم ، وتركز القناة علي ما يسمونه مجلس خاتم الأنبياء وخدام الأحمدي ، وعلي المقر الخاص بهم في بريطانيا وتحركات زعيمهم الحالي ، إلي جانب بث فقرات أسئلة وأجوبة ، ويقوم بالرد علي الأسئلة زعيمهم الذي يطلقون عليه "لقب خليفة حضرة المسيح" (٢٩) .

ثالثاً : الإذاعة

نظراً لصعوبة رصد وتحليل مضمون الإذاعة في أوروبا والولايات المتحدة فيما يخص الإسلام والمسلمين ، فإنه يمكن تناول الإذاعات الأوروبية والأمريكية الموجهة باللغة العربية ، ومن أهمها وأقدمها إذاعة لندن التابعة لهيئة الإذاعة البريطانية B.B.C والتي اعتمد عليها المواطن العربي لمدة طويلة في التعرف علي المعلومات والأخبار المحلية والعالمية بشكل "أكثر مصداقية" ، قبل انتشار القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت ، وهناك إذاعة "سوا" التي أطلقتها

الولايات المتحدة في شهر مارس ٢٠٠٢م ، والتي تهدف الي تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط والدول العربية ، بسبب الصورة المؤسفة للولايات المتحدة في هذه الدول منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ثم احتلال أفغانستان والعراق وحربها كل ما هو إسلامي باسم "الحرب علي الإرهاب" .. أما فرنسا فلديها راديو "موفت كارلو" و "راديو فرنسا الدولي " .. وهما يقدمان وجهة النظر الفرنسية في كافة القضايا الإقليمية والدولية وتسويق صورة إيجابية لفرنسا ، خاصة أن فرنسا كانت ضد غزو العراق وتعارض السياسات الاستعمارية – الضربات الاستباقية – للولايات المتحدة وحلف الناتو..

وجدير بالذكر أن بث هذه المحطات متاح علي شبكة الإنترنت من خلال خدمة البث الحي Streaming ، كما يجدر الإشارة إلي أن هيئة الإذاعة البريطانية قد طورت إذاعة لندن بالعربية وقدمتها تحت أسم "بي بي سي أكسترا".

في دراسة تطبيقية على إذاعة لندن – القسم العربي – عام ١٩٩٤م جاءت اتجاهات المستمعين نحو سياسة الإذاعة في البرامج الإخبارية والسياسية رافضة ومعارضة بنسبة ٨٠ % لسياسات الإذاعة المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وقد أسس المستمعون رفضهم علي العوامل التالية:

١- انتهاج الإذاعة توجهات مضادة للإسلام والمسلمين ، من خلال التعتيم الإعلامي على بعض القضايا الإسلامية ، وتصوير عمليات القمع والإبادة التي مارسها الصرب ضد مسلمي البوسنة علي أنها مشكلة داخلية الي جانب وصف العناصر الإسلامية بالإرهاب والتطرف ، وتخذير الحكومات العربية وتخويفها من الإسلاميين ، من خلال الندوات والحوارات التي أذاعتها إذاعة لندن في تلك الفترة.

٢- التحيز ضد العرب والمسلمين ، وعدم الالتزام بالموضوعية في معالجة القضايا الساخنة في الشرق الأوسط والعالم العربي، خاصة الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة المسلحة وتم وصفها بالعنف والإرهاب.

٣- تناولت الإذاعة شخصيات مرفوضة عربيا وإسلاميا بشكل إيجابي مثل الكاتب الإنجليزي ـ الهندي الأصل ـ سلمان رشدي صاحب كتاب آيات شيطانية والذي أثار ضجة كبيرة في العالم الإسلامي نظراً للهجوم الفاضح الذى شنه علي الرسول ﷺ والصحابة.

٤- استعانة الإذاعة بضيوف من المعاديين للعرب والمسلمين مع أنها موجهة أساساً للعالم العربي ذي الأغلبية المسلمة ، وتناولها المواد الدينية والمرتبطة بالإسلام ضمن برنامج منوعات يقوم علي الموسيقي والغناء والترفيه "برنامج ندوة المستمعين".(٣٠)

٤- أكدت الدراسة رغبة مستمعي إذاعة لندن في أن تتبني الإذاعة وجهة نظر موضوعية فيما يتعلق بالقضايا العربية والإسلامية ، في صورة معلومات صحيحة وحقائق جازمة .. وهو ما يؤكد أن الصورة التي تقدمها عن العرب والمسلمين لم تكن صحيحة او موضوعية بصفة عامة.

٥- قام المسلمون في بعض الدول الأوروبية بإنشاء محطات إذاعية لعرض وجهات النظر الإسلامية للمجتمع الأوروبي وتصحيح المفاهيم المغلوطة والمشوهة عن الإسلام والمسلمين ، مثل الإذاعة الإسلامية في هولندا (NMO) والتي تحاول الرد علي القضايا المثارة فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين مثل قضية الحجاب ، والتي أحدثت ضجة في فرنسا ومعظم أوروبا عام ١٩٩٤م، حيث بثت الإذاعة برنامجاً في٢٣ أكتوبر ١٩٩٤م بعنوان "قطعة القماش التي أحدثت ضجة " دافعت فيه عن المسلمات المحجبات ، من خلال حديث شرائح من النساء المسلمات كالطالبة والعاملة ، والتي أكدت أن الحجاب لا يعيق العمل والدراسة بنجاح.

٦- أنشأت الأحزاب والحركات اليمينية المتطرفة في أوروبا إذاعات عنصرية تهدف للهجوم علي المهاجرين والأجانب خاصة المسلمين مثل : إذاعة هولجر التابعة لحزب الشعب الدنماركي.

رابعاً : الكتب الدراسية :

أكد العلماء والباحثون المسلمون المشاركون في مؤتمر الحوار الإسلامي ، المسيحي بسويسرا عام ١٩٩٥م بمناسبة مرور ٩٠٠ عام علي بدء الحروب الصليبية ، أن مناهج التعليم الأوروبية تقدم صورة سلبية ومشوهة للإسلام والمسلمين .(٣٢)

قام البروفيسور عبد الجواد فلاتوري ـ المستشرق الألماني ومدير الأكاديمية الإسلامية للعلوم بألمانيا ـ بدراسة منهجية تتناول صورة الإسلام في الكتب المدرسية لمواد (الدين والتاريخ والجغرافيا) في كل من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وهولندا وإسبانيا وبعض دول غرب أوروبا.. جاءت نتائج الدراسة ، التي استغرقت ١٤ عاماً ؛ لتؤكد أن صورة الإسلام والمسلمين كانت سلبية بإمتياز ، حيث صورت كتب الدين عالم الدين الإسلامي على أنه طاغية منتقم ، وأن اتباعه من المسلمين يخضعون له تماماً خاصة فيما يتعلق بخوض حروب مقدسة ضد المسحيين في أي فرصة تسنح لهم (٣٣).

كتب والتاريخ والجغرافيا في الدول الأوروبية تصور المسلمين علي أنهم برابرة متوحشون ، وتصف كلمة "الفتح الإسلامي" بالغزو واعتبرت أن القرآن الكريم ليس وحياً من الله ، وإنما هو كتاب يحتوي علي تعاليم محمد ﷺ .. وخطورة هذه المناهج أنها تدرس للأطفال والنشئ الصغير ، فالمشكلة (كما يقول الخبير النمساوي أوتوهابسبرج) أن صورة الإسلام والمسلمين في العقل الأوروبي تنشأ معه منذ السنوات الأولي للدراسة دون إنصاف للمفاهيم الصحيحة عن الإسلام.

عرضت مارلين نصر في مؤلفها القيم "صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية" لأكثر من ٨٥ كتاباً مدرسيّاً في فرنسا في مواد التاريخ والجغرافيا والقراءة والتربية الدينية خلصت الباحثة الي ما يلي :

١- صورة العربي والمسلم في كتب القراءة الفرنسية هي (عبارة عن شخص يعيش في الصحراء بأشخاصها وتقاليدها التي تتسم بمنتهى السلبية)، وإذا انتقلوا لمكان فإنهم يحملون معهم صفاتهم الصحراوية (من حيث التخلف أو الجمود) في مواجهة مجتمع صناعي منظم ومتحضر ومنفتح عقليّاً (المجتمع الأوروبي).

٢- وفي مجال التاريخ ، يطالع التلميذ الفرنسي في المرحلة الابتدائية كتباً دراسية تركز علي الغزو الإسلامي لفرنسا ، وتبرز بطولات الفرنسيين في مواجهة هذا الغزو، دون ذكر لأي قائد أو بطل عربي مسلم.

٣- وفي المرحلة الثانوية ، تبرر مقررات التاريخ الحملات الصليبية علي الشرق الإسلامي ، بزعم معاناة الحجاج المسيحيين وانتهاك قبر المسيح في بيت المقدس ،وأنها كانت لحماية المسيحيين من العرب المسلمين المغتصبين البرابرة.[٣٤]

خامساً : الانترنت

أصبحت شبكة الإنترنت تزخر بمئات المواقع سواء الإسلامية أو التي تتناول الإسلام والمسلمين ، وهناك مواقع متخصصة تحيلك إلي المواقع الإسلامية المتخصصة مثل موقع Sites Islam Popular ، وهو موقع يضم أكثر من مائة عنوان لمواقع إسلامية في كافة أنحاء العالم ، وتشمل عناوين لمواقع أوربية بعضها باللغات الفرنسية والألمانية والأسبانية ، إلي جانب الإنجليزية ، وهناك مواقع يقتصر اهتمامها علي المسلمين في الدول الأوروبية مثل : بلجيكا وإيطاليا إلي جانب فرنسا وإنجلترا وبعض هذه المواقع مخصص للمعلومات

المتعلقة بشرح معالم الإسلام أو قضايا المسلمين في أوروبا ، في حين نجد مواقع أوربية أخري تختص بالحديث عن نشاط هيئة أو جمعية إسلامية بعينها .

هناك مواقع أخري خصصت صفحات علي موقعها للحديث عن الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م مثل موقع Amazon.com الذي يتخصص في البيع علي شبكة الانترنت وقد أنشأ صفحة لفهم الإسلام Understanding Islam تعرض أحدث الكتب التي تناولت الإسلام سواء قبل أو بعد سبتمبر ٢٠٠١م ومعظم الكتب لكتّاب غير مسلمين من أوروبا ، ومن أهم هذه الكتب موسوعة "تاريخ الإسلام" التي نشرتها جامعة اكسفورد للخبير الأسباني المتخصص في شئون الأديان جون أسبوزيتو ، الموسوعة تشمل ٧٠٠ صفحة و ٣٠٠ صورة فوتوغرافية .

هناك هيئات وجهات متعددة ، يصعب حصرها ، عرضت صورة سيئة للإسلام والمسلمين على شبكة الإنترنت مثل :

طائفة القاديانية ، سبق الحديث عنها ، فقد قامت في فرنسا بتأسيس مسجد على شبكة الانترنت من موقعها بالشبكة والذى يقدم الفتاوي والمعلومات المغلوطة عن الإسلام.[٣٥]

كما قامت هيئات أخري مشبوهة بتسجيل مواقع باسم Islam وهناك مواقع لجهات غير مسلمة تحمل أسماء إسلامية مثل (الله ، محمد ، المسلم ، الإسلام ، الجهاد) ومن العجيب أن هناك موقعا باسم "الجهاد" أنشأه مواطن صربي غير مسلم ولنا أن نتصور ما يمكن أن يقدمه هذا الصربي عن الجهاد !! خاصة أن كثيرا من الأوروبيين ليست لديهم معلومات صحيحة عن الإسلام حتى المتعلمين والمثقفين منه ، وغير قادرين علي التمييز بين المعلومات الصحيحة والمغلوطة.[٣٦]

معظم الصحف ووسائل الإعلام الأوروبية لها مواقع علي شبكة الإنترنت تقدم من خلالها المقالات التي نشرتها عن الإسلام للمشتركين ، وتقوم بعمل ملفات لبعض الموضوعات المختلفة ، كما أن هناك الكثير من المواقع الأوروبية التي تعني بالشأن الإسلامي تستخدم المقالات التي نشرت في الصحف الأوروبية أو بعض الكتب وتقدمها للقارئ كجزء من ملف معلومات عن قضية معينة مرتبطة بالإسلام.

إذا كان الإنترنت مجالا للتواصل والتفاعل الاجتماعي يسمح بتشكل رأي عام له أفكار وآراء مختلفة عن تلك السائدة ، كما نلحظ انتشار معلومات علي الشبكة لا تهتم بها وسائل الإعلام التقليدية ، ولكن يجب الإشارة هنا إلي أن الانترنت نفسه يمثل مجالاً واسعاً لفوبيا متطرفة عن الإسلام، ومن خلال مئات الآلاف من المواقع التي تهتم بالأفكار والمعلومات حتى من خلال وسائل البريد الاكتروني.

***

هوامش الفصل الأول

١) علي عجوة : العلاقات العامة والصورة الذهنية ، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٨٣م ص ١٠.

٢) المصدر السابق ص١٢ .

٣) المصدر السابق ص ١٥ .

٤) سامي مسلم : صورة العرب في صحافة المانيا الإتحادية ، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٥م) ص٣١ .

٥) المصدر السابق ، ص ٣١ .

٦) جعفر عبد الرازق : "المسلمون في الإعلام الغربي" ، مجلة الفكر الجديد، عدد يناير ١٩٩٦م ، ص ٣٩٠ – ٣٩٢ .

٧) المصدر السابق.

٨) المصدر السابق .

٩) مراد هوقمان : (العقلية الأوروبية والإسلام ٢- ٢) جريدة الشرق الأوسط ، لندن،١٤/ ٣/ ١٩٩٦م .

١٠) المصدر السابق.

١١) المصدر السابق.

١٢) بهجت قرني :(صورة العرب والمسلمين في العالم)، محاضرة بالهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة ٣/ ٧/٢٠٠٤ .

١٣) عبد الباسط عز الدين: " أوراق عائد من عاصمة الضباب" جريدة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ٢٦ فبراير ١٩٩٦م.

١٤) محمد أحمد محمدين : "صراع الحضارات هل يتحول إلي مواجهة بين الأديان "، جريدة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ٦ نوفمبر ١٩٩٥ ، ص١٠.

١٥) معالي عبدالحميد جودة : "الخطر الإسلامي ولائحة الألوان" ،جريدة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ،٣١ يوليو ١٩٩٥م ، ص ٣ .

١٦) محمد احمد محمدين: مصدر سابق.

١٧) حلمي خضر ساري : (صورة العرب في الصحافة البريطانية .. دراسة اجتماعية في الثبات والتغير لمجمل الصورة) ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٨م ، ص١١٢ .

١٨) London Evening Standard، No.6 ،January ،1978

١٩) حلمي خضر ساري : مصدر سابق، ص١٢٨ .

٢٠) إدوارد سعيد : "تغطية الإسلام" ، لندن ، دار كيمان،١٩٨١م.

٢١) حلمي خضر ساري : المصدر السابق، ص١٢٩.

٢٢) عبد الباسط عز الدين : مصدر سابق ،ص١٢ .

٢٣) مراد هوفمان :"وضع الإسلام في المانيا"، جريدة الأهرام المصرية ٢٥ / ٣ / ١٩٩٥م.

٢٤) مراد هوفمان : المصدر السابق.

٢٥) الهيئة العامة للاستعلامات : "عرض كتاب أفلام هوليوود تشوه صورة العرب وتقدمهم علي أنهم أشرار"، القاهرة ، ص٥.

٢٦) Sari J Nasir , the Arabs and the English ، (London: Longman 1976

٢٧) عرض الفيلم بالمركز الثقافي الروسي بالقاهرة في ديسمبر١٩٩٧م .

٢٨) هذه الأفلام عرضت بالمركز الثقافي الألماني بالقاهرة معهد جوته عامي١٩٩٦، ١٩٩٧ .

٢٩) جريدة العالم الإسلامي السعودية ،٢٦ فبراير ١٩٩٦م .

٣٠) د. كرم شلبي :":اتجاهات المستمعين العرب نحو إذاعة القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية"، (القاهرة ، الأزهر ١٩٩٤م).

٣١) أنشأت عام ١٩٨٦م ، وتدار من قبل مسلمين مغاربه وأتراك ، وتمولها وزارة الثقافة الهولندية ، وتبث برامجها بالهولندية والعربية والتركية .

٣٢) مجلة نور الإسلام : "هموم المسلمين في أوروبا " العدد الأول ، أغسطس ١٩٩٧م .

٣٣) مراد هوفمان ، جريدة الأهرام ، مصدر سابق .

٣٤) مجلة نور الإسلام ، مصدر سابق .

٣٥) عبد الباسط عز الدين ، أوراق عائد من عاصمة الضباب ، مصدر سابق.

٣٦) محمد عبدالله الفولي : الإنترنت .. الحظر الداهم .. مجلة الوعي الإسلامي، الكويت ، العدد ٣٩٩ ، فبراير ١٩٩٩م ص٦٢.

***

الفصل الثاني
عوامل تكوين الصورة السلبية في الإعلام الغربي

المبحث الأول
العوامل التاريخية

أهمية العوامل التاريخية :

يرى الكاتب والمفكر اللبناني "محمد السماك" أن أوروبا تجد نفسها في الفترة الحالية محصورة بين احتمالين للخطر الأول هو : روسيا ما بعد الشيوعية ، والثاني هو الإسلام المتصاعد في الشرق الأوسط وآسيا الوسطي .. ثم يؤكد أن خبراء الدراسات الإستراتيجية يرون أن احتمال تصاعد الإسلام ليشكل خطراً حقيقيّاً علي أوروبا فرصته لا تتعدى ٢٠% فقط ، إنه خلاف لبعض النظريات الغربية الاستعدائية ، مثل نظرية هانتنجتون "صراع الحضارات " فإن الإسلام أقرب لأن يتفاهم مع الغرب المسيحي ، أهل الكتاب ، من أن يتفاهم مع بوذية وكنفوشية الصين،جريدة الشرق الأوسط الندنية ١٩٩٧/٥/٢٢م ..

ويضيف الكاتب .. أنه من الواضح أن ثمة شعوراً في العالم الإسلامي بأن العلاقات مع الغرب خاصة أوروبا تمر بمرحلة تأسيس لصراع عقائدى حضاري يستهدف إلغاء الآخر ، "الإسلام" من جانب المفكرين الغربيين الذين يرتكبون جريمة خطيرة بتأسيس هذه الأيدولوجية .. وهذه العملية تتغذى من ثلاثة ينابيع أساسية :

١- الذاكرة التاريخية الغربية الحافلة بصور العداء التشويهية للإسلام وهي صور تعكس إصرار الغرب بصفة عامة وأوروبا بصفة خاصة ، كما تقول الكاتبة الألمانية "زيجرد هونكة "في كتابها "الله ليس كذلك " علي دفن حقيقة الإسلام في مقرة الأحكام التعسفية ، كما تحذر في كتابها "شمس الله تسطع علي الغرب" و"قوافل عربية في رحاب القيصر" ، من أن هذا التصوير المشوَّه والممسوخ المتوارث منذ القرون الوسطي يحول عملية الاستعداد إلي حالة مرضية يرزح الغرب الأوروبي تحت كابوسها الخانق .

٢- رد الفعل العنيف من بعض الجماعات الإسلامية في بعض الدول العربية والإسلامية.

٣- استنفار الإعلام في أوروبا والغرب لتوظيف رد الفعل هذا لشحن المجتمع الأوروبي بمشاعر العداء ، بحيث يتقبل مسئوليته في مواجهة العالم الإسلامي ...ني انها شر لابد منه

ما يؤكد أهمية الجوانب التاريخية لدى الذهن الأوروبي ، وقيام مونتجمري وات ، أحد كبار المفكرين الغربيين ، برسم صورة الإسلام كما يراها في الفكر الغربي بصفة عامة ، وتحمل معالم الصورة المعتقدات التالية:ـــ

١- الإسلام دين مزور وأنه تحوير متعمد عن الحقيقة الدينية كما جاء في المسيحية.

٢- انتشار الإسلام بالسيف .

٣- الإسلام هو دين الدفاع عن الشهوانية .

٤- أن "محمد ﷺ هو عدو المسيح الأول.

بشير رمضان عبد اللطيفوف العضو المسلم بالبرلمان الروسي في مقال نشر في صحيفة نيزافيسيمايا جازيتا " بالعدد الثاني لعام١٩٩٧م إلى أن روسيا بها

العديد من القوميات والشعوب المسلمة التي تسكن روسيا من غابر الأزمان باعتبارها وطناً تاريخياً لهم ، كما أن الإسلام قد دخل شمال القوفاز قبل مجيء المسيحية إلى روسيا ، وأن أهالي سيبريا قد اعتنقوا الإسلام قبل ثلاثة قرون من دخول القوات القيصرية إليها ، ولذا فإن وجهة النظر التي ترى روسيا بلداً أحادي القومية والدين ، تمثل فكرة تضر بالدولة الروسية ، لأنها تدق إسفيناً بينها وبين ٢٠ مليون مسلم ، لقد ذهب عدد لا يحص من الناس ضحية العداء بين المسيحيين والمسلمين طيلة العصور ، ويوجد اليوم من يحبون أن يؤججوا أوار العداء .

أثبتت نتائج الدراسات النفسية والاجتماعية تأثير الصور الذهنية التي تتكون عند الأفراد منذ الطفولة وخلال مراحل العمر التالية علي إدراكهم للمواقف المختلفة واستجابتهم لهذه المواقف في الحاضر والمستقبل ، وقد اتضحت أهمية هذه الصور مع تعاظم تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية في نقل الثقافات وتقريب المسافات ، والغاء الحواجز الجغرافية ، أنظر كتاب علي عجوة "العلاقات العامة والصورة الذهنية " ص١٦١.

صور الماضي التي تصوِّر الغرب المسيحي وهو يصد تهديد الجيوش الإسلامية ، التي تحاول اكتساح الغرب ، قد بعُثت من جديد وتم ربطها بالحقائق السكانية والسياسية ، فصورة "شارل مارتل" ، الذي أوقف أول تقدم إسلامي بحيث منع الهلال الإسلامي من أن يطبق علي أوروبا المسيحية إلى محاولات الصليبيين الاستيلاء علي القدس وهزيمة الفيالق الإسلامية في فيينا ، كلها أشياء يتم ربطها بالحقائق مع المخاوف الجارية من توسع إسلام مناهض في أوروبا وأمريكا .. وقد لعب زعماء الصرب في البوسنة ثم كوسوفا على التاريخ الغابر، مصورين أن حرب الإبادة التي يشنونها ضد المسلمين علي أنها نضال لصد الأصولية الإسلامية المتشددة ومنع إقامة دولة إسلامية في قلب أوروبا ، (كما يشير أسبوزيتو في كتاب التهديد الاسلامى).

أولاً : العوامل التاريخية وتكوين صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين

الحروب الصليبية :

يؤكد كثير من المفكرين والخبراء والباحثين أن الحروب الصليبية هي بداية الحساسية التاريخية بين الإسلام وأوروبا ، وأنها قد أسست لبداية المواجهة والصراع المزعوم بين الشرق والغرب فيرى وليم بفاف في مقال له عام ١٩٩٠م أن "الإسلام وأوروبا المسيحية كانا مشتبكين بشكل متقطع في حرب منذ زمن الحروب الصليبية ، وهناك قوم عندنا وعندهم يريدون تحويل هذه الحالة إلى حرب مقدسة بين حضارتين .. ويقول "إسبوزيتو" فى سياق نقله لهذه المقولة واستشهاده بها "حينما كتبت هذه العبارة لأول مره كنت أخشي من أن يظن البعض أن التصريح فظ بعض الشيء ، ثم اكتشفت أن مجلة "ناشيونال ريفيو" قد نشرت مقال "لدانيال بايب" بعنوان "المسلمون قادمون ! المسلمون قادمون " في نوفمبر ١٩٩٩م .

ساد اتجاه في أوروبا والولايات المتحدة في السنوات الأخيرة ، خاصة بعد سقوط الشيوعية ، أن هناك صراعاً وشيكاً بين الإسلام والغرب باعتباره مجرد مرحلة في نموذج تاريخي للمواجهة .. وفي هذا السياق نشر المفكر الأمريكي "برناردلويس"– سيأتي ذكره كأحد المستشرقين الجدد – مقالة مهمة بعنوان "جذور الهياج المسلم " في مجلة Atlantic Monthly عام ١٩٩٠م ، أكد فيها أن الصراع بين الغرب والإسلام استمر حتى الآن علي مدى أربعة عشر قرناً من الزمان ، وقد تكوَّن من سلسلة طويلة من الهجمات والهجمات المضادة ، الجهاد والحملات الصليبية ، الغز والاسترداد.. وهنا يتم تصوير المسلمين في صورة المحرضين والدعاة طوال أربعة عشر قرناً من الحرب فالإسلام عدواني، وأفعال المسلمين تؤخذ علي أنها مسئولة عن الهجمات وحروب الجهاد، في حين يوصف الغرب بأنه دفاعي ، يرد بهجمات مضادة (الحملات

الصليبية) وعلي الرغم من المزاعم القائلة بأربعة عشر قرناً من المواجهة ، يتم إعلام القارئ أن التهديد المعاصر للغرب من قبل الإسلام ثار "فجأة" وبناءً علي ذلك فسوف يستنتج القارئ منطقياً أن المسلمين لديهم ميل تاريخي لممارسة العنف وكراهية الغرب.

إذا كان الغرب لم يستطع الانتصار تاريخياً علي الإسلام في الحروب الصليبية ، فإن ذلك قد ولَّد عقدة خطيرة تشكلت فيما بعد في شكل برنامج سياسي اقتصادي اجتماعي متكامل ضد الإسلام والمسلمين هذا البرنامج يقول : "إذا كنا لم نستطع التغلب علي الإسلام في الحروب الصليبية ، فإنه يمكن التغلب عليه في الظروف السائدة بوسائل أخرى ولذلك فإن الهجوم الإعلامي والثقافي علي الإسلام تحركه رغبات مستترة ، ويأتي نتيجة لعوامل تاريخية معقدة".

مازالت العقلية الأوروبية تتحرك في كثير من الأفعال والمواقف بناءً علي الحروب الصليبية وخلفياتها خاصة قادة الرأي من المفكرين والباحثين والمحللين السياسيين والإعلاميين: يقول مراد هوفمان سفير ألمانيا السابق في المغرب والجزائر والمتحدث الإعلامي باسم الناتو سابقاً : " في الحقيقة فإن الصدمة التي سببتها الحروب الصليبية هي في الغرب أعمق منها في الشرق ، ونتجت هذه الصدمة عن الدهشة التي تلقاها الصليبيون عندما تبين لهم أن المسلمين الذين يفترض أنهم "برابرة " وثنيون" هم أكثر تطوراً وتحضراً وأكثر تقدماً في العلوم الطبيعية من الصليبيين وفي الحقيقة فإن تسامح وكرم وأمانة وحكمة القائد العسكري العظيم صلاح الدين أصبحت صفات أسطورية في الغرب الآن ، وإن طرد المسلمين واليهود من الأندلس عام ١٤٣٢م ، وهي حالة مبكرة من التطهير العرقي الديني علي طريقة كارادتيش كانت استمراراً للحروب الصليبية، والهيمنة الاستعمارية الغربية وعقلية الحروب الصليبية يقظة وحية علي نطاق واسع ، وهى تفسير نظرية الهيمنة الفكرية عند كل من "فرانسيس فوكوياما" و "صامويل هانتنجتون" (١)

ثانياً : الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي :

مازالت العقلية الغربية الاستعمارية تحكم وتسيطر علي الوجدان الأوروبي فهناك الخوف من انطلاق الاقتصاد وفق التصور الإسلامي فيقوض الاقتصاد الغربي الرأسمالي الخوف من تحرر العالم الإسلامي من كل قيود الغرب ، الخوف من أن يتحول الإسلام إلي موقف "الند" ويقضي علي ذلك التشتت والانقسام والتمزق الذي يحياه العالم الإسلامي .. وإذا كان الإعلام الأوروبي يتهم المسلمين ، افتراءً ، بأنهم يحاربون التقدم والمدنية الحديثة ، فالغرب وأوروبا يقعان في مأزق فريد ، حيث يعيش الغربيون علي "مخلفات الماضي" والدليل أنهم يستدعون روح الحروب الصليبية الاستعمارية ويوظفونها في العداء للإسلام.

يؤكد د.سيف عبد الفتاح أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة والمتخصص في تحليل "الظاهرة الإسلامية" أن الإعلام الأوروبي يلعب دوراً مهماً في صناعة صورة الإسلام والمسلمين ، وهي صناعة تقوم علي عدة عناصر أهمها الإدراك بأن الغرب بتكويناته المتعددة ، كان في حالة صراع مع العالم الإسلامي منذ زمن بعيد ، وهناك شعور بأن التاريخ يحمل عناصر مواجهات متعددة بين المسلمين والغربيين ، وتمثل المرحلة الأخيرة مرحلة "الاستعمار" فلا أحد ينكر أن التوسع الاستعماري الأوروبي والهيمنة التي شهدها القرنان ١٨، ١٩ هو الذي قام بالاستيطان ونهب الثروات ، مما أحدث نوعاً من الميراث الفكري والذهني حول مسئولية الغرب بشكل أو بآخر .. عن تخلف البلاد الإسلامية التي تم استعمارها. (٢)

انعكست عملية استدعاء كل من الحروب الصليبية والنزعة الاستعمارية لأوروبا ، في كثير من المعالجات الصحفية التي تتناول المواجهة المزعومة ، بين الإسلام والغرب ، وكذلك ملء الفراغ الناجم عن نهاية الحرب الباردة بالمخاوف المبالغ فيها من الإسلام باعتباره بعثاً لإمبراطورية الشر " المشتبكة

في حرب مع النظام العالمي الجديد وباعتباره تحدياً للاستقرار العالمي ، فقد حملت الافتتاحيات والمقالات عناوين متشائمة تحمل معاني الاستدعاء السابق مثل : "مازالوا يحاربون الحملات الصليبية "و "الهلال الجديد في أزمة : الانتفاضة العالمية ، "الإسلام الصاعد ربما يهيمن علي الغرب " ، " الحرب الإسلامية ضد الحداثة "..

ومثل هذه العبارات تستولي علي الانتباه العام ، كما إنها تشوّه حقائق وطبيعة الإسلام والحقائق السياسية في العالم الإسلامي وعلاقاتها المختلفة مع الغرب.

ثالثا : الثورة الإيرانية وحرب الخليج

أولاً :الثورة الإيرانية

في البداية امتزجت عملية تأسيس الثورة عام ١٩٧٩م بمفهوم "تصدير الثورة" والذي كان له تأثير مهم ، بالنسبة للعالم الإسلامي كانت الثورة الإيرانية مصدراً للإلهام ونموذجاً للتحرر وانتصار الشعوب ولكنها كانت رمزاً لتهديد الغرب ، كانت إيران تبدو للإدارة الأمريكية في ذلك الوقت برئاسة ريجان ، مرادفاً للإرهاب العالمي ، وذلك لارتباط الثورة بذكريات الرهائن الأمريكيين في إيران وحرق السفارة الأمريكية في باكستان ، والهجمات ضد الأمريكيين في إيران وغيرها.

كانت النتيجة أن أصبح نموذج الثورة الإيرانية قد دعم فقط صورة الثورة التوسعية التي تسعي لتهديد العالم ، وفي بعض الأوقات كان يبدو أن هناك قدراً قليلاً من المبالغة في القول ــ لأسباب مختلفة ــ بأنه عندما كان الخوميني يتكلم كان العالم بأسره يستمع .. وقد صور الغرب في الغالب آية الله وكأنه مشتبك في حرب مقدسة ضد قيم الغرب عن التسامح وحرية الرأي. (٣)

ورغم أن إيران قد اتخذت خطوات مهمة لتحسين علاقتها وصورتها علي المستوى الدولي ، في الفترة التي تلت انتهاء الحرب الإيرانية - العراقية (في

أغسطس ١٩٨٨م) ، خاصة فيما يتعلق بصورتها في مجال حقوق الإنسان ، ورغم الجهود المختلفة لكسب رأى عام عالمي متعاطف ومتقبل الثورة الإيرانية إلا أن موقف إيران من كتاب "آيات شيطانية" ودعوة الخوميني قائد الثورة الإيرانية وزعيمها الروحي ، لإهدار دم مؤلفه "سلمان رشدي " قطع الطريق علي تطبيع العلاقات مع الغرب ، كما أدَّى في النهاية إلى قطع العلاقات مع بريطانيا فيما بعد.

ثانياً : حرب الخليج

أدت حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م وغزو صدام حسين للكويت في أغسطس ١٩٩٠م إلى تصوير العرب والمسلمين في الإعلام الغربي علي أنهم "العدو" وأن تلك الحرب كانت حرباً بين الغرب والمسلمين ، أو بين أوروبا والولايات المتحدة من جهة وبين العرب من جهة أخرى ، خاصة أن الرئيس العراقي في ذلك الوقت قد دعا إلى الجهاد ضد "الاحتلال الغربي" لكسب التأييد من العالم الإسلامي والحركات الإسلامية ، وأصبح كل مسلم وعربي من وجهة نظر الغرب هو مؤيد لصدام حسين ، وفي هذا الصدد يقول البروفيسور أكبر أحمد (أثناء حرب الخليج كنت متواجداً في لندن ، وقد تابعت كل ما تقدمه وتعرضه وسائل الإعلام البريطانية عن صدام والحرب ، خاصة التليفزيون الذي لم يسمح بعرض وجهة النظر الإسلامية ، خاصة في البرامج الحوارية ، بل اتجهت البرامج الي تشوية موقف العرب والمسلمين من الحرب ، رغم أن الغالبية في أنحاء العالم الإسلامي كانت معارضة للغزو العراقي بشكل واضح ، ففي أحد البرامج الحوارية التي أذاعتها القناة الرابعة ، اكتشفت أن المواقف التي يتبناها الخبراء المعلقون تُعد سلفاً قبل عرضها علي الشاشة بما يخدم وجهة النظر المعادية للعرب والمسلمين). [٤]

ويشير البروفيسور أكبر إلي أن الكثير من النجوم اللامعة لكبار المحللين السياسيين والمعلقين بالتلفزيون البريطاني قد شاركت في التحيّز ضد العرب

والمسلمين ، قد حدث ذلك خلال أحد البرامج الحوارية التي شارك فيها ، عندما قام المشاركون في النقاش بمصادرة فعلية لآراء "فيكتوريا برتين" ، وذلك بسبب تبنيها لوجهة نظر مؤيدة للعرب ، عكس الاتجاه السائد مما أثار العداء ضدها من جانب المعلقين المحافظين ،خاصة بعد نشر آرائها في جريدة "الجارديان".(٥)

المبحث الثاني

الأدبيات الغربية

أولاً : كتابات الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين :

هناك العديد من الفلاسفة والمفكرين الذين شكَّلوا الوعي الأوروبي وساهموا في عصر النهضة في أوروبا لكنهم أساءوا للإسلام والمسلمين في كتاباتهم ومع ذلك اتخذهم العرب والمسلمون قدوة في مجال الفكر رغم أن بعض كتاباتهم وأفكارهم تقطر سُمّاً زعافاً ، مثل كتاب المفكر الفرنسي الشهير فولتير "التعصب أو النبي محمد" والذي صور فيه الرسول ﷺ في شكل طاغية(٦) .. وكتاب "الكوميديا الآلهية" للمفكر والأديب الشهير دانتي ، الذي يصف الرسول ﷺ ، بأنه يتلظي في الجحيم في الحفرة التاسعة من ثامن حلقة من حلقات جهنم ومعه علي بن أبي طالب .(٧)

كما يذكر "أرنست رينان" في محاضرة شهيرة يتم الاقتباس منها كثيراً أن المسلم " لا يقدر أن يتعلم شيء أو ينفتح في مواجهة فكرة "جديدة".. ويقول الفيلسوف الفرنسي "بونودي كونديلاك" في كتاب "التاريخ الحديث " عام١٧٦٧م عن نزول القرآن علي الرسول ﷺ : "لقد كوَّن محمد مشروعه بمحض الصدفة وبفضل جرأة احتياله ، واستطاع أن يتم مشروعه لأن الظروف ساعدته علي ذلك ، فقد كان مصاباً بالصرع ، وذات يوم فاجأته زوجته كاديج (خديجة) في إحدى النوبات وتخيلت أنه في حالة وَجْد ، واستغل محمد ﷺ سذاجتها وأكد لها أنه يري الرؤيا وأن الله يحدثه خلالها عن طريق الملاك جبريل ، وقامت زوجته بنقل ذلك إلي نساء آخريات معلنة أن زوجها نبي ، وانتشر الخبر ،

وتراكمت النبوءات مع تراكم الكلام وتزايده ، فقامت الجماهير باتباع ذلك الرجل المهم الذي أقنعهم بسخاء خياله"[٨].

ويقول عالم الإنسانيات الفرنسي "دومنيك بودييه في كتاب " التاريخ العام للأتراك " الصادر عام١٦٣٢م ، ما نصه : إن المعجزات من علامات الأنبياء ، وبما أن محمداً لم يكن بوسعه أن يقدم للناس ما يؤكد معجزاته كان يجمع الشعب في الميدان العام ليكون شاهداً علي أن روح الله تنزل عليه ، من خلال الاستعانة بالخدع والخرافة ، وبينما هو منساق في اختراع الأقاصيص الجديدة ، كانت هناك حمامة مدرَّبة تطير من مكان قريب من منكبيه وتلتقط الحب الذي كان يضعه لها في فتحة أذنه ، موهماً العرب بذلك أنها كانت تملي عليه إرادة الله وكلمات شريعته.[٩]

كما أن اللورد كرومر المندوب السامي للاحتلال البريطاني في مصر ذكر فى كتابه "مصر الحديثة " سنة ١٩٠٨م ، "إن القرآن هو المسئول الأول عن تأخر مصر عن مضمار الحضارة الحديثة ".

والمفكر البريطاني جورج سيل(١٦٩٧- ١٧٣٦) الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلي الإنجليزية ، وذكر في المقدمة :" أن محمداً ﷺ في الحقيقة هو مؤلف القرآن ، وهو الذي أخترعه ، وهو أمر لا يقبل الجدل وإن كان من المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من الآخرين ليست قليلة!![١٠]

ثانياً : كتابات المصلحين وعلماء اللاهوت :

يرى المفكر الألماني "هوبرت هيركومر" أستاذ الأدب الألماني بجامعة برن بسويسرا في دراسته القيمة "صورة الإسلام في الأدب الألماني في العصر الوسيط " أن مؤسسات الغرب الكنسية كانت لها إسهامات مخزية في تشوية صورة العرب والأتراك علي مر القرون ..فقد أراد الأوروبيون توظيف ترجمة معاني القرآن للطعن في الإسلام ، حيث ظهرت أول ترجمة سنة ١١٤٣م بقلم

روبرت الكيتوني- إنجليزي كان يعيش في أسبانيا - بتكليف من رئيس دير مدينة كلوني "بطرس المبجل" وقد استغلت ترجمة الكيتوني لمعاني القرآن إلي اللغة اللاتينية للطعن في الإسلام لسنوات طويلة (١١).. أما مارتن لوثر مؤسس الكنيسة البروتستانتية الإصلاحية ، فقد تدخل لإلغاء قرار أصدرته بلدية مدينة بازل بسويسرا بحظر نشر ترجمة معاني القرآن ، وكان السبب في ذلك كما أعلن مارتن لوثر نفسه عندما قال :" لقد استيقنت بأنه لا يمكن عمل شيء أكثر إزعاجاً لمحمد ﷺ وللأتراك ولا أشد ضرراً لهم جميعاً من ترجمة قرآنهم ونشره بين المسيحيين ، عندئذ سيتضح لهم أي كتاب بغيض وفظيع هذه القرآن المليء بالأكاذيب والخرافات.

ولم يكتفِ مارتن لوثر بذلك ولكنه وصف النبي ﷺ بأنه "خادم العاهرات وصائد المومسات" ، وكان يقول : "أرى أن القساوسة عليهم أن يخطبوا الآن أمام الشعب عن فظائع محمد حتى يزداد المسيحيون عداء له ، ويقوى إيمانهم بالمسيحية ولتتضاعف إثارتهم في الحرب ويضحوا بأموالهم وأنفسهم ".. ويؤكد "هوبرت هيركومر" أن المتعصبين المسيحيين كانوا يتهمون الإسلام بالزندقة ، وكان ذلك سهلاً عليهم ، ويشيرون إلى آيتين في سورة النساء هما الآيتان رقم ١٧١، ١٧٢ من سورة النساء الرافضتين لعقيدة التثليث، وقد اعتبر المسيحيون في العصور الوسطي أن من ادَّعى المسلمون أنه نبي ، كان رجلاً عاش حياة داعرة ، بل إن بعض الأوروبيين أدَّعوا أن رسول الإسلام ﷺ كان في الأصل كاردينالاً كاثوليكياً تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة ، واعتبرت أوروبا في ذلك الوقت أن محمداً ﷺ المرتد الأكبر عن المسيحية الذي يتحمل الوزر الأكبر عن انفصال نصف البشرية عن المسيحية..

وكانت صورة الإسلام والمسلمين أشد قتامة خلال الحملات الصليبية ، حيث كان الاتجاه السائد هو احتقار كل ما هو عربي وإسلامي ، وقد لعب رجال

الدين دوراً مُهمّاً في ذلك ، فقد انطلقت الحملة الصليبية الأولي علي يد البابا "أوروبانوس الثاني" في مؤتمر كليرمون الكنائس عام١٠٩٥م ، فانطلق "جنود المسيح " يهتفون هذه مشيئة الرب " في حملات صليبية قتالية لتحرير بيت المقدس .. وكان الصليبيون يعدُّون المسلمين كفاراً ويقولون عنهم إنهم " جنس حيواني حقير" وكلاب وخنازير".. وبعد انتهاء الحروب الصليبية -خاصة في القرن الثالث عشر- ـ حدثت تغيرات جزئية في النظرة إلي الإسلام في أوروبا ، فقد عرف الأوروبيون أن المسلمين لا يعبدون الأصنام ، واكتشفوا كذب القصة التي لقيت رواجاً في الفترة السابقة ، وملخصها أن المسلمين قتلوا رئيس الأساقفة ، "تيمو السالزبورجي" لأنه حطَّم الأصنام التي يعبدها المسلمون، وإن كان الطعن في الإسلام قد أصبح أقل حدة في هذه الفترة ولكن بقي الطعن في الرسول ﷺ ، ورغم أن بعض الزعماء الدينيين والمصلحين قد نظروا للإسلام نظرة موضوعية إلي حد ما في هذه الفترة إلا أنهم واصلوا طعنهم في الرسول ذاته ، والمثال علي ذلك "أرنولد الليوبيكي" الذي وصف إيمان المسلمين وصفاً موضوعيّاً واحترامهم للمسيح ، ولكن أساء إلي الرسول ﷺ ، وأسماء "ماوميت" واعتبر أن محاربة الصليبيين للمسلمين "واجباً دينيّاً" ، لأن المسلمين ، كما ذكر ، هم "كتيبة الشيطان" .

ويقول القديس "توماس الإكويني" في كتابه "الشامل في الرد علي الكفرة" والذى خصصه للدفاع عن المسيحية والطعن في الإسلام ، بأن "ماوميت" ويقصد به الرسول ﷺ قد أغوي الشعوب بوعوده لها بالمتع الشهوانية ، وبالتالي لم يجد الشهوانيون أي صعوبة في اتباعه ، وأنه لم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر .

وعن أهم الأفكار التي شُوِّهت صورة الإسلام من خلالها في الماضي يقول المستشرق الألماني "جيرنوت روتر" في دراسته "الإسلام والغرب الجاران المتخاصمان" ، إنه بجانب فكرة عدوانية الإسلام ، تحتل مكانة المرأة المسلمة

في المجتمع المسلم الصدارة في صورة الإسلام كعدو ، وهي فكرة نمطية ثابتة تعود جذورها إلى القرون الوسطي ، حيث إن وعد القرآن للمؤمنين بالحور العين في الجنة ، وإعطاء الحق للمسلم في الزواج بأربعة نساء في الدنيا ، قد ساعد علي تثبيت صورة الإسلام علي أنه "الوليد الشهواني للشيطان" ومحمد ﷺ علي أنه "وحش جنسي" كما ذكر "إيمبريخو" رئيس كاتدرائية مدينة ماينتس في ألمانيا نهاية القرن الحادي عشر الميلادي .. وقال: "إن المسلمين يحتفلون بجميع أشكال الزواج التي تحرمها الشريعة الإلهية ، ولأنهم جرَّدوا المرأة المسلمة من حقوقها الطبيعية ، فإنها تسعي إلي ممارسة السحاق مع نظيراتها ويمارس الرجل اللواط مع مثيله ، والأخ يقيم علاقة آثمة مع أخته ، والأبناء يهتكون عرض أمهاتهم ، والأب يغتصب ابنته ، والشريعة الجديدة ، أي الإسلام تحل له كل ذلك !!"(١٣)

ويُعرّف الأب "لويس موريري" الرسول ﷺ في مؤلفه (القاموس التاريخى الكبير) عام١٦٧٤م حيث يقول :" محمد بني مزيف " عربي الموطن ... إلي أن يصل في تعريفه للإسلام بأنه مُكوّن من اليهودية وجزءًا آخر من أحلام هرطقية واستسهالات جنسية لطبيعة منحرفة .. وقد قامت جماعة من اللصوص الذين لا يعرفون الله ولا الدين باعتناق هذه الديانة.(١٤)

ثالثاً : كتابات الأدباء والسير الشعبية

تُعد "ملحمة رولاند" الفرنسية– ظهرت عام١١٠٠م تقريباً – من أكثر الأعمال الأدبية تشويهاً لصورة الإسلام والمسلمين في القرون الوسطي ، حيث روَّجت لفكرة اتهام المسلمين بعبادة الأصنام ، حيث جاء فيها أن المسلمين يعبدون ثلاثة أصنام هي : ماجوميت ــ المقصود الرسول ﷺ وأبولو وتيرفاجانت ، أي أن المسلمين لديهم الثالوث كما روَّجت الملحمة لتهمة أخري ، كانت رائجة في أوروبا في القرون الوسطي ، وهي أن المسلمين يعبدون الله ويعبدون معه

"فينوس" إله الحب عند الرومان ، وكان الدليل عندهم تعظيم المسلمين ليوم الجمعة ، حيث كان يوم الجمعة في القرون الوسطي هو يوم "فينوس"[١٥].. ومازالت الترجمة الألمانية للملحمة متواجدة حتي الآن من خلال كتاب بعنوان "كارل الأعظم " يرجع تاريخ نشره الي أوائل القرن١٣.

يقول المستشرق الألماني "جيرنوت روتر " في دراسته السابقة ، إنه إذا كان الأوروبيون قد استمتعوا في العصور الوسطي بتصوير محمد ﷺ في (السير الشعبية) على أنه وحش شيطاني مُخِيف ، وبالروايات التي تصف المسلمين وهم يقطعون أطراف الصليبيين وهم أحياء وينزعون أحشاءهم من أجسامهم .. فقد احتل مكانها اليوم كتب مثل :"سيف الله" "سيف الإسلام" ، و"السيف الأخضر" .. الخ .. وقد وصف الشاعر الألماني الشهير جوته (١٧٤٩-١٨٣٢) الرسول ﷺ بأنه نصب حول العرب غلافاً دينيّاً كثيباً ، وعرف كيف يحجب عنهم الأمل في أي تقدم حقيقي .. أما الكاتب الشعبي الألماني كارل ماي (١٨٤٢- ١٩١٢) فقد امتلأت أعماله التي انتشرت علي نطاق واسع في أوروبا بالتعبير عن إحساس الغربيين بالتفوق ، إلى جانب تثبيت صورة ذهنية سلبية عن المسلمين في عقول عدة أجيال من الناطقين بالألمانية ، حيث صور المسلمين بأنهم أشخاص محتالون متجهِّمون ، يتميزون بالوحشية ، ولكن ينتصر عليهم "المجاهد في سبيل المسيح" والذي يطلق عليه اسم "كارا بن نيمس" ، كما صور كارل ماي شخصية المسلم -الحاج عمر خلف - في رواياته ، بأنها شخصية تتصف بالغباء والتخلف ويسهل خداعها [١٦].

كما وصف الأديب الشهير "ديدروت" الرسول ﷺ بأنه "أكبر عدو للعقل السليم".. أما الأديب الفرنسي بييربل فقد كتب عام ١٦٩٧م في (القاموس التاريخي والنقدي) عن النبي ﷺ قائلاً : "إن الملاك جبريل قد علّمه وصفة " الطبيخ" ، التي تمنحه القوة الفائقة للاستمتاع بالنساء ، وعندما أكل منها أول

مرة كان من القوة بحيث هزم أربعين رجلاً وضاجع أربعين أمرأة دون أن يتعب !!(١٧)

رابعاً : الدراسات الاستشراقية :

والمقصود بها الدراسات التقليدية القديمة .. والاستشراق مصطلح عام يطلق عادة على اتجاه فكري يهتم بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة الإسلام وحضارته وتاريخه بصفة خاصة .. والمستشرق ، بالمعني العام ، هو كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق في كل ما يتعلق به، ومن هنا يتضح أن الاستشراق وضع الأمة الإسلامية بكل أركانها وعناصرها ومختلف نتائجها تحت المنظار الدقيق ، الذي يرصد كل شيء مهما كان بسيطاً في نظر المسلمين ، وهم بذلك يستجمعون كل الأطر لتكون ضربتهم قاصمة لها دوى كبير لا يمكن تجاوز آثارها إلا بعد سنوات من التصفية والتنقية.(١٨)

والمستشرقون ثلاثة أنواع :

الأول : منصف معجب بالإسلام ، والثاني : محايد حمله علي دراسة الإسلام حب الاستطلاع والولوع بالمعرفة آيّاً كان مصدرها ، أما النوع الثالث: نوع حاقد متعسف للغاية لا يكف عن الطعن والتشكيك في الإسلام ، وقد أفرز هذا الفريق أكثر من ستين ألف مجلد كلها سموم وأحقاد ، وهذا النوع هو الذي سوف نشير إليه وإلى دوره في صنع العداء للإسلام: ومن أهم هؤلاء المستشرقين إيجانس جولد تسهير(١٨٥٠- ١٩٢١) الذي حاول بكل قوة أن يثبت عدم مجيء النبي ﷺ بجديد ، وأنه أخذ كل شيء من اليهود والنصاري ، وباول كراوس (١٩٠٤- ١٩٤٤) الذي قام بنشر كتب الملاحدة والزنادقة التي تطعن في الإسلام وعقيدته ، وجوزيف فان إس ، والذي يصفه الباحثون بأنه أشد عداءً للإسلام من سلمان رشدى صاحب رواية "آيات شيطانية" وكذلك المستشرق الهولندي "جاك فار دينبورج" ،إلي جانب "جوستاف جرونبام " وغيرهم الكثير.

والمثير للدهشة أن المستشرقين حينما يتعرضون للأدب العربي وتراثه يتحدثون عنه بموضوعيه واحترام , ولكن عندما يتحدثون عن الإسلام تمتلئ كتاباتهم بالطعن في العقيدة الإسلامية ، والدليل علي ذلك كتاب كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" والذي يتناول التراث الأدبي العلمي للعرب والمسلمين بتقدير واضح ، ولكنه في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية " يطعن في الإسلام ويسخر منه خاصة عند الحديث عن ظهور الإسلام وسيرة الرسول ﷺ وكذلك المستشرق مونتجمري وات ، الذي يمجد الإسلام في كتاب "فضل الإسلام علي الحضارة الغربية " بينما يمتلئ كتابه "الإسلام" بالطعن والتشكيل في الإسلام وعقيدته (١٩).

دوافع الاستشراق :

١- الدافع الديني:

حيث فكرت البابوية في روما منذ عصر النهضة في مواجهة المد السريع للإسلام فدفعت بالرهبان والقساوسة لدراسة الإسلام وعلومه الي جانب اللغة العربية ، بهدف إثارة الشبهات حول الإسلام والتشكيك فيه ، كوسيلة لتطويق الثقافة الإسلامية وفرض الثقافة الغربية ، إلي جانب منع انتشار الإسلام في أماكن أخري من أوروبا .

٢- خدمة أهداف الاستعمار :

حيث أسس الاستعمار حركة الإستشراق واستعان بالمستشرقين ، من أجل التعرف علي الأفكار ، ومن ثم الدعايات وإثارة الفتن وإشعال الخلافات في البلاد التي أرادوا استعمارها في العالم الإسلامي.

٣- خدمة مخططات اليهود :

وقد أشار إلي ذلك الأستاذ محمد البهي في كتاب "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار" بقوله :"إن هؤلاء أقبلوا علي الاستشراق لأسباب دينية وأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية وإقامة دولة "لليهود".

تأثير الاستشراق :

فالشبهات التي دسها المتشرقون حول الإسلام كان لها الأثر الخطير في رسم صورة للإسلام في أذهان الأوروبيين على أنه دين قتل وأنه انتشر بالسيف وأنه يعرف الطبقية ويقهر المرأة ويهضم حقوقها.[٢٠]

المبحث الثالث

واقع المسلمين المعاصر

أولاً : في العالم الإسلامي:

إن خوف العرب المسلمين التقليدي من الغرب كان بسبب النزعة الاستعمارية للغرب .. حيث يرى د."كاى هانز" الباحث – المتخصص في دراسة صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية – في معهد الشرق الألماني في هامبورج ، أن هذه النظرة التآمرية لدى العالم الإسلامي تجاه الغرب ، ترجع إلى خبرته في التحيز والنزعة الاستعمارية خلال أزمات وحروب القرن العشرين والذي سبقه، ويشمل ذلك النظرة الإسلامية لقيم الحضارة الغربية باعتبارها قيما مادية دنيوية، وأنها ذات تأثير سلبي علي الثقافة الإسلامية ، حيث يرى الباحث أن هذه النقطة تعد من أهم أسباب تدهور صورة الإسلام في أوروبا والغرب بصفة عامة خلال السنوات الأخيرة.[٢١]

تراجع مكانة العالم الإسلامي الحضارية

بدأ العالم الإسلامي يتراجع حضارياً منذ بدايات عصر النهضة الأوروبية ، بعد أن ساد العالم لعدة قرون ، في السلم والحرب ، ثم كان السقوط الأكبر بعد انهيار الخلافة العثمانية ، التي بسطت سلطانها علي أجزاء كبيرة من العالم لعدة قرون ، مما أدى لتمزق أوصال العالم الإسلامي ، الذي أصبح معظمة خاضعاً أو تابعاً لدول الغرب. أو في طريقه للخضوع والتبعية ، وهكذا انقلبت الموازين وتغيرت الأوضاع ، ومازال العالم الإسلامي مع خلال الألفية الميلادية الثالثة ، علي ما هو عليه من ضعف وتراجع حضاري ، وقد أصدر المستشرق

الأمريكي "برنارد لويس" كتاباً مع بداية عام ٢٠٠٢م بعنوان "أين الخطأ ؟" يطرح فيه قضية المأزق الحضاري للعالم الإسلامي ، ثم يتساءل في نهاية الكتاب عن السبب في ذلك فيقول : لماذا حدث ما حدث وأين الخطأ ؟

ويرد برنارد لويس على هذا التساؤل فيقول : " إن المشاهد الغربي الذي تعلم ومارس الحرية ، يرى أن الخطأ يرجع الي نقص الحرية في التفكير والتعبير ، وفي حرية الفرد أن يستقصي ويتساءل ، تحرير الاقتصاد من الفساد وسوء الإدارة ، وتحرير النساء من قهر الرجال ، فمع دخول العالم الإسلامي للقرن الحادي والعشرين إلا أنه مازال يعاني من الفقر والجهل والضعف".[٢٢]

ويتطرق لويس في كتابه ، الذى نُشرت أهم أفكاره في مقالة بمجلة The Monthly Atlantic عدد يناير ٢٠٠٢م ، إلى البحث عن المسئول عن حالة الضعف والتراجع التي يعاني منها العالم الإسلامي .. ويتوصل إلى أن المسلمين أنفسهم هم المسئولون عن ذلك ، حكاماً وشعوباً ، وأن الاستعمار الذي تعرَّض له العالم الإسلامي خلال القرن العشرين ، هو نتيجة ، وليس سبباً ، للضعف الداخلي الذي يعتري العالم الإسلامي ويرى لويس أن هناك إجابتين عن السؤال الرئيسى "أين الخطأ" ، الأولى تنسب كل الشرور إلي التخلي عن الموروث الديني للإسلام وتبني الدعوة للعودة إلي الماضي .. والثانية تدين الماضي وتتبنى الديمقراطية العلمانية والتي تمثلها تجربة كمال إتاتورك.

إن الأزمات والمشاكل التي تنشأ في الشرق الأوسط نفسه وبعض المناطق الإسلامية الأخرى تعد من أهم أسباب تراجع مكانة العالم الإسلامي الحضارية ففي الصحف ومحطات التلفزيون ووكالات الأنباء تجد أن هناك تركيزاً واضحاً علي مثل هذه المناطق التي تكون أغلبيتها مسلمة.. وتحاول إظهار المسلم وكأنه يفتقر إلي المعرفة والتعليم والعلم ، وأنه جاهل بكل شيء خاصة عندما يبرز حاكم أو زعيم مستبد ، (مثل صدام حسين) ، في تلك الأماكن ، فتسلط وسائل

إعلام الغرب عليه الضوء ، وتحاول أن تنسب كل خطوة يخطوها هذا الحاكم المستبد إلى الإسلام.(٢٣)

كذلك فإن فشل العالم الإسلامي في استخدام وسائل الاتصال الجماهيرية في رسم صورة ذهنية إيجابية للثقافة والحضارة الإسلامية يعد سبب آخر في تراجع صورة العالم الإسلامي حضارياً .. ومن الأمثلة في هذا السياق ما ذكره البروفيسور "أكبر أحمد" -عمل كمنتج تنفيذي في محطة B.B.C – من قيام ملك أسبانيا الحالي "خوان كارلوس" بتقديم الاعتذار لليهود عن محاكم التفتيش في أسبانيا في القرن الخامس عشر ، ولكنه لم يهتم بالاعتذار للمسلمين ، رغم أنهم قد أُضيروا أكثر من اليهود في هذه الأحداث المأساوية ، وذلك علي الرغم من أنه من الزعماء الذين يهتمون بإقامة جسور وروابط قوية مع الشعوب والحضارات ، ولكن المسلمين لم يقوموا بأية تحركات في هذا الصدد ، ومازالوا يكتفون بالبكاء علي ضياع الأندلس في الأدب الشعبي دون ترجمة ذلك إلي تحركات دبلوماسية وسياسية باستخدام الإعلام .

أم الخلافات والمشاكل والانقسامات السائدة في العالم العربي والإسلامي.. سواء علي مستوى الدول (كمشاكل الحدود) أو علي مستوى الأفراد والجماعات والهيئات فهي أهم أسباب تراجع صورة العالم الإسلامي حضارياً ، فهناك خلافات قائمة منذ فترة بعيد بين العلمانيين وأنصار الحل الإسلامي ، وخلافات بين الشيعة والسنة ، وخلافات بين الجماعات الدينية نفسها ، فهناك الطرق الصوفية والجمعيات الشرعية وأنصار السنة ..الخ ، إلي جانب الاختلاف في المدارس الفكرية والثقافية والأدبية .

وفي هذا الصدد قال جمال الدين الأفغاني منذ سنوات طويلة "إن الغربيين يستمدون فكرتهم عن الإسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين ،حيث يرون المسلمين متخاذلين ضعفاء، فرقت بينهم الأهواء والشهوات ، وقعدت بهم الصغائر وانصرفوا عن عظائم الأمور".

وهكذا أصبحت وسائل الإعلام في أوروبا تتحدث عن الإسلام التقليدي أي إسلام عامة الشعوب المسلمة ، والإسلام الرسمي ، الذي تقدمة المؤسسات الدينية الرسمية ، والإسلام الأصولي ، نسبة لما أسمتهم بالجماعات الأصولية وهناك أيضاً الإسلام السياسي نسبة إلي الجماعات الإسلامية التي تقوم بالعمل السياسي ،أضف إلي ذلك ما يسمونه ،الإسلام الوهابي، حتى أصبح المستشرقون يقولون دائماً للمسلمين عن أي إسلام نتحدث ؟!

ثانياً : أوضاع المسلمين في المجتمعات الأوروبية :

١ـ **الهجرة المتزايدة** لمواطني الدول الإسلامية إلي أوروبا والولايات المتحدة:

يقول عنها "كاي هانز" أنها جاءت في ظروف اقتصادية صعبة ، حيث ارتفاع معدلات البطالة في كثير من الدول الأوروبية ، مما أسهم في إيقاظ الصورة العدائيه للإسلام ، وأعطاها بُعداً جديداً ، ففي ألمانيا علي سبيل المثال ، ومع ازدياد الهجرة المسلمة بداية من خمسينات القرن العشرين أصبحت صورة المسلمين سلبية ، ثم استقرت تلك الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين في الأذهان حتى اليوم.

راحت أصوات كثيرة تحذِّر عبر وسائل الإعلام المختلفة من مخاطر الهجرة المسلمة ، (لاحظ التركيز علي الهجرة المسلمة بصفة خاصة) وقد زاد هذا الاتجاه في وسائل الإعلام مع انتشار موجات العنف ضد الأجانب (جماعات النازية الجديدة) التي تدعو لطرد الأجانب من أوروبا.. فقد أشار تقرير للمعهد الملكي للشئون الدولية في لندن عام١٩٩٢م تحت عنوان "أوروبا والعرب".. شقاق أم وفاق " إلي أن الإسلام كان دائماً يثير قلق الأوروبيين ، لكنه اليوم أصبح جزءاً من واقع ثقافي يميز أفقر الأحياء في بعض مدن أوروبا الغربية[٢٤].

٢ـ بعض الحوادث بين أبناء المسلمين في أوروبا :

رصدت تقارير صحفية عديدة في السنوات الأخيرة ظواهر إجرامية منسوبة إلى بعض أبناء المسلمين ، خاصة في الأوساط الفقيرة وذات التعليم الأقل ، حيث أُتهم هؤلاء الصبية والشباب بترويج المخدرات والتعامل معها ، خاصة في بريطانيا ، وبالتالي تعكس التقارير الصحفية صورة سلبية عن المسلمين الشباب من خلال التركيز الدائم علي هذه الممارسات .

ويعكس المفكر الألماني البارز Jochen hippler في كتابه "الخطر القادم " جزءاً من هذه الأوضاع ، حيث يشير إلي وجود أعداد من المشردين والباحثين عن مأوى من المسلمين بقوله :"إن ما يجري أمام عيوننا من سياسات تجاه الباحثين عن مأوى والهاربين يُخيفني بأكثر مما تخفيني الأصولية الإسلامية ، إذ أن صورة القادم من الجنوب "العدو" تقوّى الانحياز ضد الإسلام وتولّد العنصرية ضد المسلمين ، وتدعم بشدة مفهوم أن الخطر الذي يهدد أوروبا إنما يهدد إنسانيتها.[٢٥]

٣ـ الخلافات المذهبية بين الأقليات الإسلامية :

انتقلت مشاكل وسلبيات العالم الإسلامي إلي المجتمعات الإسلامية في الدول الأوروبية ، مما أدى إلي قيام العديد من الهيئات والمراكز الإسلامية ، والتي تكون أحياناً مرتبطة بسياسات واتجاهات الدول أو الجهات التي تموّل هذه الهيئات والمراكز وبالتالي ظهرت بوادر الانقسام والفرقة بين أبناء الأقليات الإسلامية في أوروبا ، فكل هيئة أو منظمة تدعى أنها تمثل المسلمين وأصبح اختيار ممثل رسمي للمسلمين يتفقون عليه أمام السلطات في الدول الأوروبية ، مشكلة شائكة حتى اليوم.. إلي جانب ذلك هناك خلافات بين المسلمين في أوروبا حول التوجهات السياسية للدول التي ينحدرون منها ، مثل الانخراط في السياسة والأحزاب السياسية وطرق التعامل مع الحكومات الأوروبية فقد عكست

صحيفة "الإندبندت" البريطانية أحد الانقسامات الشهيرة بين صفوف مسلمي بريطانيا ، وعالجت في تقرير لها يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٩١م قضية إنشاء برلمان إسلامي ، كهيئة سياسية إسلامية ، علي يد المهندس "كليم صديقي" فأشارت إلي اتهام البعض لهذا البرلمان بأنه مجرد لعبة غربية ، والبعض الآخر يراه شكلاً من أشكال التفرقة العنصرية ، وأن البعض من زعماء المسلمين يعترض علي أي فكرة تدعو للفصل بديلاً عن الإندماج في المجتمع الأوروبي.

٤- عدم الفهم المتبادل بين الأقليات الإسلامية والمجتمع الأوروبي

ولقد أدى عدم الفهم المتبادل بين الأقليات الإسلامية إلى تشويه صورة الأقليات المسلمة في وسائل الإعلام المختلفة .. فقد صدرت في ألمانيا دراسة إعلامية مهمة في شهر يناير ١٩٩٦م حول دور التليفزيون في أوروبا بالنسبة للجاليات الأجنبية وعلي رأسهم المسلمون .. فقد خلصت الدراسة (بالتطبيق علي التلفزيون في ألمانيا) إلي أن التلفزيون عمد إلي تقديم صورة سلبية للأجانب بدلا من تقديم صورة موضوعية وواقعية ، ويرجع ذلك إلي قلة الإهتمام الإعلامي بقضايا المسلمين ومشاكلهم ، علي وجه الخصوص ، مما أدي إلي قيام مشاكل مزدوجة تتعلق بجهل الأوروبيين بمشاكل الأقليات التي تعيش في أوروبا من جهة وعدم معرفة الأقليات بواقع الحياة الأوروبية ، بشكل يزيد الهوة ويضاعف موجة العداء للأجانب .. وأكدت الدراسة أن المعطيات السابقة قد زادت من العزلة التي يعيشها المسلمون ومن شعورهم بعدم الثقة في الإعلام الأوروبي الذي إلى جانب قلة الاهتمام يشوّه الصورة الذهنية عنهم ، مما دفع بعض الشركات التجارية في ألمانيا لإنشاء محطات تلفزيونية خاصة باللغة التركية بهدف الربح المادي في حين دعت الدراسة إلي ضرورة تقديم برامج تلفزيونية تناقش مشاكل دمج الجيل الثاني والثالث في المجتمع الألماني مع الحفاظ علي الهوية الدينية والثقافية .

أحداث تتعلق بالرأي والتعبير :

هناك بعض الأحداث التي ساهمت في تكوين صورة سلبية عن العرب والمسلمين في الإعلام الأوروبي مثل:

١ - **كتاب " آيات شيطانية "** للكاتب البريطاني الجنسية الهندي الأصل "سلمان رشدي" ، وما صاحب ذلك من ضجة ثقافية وإعلامية بسبب وردود الأفعال القاضية في العالم العربي الإسلامي مثل المظاهرات والاحتجاجات ، إلي جانب إصدار زعيم الثورة الإيرانية " آية الله الخوميني " لفتوى تبيح إهدار دم سلمان رشدي ، ثم وقوف كثير من الهيئات والجهات في أوروبا بجانب سلمان رشدي ، خاصة بريطانيا التي وفرت الحماية اللازمة للكاتب ، بوصفه مضطهد من "الأصولية الإسلامية" وكأحد ضحايا حرية الرأي والتعبير،وسرعان ما صارت الجلبة حول كتاب "آيات شيطانية " حدثاً دولياً .. ومن الملاحظ أن الكثير من المعلقين والخبراء في أوروبا قد تجاهل اختلاف ردود أفعال العرب والمسلمين تجاه الكاتب نفسه ، خاصة أن الأزهر قد عارض فتوى الاغتيال ، وطالب باستتابة الكاتب أولاً .. ولكن وسائل الإعلام استناداً لآراء المعلقين تجاهلت أيضاً الآراء الإسلامية المتزنة والعاقلة في معالجة الأزمة وكان التركيز علي فتوى الخوميني والسخط الشعبي في العالم الإسلامي ، كما ركزت وسائل الإعلام علي منع الكتاب في الدول الإسلامية ودعاوى مقاطعة ناشريه.

ورغم أن قضية "سلمان رشدي" قد أُثيرت في ظل دعوات صدرت في نفس الفترة من الأوساط الأكاديمية في أوروبا وأمريكا لوضع الحدود لحرية الكلمة وإدانة الأدب المكشوف والصور الفاضحة وكذلك إدانة "كلام الكراهية " مثل دعاوى العنصرية والتعصب ، ولكن الإعلام الأوروبي في غالبيته دافع عن الكتاب والكاتب بدعوى حرية التعبير ، مما أدى إلي صدم مشاعر المسلمين ، وبالتالي إعلان معاداة الإعلام الغربي للمسلمين .. فالكتاب وردت فيه فقرات تتساءل عن حقيقة القرآن وتسخر من الرسول ﷺ بطريقة سافرة من خلال

الأحداث الدرامية المصاحبة للكتاب ، إلي جانب المظاهرات التي اندلعت في بداية عام ٢٠٠٦م في معظم الدول الإسلامية بسبب أزمة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ في إحدى الصحف الدنماركية ، يولاندز بوست ، والعنف الذي تخلل بعض هذه المظاهرات ، فقد أدَّت مثل هذه الأحداث، إلي أن أصبح المسلمون في جميع أنحاء العالم موصومين بأنهم أبناء "ثقافة الجريمة" وفقاً لوصف وسائل الإعلام الغربية ، وبالتالي أصبح الإسلام في نظر الكثير من الأوروبيين مصدراً للإزعاج والفوضى والاضطرابات في العالم.

٢- بعض الممارسات غير المسئولة في العالم العربي والإسلامي

سواء أكانت من الأفراد أم الهيئات أم بعض الحكومات ، حيث تستغلها وسال الإعلام الأوروبية وتقوم بتهويلها وتضخيمها ، ثم وصف الإسلام والمسلمين بالأوصاف التي ترتبط بالشخص الذي قام بالحدث ، وتقديم هذا الشخص علي أنه ممثل الإسلام والمسلمين(٢٦) .. مثل هدم "طالبان" لتماثيل بوذا في أفغانستان، والدعاوي القضائية ضد بعض المفكرين والكتاب للتفريق بينهم وبين أزواجهم أو زوجاتهم ، مثل نصر أبو زيد ، نوال السعداوي .. وكذلك أحداث الفتنة الطائفية المصطنعة في الصعيد ، والفتاوى المتشددة التي أصدرتها حركة طالبان بحق المرأة أو الفن ، أو حتي فتاوي علماء السعودية حول تحريم قيادة المرأة للسيارات ، أو المظاهرات والدعوات التي تطالب بمنع كتب تسيء للإسلام ،مثل رواية أعشاب البحر ، أولاد حارتنا ، رواية تسليمة نسرين .. وهناك عشرات الأمثلة علي ذلك يصعب حصرها ..

ولكن هناك بعض المعالجات الإعلامية في الصحف الأوروبية تحاملت علي الإسلام والمسلمين دون وجه حق تحت مسمي حرية الرأي والتعبير ، مثل هجوم "مارك هوبند" الكاتب بصحيفة "الفاينشال تايمز" البريطانية علي مصر لمنعها تدريس كتاب لـ Maxime Bondison في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لأنه يتعرض بالإساءة البالغة للرسول ﷺ بعد أن أثار صلاح منتصر الكاتب

بجريدة الأهرام هذا الموضوع في صحيفته ، مما دعا وزير التعليم العالي إلي حظر تدريس الكتاب .. ويرى الكاتب في مقاله ، الذي نشر بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٨٨م أن الحكومة المصرية قد استجابت للضغوط والتهديدات التي تعرضت لها من قبل المنظمات الإسلامية.

المبحث الرابع
الإسلام كعدو وظاهرة "إسلام فوبيا"

ظهرت في السنوات الأخيرة (ظاهرة خطيرة) في الإعلام الأوروبي ، والغربي بصفة عامة ، وهي ما يطلق عليها نزعة الخوف المرضي من الإسلام Islam phobia حيث أصبحت وسائل الإعلام تنظر إلي المسلمين بعين الشك والريبة وأصبح الإسلام مرادفاً للتطرف والإرهاب .. مما أدى إلي تحوُّل العداء الأوروبي التاريخي لليهود إلي عداء حديث للمسلمين ، فقد أصبح الإسلام حالياً هو "العدو" والمسلمون هم الخطر الجديد الذي حل محل الشيوعية في تهديد الأسس الأخلاقية التي تقم عليها المجتمعات الأوروبية . (٢٧)

بعض الدراسات الإحصائية الحديثة أشارت إلي أن ٤٢ % من الشعب الفرنسي يعتبر الإسلام خطراً علي الهوية الوطنية الفرنسية ، رغم أن نسبة المسلمين في فرنسا تصل إلى حولي ١٠ % وهي أكبر نسبة للمسلمين في الدول الأوروبية الغربية ، كما أشارت الدراسات إلى أن ثلثي الفرنسيين والألمان يرون أن محاولة اندماج المسلمين سواء في المجتمع الفرنسي أو الألماني هي محاولة فاشلة !! (٢٨) وبالتالي فإنه لدى وقوع أي عمل إرهابي يقوم به مسلم متطرف ، أيا كانت الجهة التى ينتمى إليها ، فإن تهمة الإرهاب توجه إلى كل هذا المجتمع وبالتالي إلى الإسلام.(٢٩)

وبناءً علي ما تقدم سنحاول في السطور القادمة تفسير وتحليل هذه الظاهرة ، أملاً في الوصول إلى الدوافع والأسباب وراء هذه الظاهرة مع التركيز علي المعالجات الإعلامية.

أولاً : الجذور التاريخية للظاهرة:

يرى بعض المتخصصين في علوم الإعلام أن "الإسلام" في الغرب "صحافة سيئة" وذلك منذ ألف وأربعمائة عام !! وأن المجتمع الإعلامي المعاصر ما زال علي صلة بهذا التقليد ، بل يعيد باستمرار إحياء التصورات القديمة عن العداء بين الشرق والغرب ، كما أن أغلبية التقارير الخبرية لوسائل الإعلام في الغرب تجسد نوعاً من "فوبيا الإسلام" الذي مازال ينظر اليه بشكل سلبي منذ قرون(٣٠).

مرت ظاهرة الخوف من الإسلام بثلاثة مراحل في أوروبا والعالم الغربي:

١- أثناء العصور الوسطي ، حيث سادت مقولة إن الإسلام دين عنف انتشر بالسيف ، وبدأ الهجوم علي الإسلام كبيراً في هذه الفترة بفضل التوجهات والحروب الصليبية ،والنظر للمسلمين في الأندلس علي أنهم غزاة .

٢- في عصر النهضة خلال القرنين ١٥، ١٦ في أوروبا ، حيث خفَّت حدة النظرة السلبية للإسلام والسملمين ، ولكن لم تختف نهائيّاً رغم دور العالم الإسلامي في نقل الحضارة والتقدم إلي الدول الأوروبية.

٣- في القرن ١٨ والقرن ١٩، بدأ الغرب يعرف طريقه نحو الاستشراق لمعرفة أسرار الشرق المسلم ، وصاحب ذلك النزعة الاستعمارية والتوسعية للغرب ، فأصبح ينظر إلي الغرب علي أنه عالم الاستعمار ونهب الثروات وتهديد الهوية ، وبالمقابل كانت النظرة الغربية للعالم الإسلامي أنه عالم النساء والثروات الملئ بالجهل والخرافات والأخلاق الوضيعة ، وظلَّت هذه التصورات دفينة في الوجدان الشعبي للشعوب الأوروبية حتي الآن(٣١).

ثانياً : تحليل الظاهرة من وجهة النظر الأوروبية :

أ- الجانب النفسي :

يقول المؤرخ المعروف توينبي أن الغرب يبحث عن عدو لكي يشبع النفسية الأوروبية القائمة علي (التحدي) ، وهذه النظرية التي بنى عليها الغرب فلسفته، تفسر لنا الحرب الباردة التي امتدت عقوداً من الزمان ، وهي الوسيلة التي استخدمها صانعو القرار في القضايا الساخنة مثل : حرب الخليج ، والبوسنة، والعراق ،وأفغانستان ،والحرب علي الإرهاب (المقصود الإسلام طبعاً) ولم يجد الغرب بعد سقوط الشيوعية حالة التحدي الدائمة إلا في الإسلام ، العدو البديل ، فاستغل ما يسمي بالأصولية الإسلامية مستخدماً الآلة الإعلامية الجهنمية ، فصوَّب سهامه إليها علي أنها الخطر الداهم وربطها بالقتل وسفك الدماء .. وبالتالي نجد أن العديد من التقارير الإعلامية في معظم وسائل الإعلام الأوروبية والأمريكية تقوم علي أساس تقديم نظرة "انتقائية" للأحداث والتطورات السلبية في العالم الإسلامي ، وفق مفهوم "تصور العدو" الذي أضحى جزءاً من علم النفس الاجتماعي ، وبناءً عليه مازالت الصور النمطية والكلاشيهات ، القديمة عن الإسلام مستمرة في وسائل الإعلام الغربية.[٣٢]

ب- الجانب الفكري :

١- يتفق عدد كبير من العلماء والمفكرين والأكاديميين في الغرب ، علي أنه بعد انتهاء الحرب الباردة ، فإن الصراع أصبح حضارياً ، وليس سياسيًا أو عسكريًا أو اقتصاديًا ، وأن الصراعات الكبرى في العالم ستدور بين أمم وشعوب تنتمي إلى حضارات مختلفة ، وستكون الخطوط الفاصلة بين الحضارات هي نفسها خطوط القتال في المستقبل.[٣٣]

٢- ويرشح أحد هؤلاء المفكرين "صامويل هانتنجتون" الحضارة كمركز للصراع مع الغرب في المستقبل القريب ، باعتبار أن الوعي بالانتماء

الحضاري يبدو أوضح ما يكون الآن في البلدان الإسلامية التي تتمسك شعوبها بثقافاتها الموروثة ، وهناك حضارات أخرى مرشحة للدخول في صراع مع الغرب وهي : الكونفوشية واليابانية والهندية واللاتينية .. ويرى هانتنجتون أن حرب الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت) هي الحلقة الأولي في سلسلة الحروب الثقافية ضد الحضارة الإسلامية ، حيث تحقق فيها ما يسمي بالاصطفاف الحضاري الجزئي ، أي اتخاذ كل حضارة الطرف الذي يمثلها.(٣٤)

٣- يرى بعض المفكرين تزايد الشعور بالعداء ، بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، حيث كان لأزمة البترول في بداية السبعينات انطباع خاطئ بأن العالم العربي يستطيع التحكم في المستقبل الاقتصادي للدول المتقدمة بالإضافة إلي غزو العراق للكويت ، الذي عزّز الصورة الشائعة ، التي تري أن العالم العربي يخوّن الغرب إلى جانب تزايد الخوف من الحركات الإسلامية بعد أحداث الجزائر ١٩٩٢م ، حيث يري بعض الخبراء السياسيين أن التيار الإسلامي يمكن أن يقوم بزعزعة الاستقرار في الدول العربية والغربية إذا ما وصل للحكم لعدائه للقيم الغربية .. كما يتساءل الخبراء الاستراتيجيون عن الخطر الذي سيمثله العالم الإسلامي إذا أصبحت لديه أسلحة نووية علي أمن أوروبا خلال القرن الحادي والعشرين.

٤- يري المفكر الفرنسي المعروف جاك بيرك أن أسباب تشويه صورة الإسلام نتيجة للخوف من الإسلام ترجع إلى :

١- أن العرب والمسلمين.. هم الأكثر قرباً من الغرب من حيث الجوار الجغرافي ، فالعلاقة بين "الإسلام والغرب " هي الجوار والعداوة أيضاً .. كما أن هناك صلات ثقافية وعلمية متبادلة بين الغرب والإسلام منذ عصر الأندلس.

٢- العالم الإسلامي هو العقبة أمام السيطرة الغربية علي العالم .. فالغرب لا يخفي خوفه الدائم من الإسلام ، لأن المجتمعات الإسلامية هي العقبة الكبيرة في طريق أية محاولة غربية للسيطرة علي العالم .. ويختم بيرك حديثه لجريدة

الأهرام يوم ٢٢ إبريل ١٩٩٣م .. بقوله "إن ما يدعو للدهشة أيضاً هو أن الولايات المتحدة تدين التطرف الذي تحاول وسائل الإعلام إلصاقه بالإسلام وتأوي في ذات الوقت المتطرفين في أراضيها ، وتقدم لهم المساعدات في كل مكان.

٣- أما الدكتور "إدوارد سعيد" وهو مفكر أمريكي من أصل فلسطيني فقد كتب عام ١٩٨١م دراسة نشرها في الولايات المتحدة ، قال فيها : "الإسلام بالنسبة للعامة في أوروبا وأمريكا أخبار غير سارة .. ذلك أن وسائل الإعلام والحكومة والخبراء المتخصصين في الإسلام ، علي الرغم من أنهم هامشيون في الثقافة ككل ، جميعاً يعزفون لحناً واحداً ، (الإسلام خطر علي حضارتنا) .. وما أقوله هو أن الصور السلبية للإسلام سائدة بكثرة شديدة تفوق أية صور أخرى ، وأن مثل هذه الصور لا تتعلق بحقيقة "الإسلام".. ولكنها تتعلق بما تظن قطاعات بارزة في مجتمع بعينه أنه الإسلام " الإسلام والغرب " وهل هو صدام بين الحضارات ؟ هذه القطاعات لديها القوة والإرادة لكي تروِّج للصورة السلبية للإسلام ، ومن ثم تصير هذه الصورة أكثر انتشاراً وأكثر حضوراً من أية صور أخرى".. فالسبب يرجع كما يرى إدوارد سعيد ، إلي المفكرين والخبراء الاستراتيجيين إلي جانب وسائل الإعلام ، من خلال الترويج لتصرفات وأفكار يعتقدون أنها هي الإسلام.

٤- يقول الباحث الأسباني "ماريانو أجيري" مدير معهد الدراسات في مركز أبحاث السلام بمدريد : هناك تساؤل في الغرب وأوروبا عن العدو الذي يحل محل الشيوعية بالنسبة للغرب وكان الجواب هو إجماع المتخصصين في العلوم السياسية والإستراتيجية علي أن التيار الإسلامي هو العدو الواضح في نهاية القرن العشرين وفي سبيل التصدي لهذا العدو ، قام مفكرون محافظون بصياغة نظرية صراع الحضارات ، بينما يقوم العسكريون بوضع استراتيجية عسكرية جديدة لإبادة هذا العدو وأضاف أجيري : " إن هذه الأفكار المتناثرة لتفسير

الفوضى الكبيرة في الجنوب واعتبار الغرب غير مسئول عنها ، قد وجدت من صاغها في نظرية في صيف ١٩٩٣م ، وهو الباحث الأمريكي المعروف "صامويل هانتنجتون" الذى نشر مقالاً شهيراً في مجلة "فورن أفيرز" بعنوان "صراع الحضارات " قبل أن يحولها إلي كتاب يحمل نفس الاسم ، ويختتم الباحث الأسباني حديثة ، بعد انتقاد نظرية "صراع الحضارات".. قائلاً : ألم يكن جديراً بأوروبا أن ترفض هذه الرؤية القائمة علي العداء للأجانب وتبسيط الأمور مثلما هو واضح في نظرية هانتنجتون ، وأن تدعو إلي "حوار بين الثقافات " كنموذج سياسي في نهاية القرن العشرين.[٣٥]

ج ـ الجانب الثقافي :

يتمثل الجانب الثقافي في رؤية الإسلام "كعدو" في وجهة نظر أوروبا والغرب حينما يحاول الأوروبي مواجهة الأجنبي ، فإنه لا يواجه كل أجنبي ، إنما يواجه من يري أنه يحاول أن يستقل ويتميز عنه هوية ووجوداً ، وهذا ما حدث للمسلمين في أوروبا الذين فكّروا في أن تكون لهم كيانات ومؤسسات خاصة بهم ، داخل مجتمعات لا ترغب في وجودها ، وهناك مهاجرون من جنوب شرق آسيا ومهاجرون ينتمون لديانات أخرى ، لا يتم التعامل معهم بنفس الحساسيات تجاه المسلمين.[٣٦]

يرى باتريك بالزمان ، وهو دبلوماسي سابق ومحلل بوزارة الخارجية البريطانية في كتابه (الإسلام في موضع الخطر) أن الكيفية التي يفكر بها غير المسلمين في الإسلام تتحكم في الكيفية التي يفكر المسلم بها في غير المسلم وكيفية تعامله معه .. فمجرد عملية التدين والعودة إلي جذور الإسلام الصحيح تمثل تهديداً ثقافيّاً ذاتيّاً للمواطن الأوروبي كما تري التغطيات الإعلامية .. مثلما نشرت صحيفة "دير شبيجل" الألمانية عقب انهيار وتفكك يوغوسلافيا السابقة"سرعان ما سيكون في أوروبا دولة ثيوقراطية متعصبة جاثمة علي أعتابها" وتلقي القراء تحذيرا من المجلة بأن" في الشرق الأوسط علي وجه

الخصوص ، وهو المركز الثقافي ومهد الإسلام ، يشكل الملتحون باطراد صورة مقاتل تتصف ملامحه بالجهاد والتضحية ، بالدم والتعصب والعنف وعدم التسامح وقهر المرأة ".. أما في فرنسا فإن النظرة الأساسية للمسلمين تتحدد باعتبارهم قوماً معادين للتقدم ومن أهل العنف ، ويمكن "شرح ذلك من خلال أصول دينهم " فإنه دين يدعو للحرب متعطش للغزو ملئ باحتقار غير المؤمنين".. وقضية الحجاب تمثل الفجوة المتزايدة في الاتساع بين المجتمع الفرنسي والأقلية المسلمة .

وفي أحد الاستبيانات نجد ثلاثة من بين كل أربعة فرنسيين تم سؤالهم يظنون أن كلمة متعصب تنطبق تماماً علي الإسلام .[٣٧]

كما عبَّرت الكتابات الأوروبية عن ذلك الخوف من الإسلام (من الجانب الثقافي) ومن منظور اختلاف المفاهيم والهوية الثقافية وتشير دراسة صادرة عن مركز فرنسا للعلاقات الدولية عام ١٩٩١م إلي أنه غالباً ما تعبر مخاوف الأوروبيين الغربيين عن نفسها في مصطلحات دينية وثقافية واقتصادية وسياسية أحياناً ، وبينما حدث في الماضي استيعاب مهاجرين آخرين ، فإن الكثيرين اليوم يشككون في إمكانية أو الرغبة في استيعاب المهاجرين الجدد لاسيما المسلمين الذين هم أجانب من الناحية الوطنية ومن الناحية الدينية والثقافية أيضاً لقد كان المهاجرون الذين وفدوا إلينا من قبل أوربيين ، أما هؤلاء فلا .. فالبنات اللاتي تصررن علي ارتداء الحجاب في مدارسنا لسن فرنسيات ولا يرغبن في أن يكن كذلك ... لقد كان الماضي الأوروبي أبيض يهودي – مسيحي .. أما المستقبل فليس كذلك .

ويبدو المسلمون في أوروبا أولاً .. مختلفين عن غيرهم من المهاجرين أو المواطنين الذين يشتركون في ثقافة يهودية مسيحية مشتركة ، (أيّاً كانت اختلافاتهم العرقية) .. والمسلمون فى الوقت الحالى يجدون أنفسهم في سياقات ثقافية غربية يُعتبرون فيها هم "الآخر" بمعني الكلمة ، ومن ثَمَّ فإنهم يشكلون

تهديداً .. وغالباً ما تكون التقسيمات التي تضع الإسلام في مواجهة الغرب قد فرضتها رؤية فكرية ودينية تميّز تراثاً يهودياً مسيحيّاً عن ديانات العالم "الأخرى" وتضعه في مواجهتها .. والإسلام على الرغم من تراثه التوحيدى ، قد تم وضعه ضمن مجموعة من "الديانات الأجنبية" مثل البوذية والهندوسية .. ويشمل ذلك التقسيم أو التصنيف البحوث والدراسات ، وفي المقررات الدراسية، والمكتبات وأماكن بيع الكتب(٣٨) ..ويرى النائب البريطاني جورج جلوى أن المشكلة التي نتحدث عنها تكمن في نظرة الدول الاستعمارية للشرق من خلال منظار الاستعلاء والسيطرة والخوف من الإسلام ، وبالتالي جعل الغرب ينظر للعالم الإسلامي بشيء من الخوف ، وأضاف أن ترويج الإعلام الغربي لبعض صور التطرف المرفوض ، رغم أن المهتمين بالثقافة العربية يعلمون أن ذلك لا يمت للإسلام بصله ولكن لا يعني ذلك أن جميع الشعوب الغربية تعلم ذلك.

أما صناع القرار في السياسة الخارجية :فإن هناك عدة أسباب بالنسبة لهم تتعلق بظاهرة "الإسلام فوبيا ":

١- الرغبة في إيقاف الهجرة المتدفقة من الدول الإسلامية بصفة خاصة من الدول العربية وتركيا ، في وقت تعاني فيه أوروبا من ارتفاع معدلات البطالة ، خاصة في ظل أزمة الديون الحالية في عدد من دول الاتحاد الأوروبي.

٢- اعتبارات استراتيجية للسيطرة علي الشرق الأوسط وبصفة خاصة منطقة الخليج.

٣- الخصومة والخلاف مع بعض الدول والسياسات الإسلامية مثل إيران.

٤- العمل علي ضمان الاستقرار للأنظمة الصديقة (خاصة الكيان الصهيوني).

يعتمد السياسيون علي العوامل السابقة في وضع نظرية أيديولوجية تمكنهم من التعامل مع الإسلام والشرق الأوسط بشكل أكثر يسر .. من خلال الأنباء

والتقارير التي تنقلها الصحف ومحطات التليفزيون المتعلقة بـ"الخطر الأخضر" والتي تعد مادة إعلامية حيوية ومشوقة تخدم "السياسة الخارجية " كما يرى هبلر في كتابه الإسلام والغرب.

أسباب خوف الأوربيين من الإسلام

خوف الأوروبيين بصفة عامة من الإسلام يرجع إلى أن بعض الباحثين يرى أن الصورة الذهنية المضادة للإسلام كعدو في أوروبا ، هي جزء من الخوف من العالم الثالث بصفة عامة وليس الدول الإسلامية فقط ، فالخطر :

أولاً : يرجع لعوامل اقتصادية أو ثقافية أكثر منها عسكرية .

وثانياً : مصدره العالم الثالث الذي هو مكان يبدو فيه غياب الأمن والاستقرار، كما أنه مسرح للعنف والحروب الأهلية ... وهكذا أصبح التواجد الإسلامي الكثيف في العديد من الدول الأوروبية والتزام المسلمين بممارسة شعائر دينهم خاصة صلاة الجمعة وصوم رمضان ، والامتناع عن المشروبات الروحية والقمار الخ... إلى جانب قيام بعض المسلمين بتصرفات غريبة علي المجتمع الأوروبي ، مثل غلق الشوارع لأداء صلاة الجمعة واستخدام الميكروفونات في آذان الفجر وذبح الخراف في الشوارع وعدم السماح للطبيب بعلاج المرآة إلا بصحبة محرمٍ ، هذه التصرفات لا تستطيع المجتمعات الأوروبية فهمها أو تقبلها ، فضلاً عن حساسية الرأي العام الشديدة في أوروبا تجاه كل ما هو إسلامي لماذا ؟ لأن ما يُنشر ويُبث عن المسلمين في الإعلام يثير المخاوف والشكوك !! جاء ذلك في رسالة لمواطن مصري يعيش في أوروبا ، نشرت بعمود "من قريب" للكاتب سلامة أحمد سلامة ، بجريدة الأهرام المصرية١٢/١٢/٢٠٠٤م ص١٠ .

د- الجانب الإعلامي (صناعه الإسلام كعدو)

يبدأ دور الإعلام الغربي فى صناعة "العدو" والترويج " للخطر الاخضر" أى الخطر الإسلامى حيث اللون الاخضر يرمز للون الراية الإسلامية ، من خلال

إدراك القائم بالاتصال – الصحفى أو الإعلامى – للدول والحكومات والثقافات الأخرى بأنها " الآخر" أو " المختلف " ، ومن هنا يتأثر القائم بالاتصال بالأفكار والاتجاهات السائدة واهتمامات العامة – وهو جزء منهم – كما لا يمكن فصل الإعلاميين عن المؤثرات السياسية والاقتصادية فى المجتمع ، وهذا الربط يفسر لنا الكيفية التى يتم بها إدراك وفهم الإسلام فى أوروبا .. ونتيجه للتاثير المتبادل بين وسائل الإعلام والسياسة ، نجد أن " الخطر الأخضر" يصنع أخباراً حية ومشوقة فى نشرات التلفزيون ووسائل الإعلام المطبوعة ، يمكن الاستفادة بها لدعم السياسات الخارجية المقررة من قبل الدول الأوروبية .(٣٩)

كما تبدأ عملية بث ونقل الأخبار المتعلقة بالتهديد فى الولايات المتحدة أولاً من خلال " مصادر" غامضة ومسئولين غير معروفة هويتهم ، حيث يقومون بتسريب معلومات – كبالون اختبار – للتحذير من الخطر القادم .. حيث تعكس هذه المعلومات المناقشات والحوارات الدائرة فى كواليس السلطة ، وتكون هذه المعلومات مزوَّدة بتقارير أجهزة الاستخبارات،والتى تشير إلى وجود إرهابيين من الخارج .. وهنا يعمل الصحفيون على البحث عن أسماء هؤلاء الأشرار .. وتجد وسائل الإعلام من حيث لا تدرى وتتوقع " مصادر " أجنبية متوافقة مع مصادر السلطه تقوم بمساعدة الإعلام فى الكشف عن معلومات جوهرية بوجود خطر قادم من الخارج ..

بالإضافة إلى ذلك تقوم المراكز البحثية بتقديم الزخم وتدعيم ما يطلقه المسئولون الرسميون ، حيث يقومون بإصدار المطبوعات وعقد المؤتمرات وجلسات النقاش واللقاءات الصحفية .. أما الحكومات الغربية فتقوم – نتيجة لذلك – بالاتجاه نحو إجراء دراسات وأوراق عمل ، ووضع نظريات وسياسات، تصبح جزءاً لا يتجزأ من روايات وسائل الإعلام ..ويصبح تحديد هولاء الدخلاء الجدد هو العامل المكمل لقضية " الخطر الاخضر "(٤٠) .

نلاحظ فى النموذج السابق الذى عرضه " ليون هدار " – الباحث المتخصص فى الدراسات الدوليه بمعهد كاتو فى الولايات المتحدة – يشرح كيفيه صناعة العدو "الأخضر" فى الولايات المتحدة من خلال المناقشات والأفكار والنظريات التى يتم إطلاقها من هناك خلال وسائل الإعلام المختلفة .. ولكن هذا النموذج لا ينطبق علي معظم الدول الأوروبية ، مثل فرنسا وألمانيا وأسبانيا ولكن يتنامى هذا الاتجاه من خلال قنوات أخرى ، أهمها وسائل الإعلام التى يتأثر بها قطاع عريض من الأوروبيين(٤١) .

لقد لعب الإعلام الغربي – فى معظم الأحيان – دوراً بارزاً فى تشكيل رؤية معادية للإسلام من خلال كثير من المعالجات الإعلامية ، التى جعلت الرأى العام يعتقد أن الإسلام هو هاجس العصر ومصدر الخطر والتهديد القادم ، ولم تفلح القــلة المعارضة لهذا الاتجاه فى إيجاد صورة متوازنة لصالح الحقيقة – وهى أن الإسلام لم ولن يكون مصدراً للتهديد ..

ولكن المعالجات الإعلامية بصفه عامة اتسمت بـــ :

١- تقديم النصح للحكومات والمسئولين ، ووضع الإرشادات التى ينبغى اتباعها لاحتواء هذا التهديد الجديد .

٢- النسبة الساحقة من المعالجات ركزت على ما يسمى " بالإسلام الشرق أوسطى " أو ربطت بين التصورات الخاصه بالإسلام بتلك المرتبطة بالتصور والإدراك لمفهوم الشرق الأوسط ، أو أن التهديد القادم مركزه الشرق الأوسط.. وهو ما يؤكد على الربط بين الظاهرة الإسلامية والصراع العربى "الإسرائيلى"، باعتبار أن حلَّ هذا الصراع هو أساس فك الاشتباك بين المسلمين والغرب بصفه عامة .

٣- التأكيد على التناقض بين الاسلام من ناحية وبين الديموقراطية وحقوق الإنسان من ناحية أخرى وأحياناً المساواة التامة بين الإسلام والإرهاب ، لدرجة أن بعض المعالجات لم تستطع التجمُّل ووصفت الإسلام نفسه بأنه مصدر تهديد.

٤- التحذير من التفرقة بين التيارات الإسلامية المعتدلة والمتشددة ووضعهم فى سلة واحدة مثل " لا تبحث عن المعتلين فى الثورة الإسلامية " " المسلمون قادمون "٠." الحزب الإسلامى الواحد الذى تموله وتوجهه إيران إلى حد كبير"٠.

٥- التأكيد على العلاقة العضوية بين معاداة الحركة الإسلامية ودعم الأنظمة القمعية فى البلدان الإسلامية ، مثل تصريحات " شيراك" بأن الغرب كان يساند صدَّام فى حربه ضد إيران لمواجة خطر الأصولية(٤٢) ... ومثل ما نشرته صحيفة " الفايننشال تايمز " البريطانية تحذر من وصول الإسلاميين للسلطة ..

٦- التحذير من الخطر الإسلامى بشكل يوحى بوقوع صدام وشيك مع العالم الإسلامى ، وتظهر العناوين التالية هذه التحذيرات مثل : " حرب مقدسة تتجه نحونا " ، " انتبهوا : الرعب الإسلامى : مجموعة انتحارية عالمية " ، " جزائريون يموِّلون الإرهاب الإسلامي " ، " الجهاد يتَّجه نحونا " .

٧- الانسياق وراء الأنماط السهلة والصور الجاهزة والإجابات المعدة سلفاً .. ومن هنا يرى الأوروبيون – وفقاً لِمَ تقدمه وسائل الإعلام – " الإسلام " أو"الظاهرة الإسلامية " تهديداً عالمياً ذا طبيعة أُحادية ، أي عدو تاريخي ، تتعارض ديانته مع ديانة أوروبا – والغرب بصفه عامة (٤٣)– .. فتظهر الأنماط الشائعة والصور الجاهزة دون مناقشة أو تأصيل – ومن أمثلة الاعتماد على التنميط والصور والقوالب الجاهزة ، نجد الحديث عن " انتفاضة عالمية " ، بما يضلل القارئ ، ويحيد به عن الأسباب الحقيقية وراء السخط فى " الانتفاضة " الفلسطينية ، لأنه يعنى أنها جزء من انتفاضة أُممية إسلاميَّة أو أصوليَّة .. كما أن الحديث عن " انتفاضة " عالمية يفرض وحدة زائفة على الأحداث التى وقعت فى سياقات مختلفة تماماً مثل[كشمير وكوسوفا ولبنان واذربيجان ..](٤٤)

٨- وفى هذا الصدد نجد أن الإثارة والمبالغة فى المعالجات الإعلامية ، بما يعزِّز التعميمات والأنماط الشائعة ، بدلاً من البحث عن الأسباب والعلل الكامنة خلف الخطوط العريضة ، ونتيجة لذلك أُختزل الإسلام فى "شكل نمطي" على وزن "الإسلام والغرب" أو " حرب الإسلام ضد الحداثة " ، " الغضب الإسلامي"،" التعصب الإسلامى " (٤٥)

٩- وفى إطار التشويه الإعلامي.. نجد أن وصف اليابانيين بأنهم " أشرار" "والهنود الحمر بالمتوحشين " "والإيطاليين بالإرهابيين ".. قد اختفت وحلّ محل كل هؤلاء " المسلمون " وأصبحت جميع الأوصاف السابقة تخص المسلمين وحدهم فى " الإعلام الغربي "، وكما اختفت الصورة البغيضة لليهودى : الجشع،المرابى ، الفوضوى ، الكريه من وسائل الإعلام ، بعدما نجح اليهود فى استغلال تعاطف العالم مع الأساطير التى تعتمد على " الهولوكوست " وغيرها.. فقد تم استبدال المسلم باليهودى فى نفس القالب ، والسيف والمصحف والعباءة بنجمة داوود ، والكوفية العربية الفلسطينية بالقلنسوة اليهودية أحياناً _(٤٦).

نماذج عملية للحروب الإعلامية

١- أزمة الرسوم المسيئة للرسول نموذج لصناعة العداء للإسلام :

إن الرجوع إلى قصة نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ بصحيفة دانماركية والتى أدَّت إلى قيام أزمة عمَّت أرجاء العالم الاسلامى ، نجد أن التيار العنصرى فى الدنمارك استطاع أن يضع الإعلام الأوروبي تحت تأثير فكرة أن كل مسلم هو إرهابى أو يكمن داخله إرهابي ، وذلك من خلال بعض مظاهر العنف التى صاحبت المظاهرات فى عواصم الدول الإسلامية ولكن كيف بدأت هذه الفتنة المفتعلة ؟!

بدأت بزيارة " فلمنج روز " محرر الشئون الثقافية بجريدة " يولاندز بوست " المسئول عن نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ حيث التقى بصديقه الأمريكي

"دانيل بايبس" المعروف بعدائه الشديد والكراهية لكل ما هو عربى وإسلامي ، وقد نال الرضا من إدارة بوش بضمه إلى معهد السلام بالعاصمة الأمريكية ، أحد مراكز الفكر السياسى المموّل من الكونجرس ، والغريب أن رأس الأفعى(فلمنج روز) لم يتفتق ذهنه عن هذه الفتنة المفتعلة إلا بعد هذه المقابلة ، بهدف دفع المسلمين دفعاً إلى الغضب العارم ، ويأتى هذا التخطيط ممنهجاً ومتتابعاً كما لو كان يُعِدُّ الرأى العام فى أوروبا ليتقبل حروباً جديدة وموجات طرد للمهاجرين المسلمين(٤٧) ..وما يؤكد أنها كانت حملة إعلامية منظمة وممنهجة ضد الإسلام والمسلمين ، أنه عندما بدأت الصحيفة نشر تلك الرسومات ، بدأ عدد من سفراء الدول العربية والإسلامية في توجيه خطابات إلي رئيس وزراء الدنمارك في ذلك الوقت ، أندروز فوج راسموسن، لتوضيح خطورة هذه الرسومات علي مشاعر المسلمين وأنها لم تكن الأولي ضد الإسلام مما ساعد علي تنامي اتجاهات عدائية تجاه المسلمين هناك ، ولكنه رفض مقابلة السفراء الذين طلبوا لقاءه لمناقشة أبعاد الموضوع ، ورد علي خطاباتهم بقوله إنه لا يستطيع اتخاذ أية اجراءات حيال حرية الصحافة في بلاده ، وإنه إذا كان قد حدث ما يضايق مشاعر المسلمين ، فإنه يمكنهم اللجوء إلي القضاء ، ورغم أن رئيس الوزراء قد اضطر في احتفال رأس السنة في عام ٢٠٠٥م إلي إعلان إدانته لأي عمل أو تصريح من شأنه الإساءة لأي دين أو ثقافة مختلفة ، إلا أن الصحيفة والحكومة ظلّتا علي نفس الموقف ، حتي اُضطرت الصحيفة للاعتذار علي شبكة الإنترنت ، ولكنها سحبته بعد ساعة فقط من نشره ، عندما بدأت الشركات الدنماركية تضغط علي الصحيفة بسبب المقاطعة لمنتجاتها من قبل الدول العربية والإسلامية ، كما أن الصحف الدنماركية الأخري قد أبدت تعاطفاً مع الصحيفة يولاندز بوست بل واتخذت موقفاً عدائيّاً من المسلمين بسبب حرق بعض السفارات الدنماركية وحرق علم الدنمارك في بعض البلدان الإسلامية حتي أخذت الصحيفة نفسها تتبجح وتدافع عن موقفها وتبرر افعالها بشكل سافر

وفاضح ، لدرجة أن الكثير من الصحف الأوروبية أخذت تدافع عن الرسوم بدعوى حرية الرأي وتهاجم المسلمين هجوماً عنيفاً !! [٤٨]

٢ـ مقتل مخرج هولندي وعنصريَّة بغيضة :

تعد معالجة قضية مقتل المخرج الهولندى "ثيوفان جوخ" نهاية عام٢٠٠٤م علي يد شاب مغربي وتداعياتها نموذجاً صارخاً للحرب الإعلامية علي المسلمين وصناعة العداء للإسلام ، فكيف تطورت هذه القضية ، التي تعد علامة فارقة في تاريخ العداء للإسلام ..

ماذا فعل المخرج الهولندى؟

ظل المخرج الهولندى يمارس الهجوم علي الإسلام والمسلمين في مقالات كانت تنشر أسبوعياً طيلة عام ٢٠٠٣م ، وبطريقة منتظمة في إحدى الصحف الهولندية (مترو) مما حدا بالمسلمين المقيمين في هولندا إلى إنشاء موقع علي شبكة الإنترنت للرد علي مزاعم المخرج ولكنه تمادى في غيِّه ووجد من يسانده في حقده بدعوى حرية التعبير .. رغم أن المادة ١٤٧ من الدستور الهولندى تمنع إزدراء الأديان وتجرِّم فاعله ، ولكن هولندا مثل دول كثيرة تكيل بمكياليين عندما يتعلق الأمر بالمسلمين.[٤٩]

علي المستوى السياسي: رأى المراقبون والمحللون السياسيون أن مقتل المخرج الهولندي يُعد حالة من التطرف الإسلامي ، وعملوا علي الربط بين الحادث وهجمات ١١ سبتمبر وانفجار مدريد بأسبانيا عام ٢٠٠٣م ، والبعض الآخر تناول الموضوع من خلال ردود أفعال الهولنديين ، التي تندرج تحت ما يسمي بالخوف المرضي من الإسلام "إسلاموفوبيا"[٥٠] .. كما دعا السياسي الهولندى البارز جيرت ويلدرز إلى الحد من هجرة المسلمين إلى هولندا بل إنه قام بإنتاج فيلم سينمائي لتشويه الإسلام وسيرة النبي ﷺ بعنوان "فتنه" سوف نتعرض له بالتفصيل لاحقاً ، وكانت النتيجة زيادة شعبية هذه السياسي

العنصري وانتخابه لأول مرة عضواً في البرلمان الهولندي ، كما قامت السلطات الهولندية ممثلة في الخارجية والداخلية بحملات "عدائية" ضد المسلمين شملت فرض إجراءات مشددة وصارمة ضد (٢٥) مسجداً في البلاد تحت زعم محاربة الإرهاب ، إلى جانب الملاحقة القانونية وإلغاء تصاريح الأئمة والدعاة، واتهامات لبعض المسلمين بالعنف والتخطيط لتفجيرات في هولندا (٥١).

على المستوى الإعلامي :

بعد مقتل المخرج الهولندى ، أصبح هناك خليط متفجر يتم إعداده وعجنه في تلك الأيام ومكوناته هي (الإسلام ، الحركة الإسلامية ، المسلمون ، انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي ، اضطهاد المرأة ، نزاع الشرق الأوسط ، نهاية المجتمعات متعددة الثقافات ، معادة السامية المتأسلمة ، وهكذا أصبح الكل في سلة واحدة (العرب والأتراك والمسلمون) وغدت النبرة أكثر حدة في تلك الأيام في معاداة الإسلام وأضحت مغلّفة بعنصرية مكشوفة ضد المسلمين ، مقارنة بما حدث بعد عمليات ١١ سبتبمر ٢٠٠١م .. وقد لعبت وسائل الإعلام الأوروبية دوراً فعّالاً في هذا الأمر ، فبفضل الجدل والمناقشات التى تعرض في الصحف ،الإنسان المسلم غير قابل للإصلاح ومتوحش بل وغير ملائم للحداثة .. وتبعاً لذلك فإن المثقفين العرب والمسلمين لم يجدوا لهم مكاناً داخل وسائل إعلام أوروبا كطرف محاور ، وإذا ما حدث فإنهم يمارسون نقداً لاذعاً لمجتمعاتهم (٥٢).

وبالنسبة لموقف الإعلام الألماني من الحملة الشرسة تلك الفترة ، فإنه لم يحدث منذ فترة طويلة أن عرفت وسائل الإعلام ، من تلفزيون وصحف من المستوى الجيد ، مثل هذا السيل من اللغط حول المجتمع متعدد الثقافات مثلما حدث في تلك الفترة .. حتي أصبح تحليل محتوى المطبوعات والمنشورات الإعلامية يشير إلى أن ألمانيا أصبحت "بلاداً مأهولة بالسكان من العرب والأتراك الحمقى الذين يمتنعون عن تعلم القراءة والكتابة ، ويزوجون بناتهم

غصباً ، ويجاهدون عن طريق الجرائم والقتل من أجل تركيز دولتهم الدينية علي العالم الموازي الذي يعيشون داخله".

ويمكن في هذا الصدد أن نشير إلى الحملات التشهيرية التي قامت بها في تلك الفترة صحيفة مثل : Welt Die التي كرَّست نفسها لخدمة الحملات الصليبية علي الإسلام ، وحتي صحف مدينة هامبورج الأكثر جدية مثل Zeit Die الأسبوعية والتي مارست التشهير بالمسلمين ، من خلال افتتاحيات ذات طابع استفزازي مفتعل ، وفقاً لموقف رئيس التحرير.. وتذكرنا هذه الأجواء بتلك التي كانت سائدة في بداية الثمانينات عندما كانت النخب السياسية والإعلامية تغذي عقول الألمان بخطاب معادي للأتراك ، فقد كانت تبعات ذلك عمليات إجرام عنصرية وتهييج للشارع الألماني وخلق حالة من تسميم الأجواء السياسية الداخلية لسنوات عديدة.(٥٣)

ملاحظة مهمة : لا يمكن إغفال البعد الديني في هذه القضية ، لأن الكثير من القيم الأوروبية قامت علي معتقدات دينية في الأصل ، ولكنها ليست مسيحية المنبع بالضرورة، ومهما كان الأمر ، فإن المواطن الأوروبي صار يبرر هذه القيم السائدة في المجتمع بحجج دنيوية الطابع مع مرور الأيام ، وقد أصبحت القيم الأوروبية الحالية دنيوية فعلاً ، ولكنها ذات أصول ومرجعية دينية ، خاصة لدى اليهود وبعض الحركات المسيحية المتطرفة مثل المسيحية الأصولية، التي تنتمي إليها بوش الابن ، وغيرها من الحركات التي تعادي المسلمين في الولايات المتحدة وأوروبا .

ثالثا: دور المستشرقين الجدد

يقول " كاى هانز " .. إن نظرية "هانتنجتون " نجحت في إيقاظ مشاعر العداء التاريخية في العالم الغربى – بصفه خاصه تجاه الإسلام ، وأسهمت المتغيرات على الساحة العالمية في ترسيخ هذه المشاعر.

نشأة الاستشراق الجديد خلال القرن العشرين

وإذا تتبعنا نشأة الاستشراق الجديد خلال القرن العشرين نجد :

١- ما بين العشرينات إلى السبعينات من القرن العشرين امتزجت أُطروحات مدرسة الاستشراق التقليدية بأدبيات المدرسة التحديثية في الاستشراق ..وكانت النتيجة المناداة بالعلمانية وتهميش دور الدين في الدولة ، على اعتبار أن الدين من أهم الأنماط التقليدية التي ينبغي الابتعاد عنها من أجل التحديث .

٢- مع حلول عقد السبعينات من القرن العشرين ، ظهر الكثير من الدراسات العلمية والتغطيات الإعلامية ، التى تحذِّر الغرب من "الغول" القادم المتمثل فى الإسلام وأتباعه .

حيث بدأت الظاهرة الإسلامية فى الانتشار في العالم العربي .. ومن هذه الدراسات التى كان لها صدى كبير على صناع القرار فى أوروبا وأمريكا ، الدراسة التي قام بها " هارير دكميجيان " بعنوان " الإسلام ثورة " والتي رصد فيها ٩١ جماعة ومنظمة إسلامية فى الدول العربية ، واستخلص منها أن ٦٤ منها قد ظهرت مع نهاية الستينات وبدايه السبعينات ، و٨٨% من هذه المنظمات تعتبر راديكالية.

٣- ومع التطورات التي مرت بها المنطقه العربية، وتنامى التيارات الإسلامية منتصف الثمانينات انشق أنصار المدرسة التحديثية فى الاستشراق فى الغرب إلى تيارين :

الأول : أصحاب المدخل النقدى، الذى نادى بضرورة أخذ الدين كعنصر أساسى للتحديث ، خاصة أن الدين الإسلامى ، له ما يميزه عن الأديان الأخرى، وكان لهذه المدرسة تأثير محدود على الحياة السياسية والفكرية للغرب تجاه الاسلام والمسلمين .

الثانى : المدرسة التى أطلق عليها " أصحاب المدخل الدعائى " وهى المدرسة الأكبر تأثيراً فى مجالى : الإعلام ، والسياسة في أوروبا وأمريكا ... وأخذ هؤلاء بالدعزة إلى العودة إلى أدبيات المدرسة الاستشراقية ، ورجع كثير منهم إلى نظريات وآراء المستشرقين القدامى فى التعامل مع الإسلام والمسلمين.. ولذلك أطلق عليهم أتباع " المدرسة الاستشراقية الجديدة " وتضم العديد من الأكاديميين والباحثين فى أقسام الدراسات الإسلامية المنتشرة فى دول أوروبا والولايات المتحدة ، إلى جانب العلماء البارزين فى العلوم الاجتماعية أو علم الأديان .

٤- وقد تبلورت هذه المدرسة وذاع صيتها مع بداية التسعينات وعزفت على نغمة الخطر الجديد ، أوالعدو الجديد، أى أن الإسلام خطر على الإنسانية ، من خلال الحديث عن "الأصولية"، وقد عبَّر عن هذا التوجه " بنيامين باربر" فى إحدى مقالاته فى مجلة "اتلانتك" عام ١٩٩٢م والتى جاءت تحت عنوان Gihad vs . mc world أو "الجهاد ضد العالمية " ، وكلمة mc world لها مدلول يشير للعالم الغربى " وجهاد " تدل على الأصولية ، فالأصولية خطر على العالم والإنسانية كلها .

٥ - ومن هذه المدرسة جاء المستشرقون الجدد بنظرياتهم الجديدة -القديمة- وقادوا العالم الغربى نحو سياسات المواجهة مع العالم الاسلامى .. وقد اعتمدت وسائل الإعلام فى أوروبا - على وجه الخصوص - على مقولات هؤلاء المستشرقين الجدد ، وأصبحت الصحف ومحطات التليفزيون تتغذى وتتعلم من فكر هؤلاء وآرائهم .

ومن هذه المدرسة ظهر فرانسيس فوكوياما صاحب نظرية " نهاية التاريخ " والتى أطلقها فى كتاب يحمل نفس الاسم عام ١٩٩١م . " وبول جونسون " صاحب الدراسات المتخصصة فى الأديان خاصة المسيحية واليهودية .. وكذلك " ويلى ويمر" عضو البرلمان الألمانى صاحب كتاب " الحدود الدموية

للإسلام".. ومن أهم هؤلاء المستشرقين يأتى "برنارد لويس" و"صامويل هانتنجتون" فهما الأساس الذى قامت عليه عمليه صناعة العدو وخلق ما يسمى بالخطر الأخضر أو التهديد الإسلامى (٥٤)

٦- أما " برنارد لويس" فهو مفكر أمريكى يهودى ويعد " إمام المستشرقين الجدد" ،وهو أول من استخدم مصطلح " صراع الحضارات " وقد نقلها عنه هانتنجتون ، وقد ظهرت " النزعة الصهيونية " عند برنارد لويس بعد حرب ١٩٦٧م .. فى جملة كتبه مثل " الشرق الأوسط والغرب " عام ١٩٦٨م .. "والعرق واللون فى الإسلام" عام ١٩٧١م ،و " واللغة السياسية فى الإسلام " و"يهود الإسلام " عام ١٩٨٤م .. وقد جاء تأثيره كالتالى :

١- تتركز أفكاره ونظرياته حول الخبرة التاريخية لأوروبا والتى يقيس عليها المجتمعات الشرقية ، فمن كان موافقاً لقيمها فهو متحضر ومن كان مخالفاً لها فهو متخلف وخطر !! لذلك ترتكز أسس مؤلفاته الفكرية على فكرة أن المسلمين خطر عظيم على الإنسانية مثل : هتلر وستالين ، وأن تنامى الإسلام و"دوائره المرعبة " أمر لا يمكن السكوت عليه .. فالتنامى الإسلامى فى العالم الإسلامى من جهة وفى العالم الغربى من جهة يعد بمثابة خطر محدق بالحضارة الغربية داخلياً وخارجياً .. ويعظم من خطر الإسلام من خلال امتلاك المسلمين للسلاح النووى .. ويطالب بوضع استراتيجية لقمع المسلمين محلياً وعالمياً ، حتى لو كان ذلك على حساب النواحى الأيديولوجية أو الأخلاقية أو الحريات الأساسية.(٥٥)

٢- أهم مؤلفات لويس التى أثارت ضجة فكرية على مستوى العالم هو كتاب "الأصولية الإسلامية " وكان فى الإصل محاضرة ألقاها عام ١٩٩٠م باسم "محاضرة جيفرسون المهيبة" وهى أعلى شرف تسبغه إدارة الولايات المتحدة على أى باحث تقديراً لإنجازاته فى مجال الدراسات الإنسانية . ثم نشرت المحاضرات منقحة فى مجلة " Monthly Atlantic " تحت عنوان "جذور

الهياج المسلم " .. وفى هذه المحاضرة ، كان برنارد لويس هو أول من قدَّم صورة صادمة وسلبية للإسلام والمسلمين باعتبارهم " أصوليين" " ومقاتلين " خطيرين .. وهو يعزِّز الأنماط الشائعة عن الإسلام والمسلمين ، ويهيئ القارئ لأن يرى العلاقة بين الإسلام والغرب فى ضوء الغضب والعنف والكراهية .. وبسبب مكانة لويس الدولية وباعتباره باحثاً ومعلقاً سياسيّاً متخصصاً فى شئون الشرق الاوسط . فإن موضوعه " جذور الغضب الإسلامى " لقى تغطية إعلامية وأكاديمية واسعة على الصعيد المحلى والدولى ، وكان له أثر كبير على الفهم العربى للاسلام ، وعلى الفهم الاسلامى لكيفية رؤية الغرب للإسلام والمسلمين .. وقد حظى المقال فى مجلة " أتلانتك " بدلالات كبيرة فكان الغلاف يصور مسلماً متعمّماً وملتحياً متجهِّماً ، وفى عينيه المتوهجتين أعلام أمريكية.. إلى جانب ذلك جاء بالمقالة صورتان تقدمان الإسلام باعتباره عدواً لأمريكا بشكل واضح الزيف .. فالصورة الأولى عبارة عن حية مرقومة بالنجوم والشرائط تعبر الصحراء.. والصورة الثانية لحية كامنة وراء مسلم متدين يؤدي الصلاة فى أمان .. والصورتان روَّجتا للأنماط الشائعة المثيرة والمهيجة والمفتقرة للحقيقة .. وهذه الصورة التى رسمها المقال رسمت الإسلاميين فى صورة من يعيشون فى "العصور الوسطى" من حيث أسلوب حياتهم وعقليتهم ..

كما أن العنوان " جذورالهياج المسلم " فيه تعميمات وتشويه واضح مثلما قيل عن الإرهاب الإسلامى ، القنبلة الإسلامية ، العنف الإسلامى ، المقاتلين الإسلاميين وهلمَّ جرا .. وهو هنا يستخدم الأنماط الشائعة "السهلة" والافتراضات العلمانية الجاهزة .

ويرى المقال أن الصراع وشيك بين الإسلام والغرب باعتباره مرحلة فى نموذج تاريخى .. حيث يصور المسلمين فى صورة (المحرضين والدعاة للحرب طوال ١٤ قرناً) ، الإسلام عدوانى هجومى والغرب دفاعى ، يرد الهجمات .

٣- أما " صامويل هانتنجتون " فهو أستاذ علم الحكم والسياسة بجامعة هارفارد الأمريكية وكان مدير معهد " جون م . اولين " للدراسات الاستراتيجية بنفس الجامعة .. وصاحب كتاب " التنمية السياسية والتطور السياسى " و" الموجة الثالثة " . وهو حاصل على جائزه نوبل فى العلوم .

إن أهم مؤلفات هانتجنتون هو كتاب " صراع الحضارات " الذى كان فى الأصل مقالة فى مجلة " فورن افيرز "تحت نفس الاسم فى عدد يوليو١٩٩٣م والذى أحدث ضجَّة فكرية وسياسية مازال صداها وتأثيرها حتى اليوم ، فهناك المئات من المقالات والافتتاحيات فى صحف أوروبا التى ناقشت ومازالت تناقش نظرية هانتجتون ، وهناك عشرات الكتب التى طرحت أفكاراً حول النظرية، وهناك العديد من الباحثين والأكاديميين الذين وجَّهوا نقداً للنظرية يهدم أساسها ، مثل : إسبوزيتو وبريجنسكى وليون هدار وهبلر وغيرهم الكثير.[٥٦]

تتركز النظرية حول فكرة (أن الصراع فى القرن الحادى والعشرين سيكون صراعاً حضارياً والحرب القادمة ستكون حرب حضارات ، وأن الحضارات الكبرى المرشحة للصدام مع الحضارة الغربية ، هى الحضارات الإسلامية واليابانية والصينية والأمريكية اللاتينية) ..

ولا يتورع الباحث عن اتهام الإسلام نفسه بأنه هو المشكلة .. فيقول فى الكتاب المذكور " إن المشكلة الكامنة بالنسبة إلى الغرب ليست فى الأصولية الإسلامية ، إنما تتمثل فى الإسلام ، لإنه حضارة مختلفة ، أهلها مقتنعون بتفوق ثقافتهم .. كما يرى أن الصراع بين الحضارة الإسلامية والغربية قد امتد إلى أكثر من ١٣ قرناً ، وأن الإسلام يعادى القيم التنويرية والتحررية والإنسانية فى الغرب ، والإسلام فى نظره دين دموى ، فهو يستخدم النمط الشائع (الإسلام له حدود دموية) أى الربط بين الإسلام وسفك الدماء.[٥٧]

٤-هانس بيتر راداتس (تلميذ هانتجتون ولويس)

هو مستشرق المانى معاصر صاحب مشروع فكرى للهجوم على الاسلام وحضارته بالكلمة المكتوبة ،من خلال مؤلفه المثير للجدل "حجاب الله " والذى صدر عام ٢٠٠٤م الموزع على خمسة أجزاء بنى كل جزء منها على النتائج المستخلصة من الجزء السابق عليه ، حيث يستخدم راداتس -حسب زعمه -أسلوب التحليل الاجتماعى العلمى ، لدراسة أهمية ودور المرأة منذ عهد النبى ﷺ حتى الآن ..وهذ الكتاب لا يعدو كونه مجموعة من الأحداث المتفرقة صحيحة فى بعض الأحيان ومزاعم عارية من الصحة فى أحيان أخرى ، حتى يصل إلى خلاصة ما يريد طرحه من مزاعم فى الجزء الخامس " المرأة فى الإسلام المعاصر" بدعوى هيمنة الجنس " أي وجود علاقة متداخلة بين التطلع لإشباع الغرائز الجنسيه والدين !! باعتبار أن هذه العلاقة تشكل الأساس الذى تقوم عليه كافة النظم الاجتماعية الإسلامية .. وبالتالى إنه يختزل الثقافة الإسلامية في المسائل الجنسية ، ويرى أن هذا المحور يجسد -حسب زعمه - الوضع البائس لهذه الثقافة ، وبالتالى فإنه لايجد خياراً غير رفض الثقافة الإسلامية وإدانتها.

وتثير هذه الآراء الشاذه دهشة واستياء كثير من المهتمين بالدراسات الإسلامية حيث أكد أحد هؤلاء الباحثين : " أن آراء راداتس تشهد بأن الرجل مخبول " يعانى من اضطراب نفسى ناشئ عن تركيز منظوره على مناطق الجسد تحت السرة، ويرى آخر (مارتين تسيهرنجر) أن راداتس يتخبط كثيراً ويلف ويدور حول مصطلحات غريبة تدعو للدهشة من أجل التدليل على رأيه ، ويقول المستشرق الموضوعى (تسيهرنجر) خلال عرضه لكتاب " حجاب الله " فى مجلة فكروفن الألمانيه عام ٢٠٠٥م عدد ٨١ أن المرء حين يمعن النظر فى الآراء التى يريد هذا الخبير فى مسائل التحليل الاجتماعى " استخلاصها، فإنه يلاحظ بسهولة أننا حيال براهين تتصف " بالهوس الفكرى والاضطراب النفسى، وتدعى العلمية ولكنها تغض الطرف عن التباين التاريخى عمداً بغية

تمرير عنصرية مستترة تريد أن تندس بشكل غير مباشر من خلال المغالطة المقصودة ".. وهنا يشير المستشرق الألماني أخطر ما في سموم راداتس أن هذه الدراسة تهدف إلى أن " تكون بوقاً يحذر من تعايش الثقافة الإسلامية والغربية وأن تساهم ، وهذا هو الهدف الأهم ، في تعزيز الخوف من عدو مزعوم ، أي مسلمي أوروبا ، وذلك لأسباب استراتيجية بحتة ، فما تردده هذه الدراسة يعكس بنحو دقيق ، مغالطات وأهداف سيئة سمعناها تتردد كثيراً في الازمنة السابقة " .. وفي هذا الصدد يعتقد راداتس أن الثقافة اليهودية – المسيحية ستتغلب على الإسلام – الذي يقرر هيمنة الرجل على المرأة والتسلط عليها – تصديقاً لما جاء في العهد القديم – التوراة – من خلال الهيمنة على الأرض جميعاً .

ورغم أن دراسة راداتس قد اعتمدت على نتائج مؤلفات أخرى مثل مؤلفات هانتنجتون ولويس ،إلا أن الأمر الواقع أنه لا يتوافر له ما توافر لأستاذيه من تحليلات حديثة مهمة أغدقت عليها الدوائر المعنية الكثير من المال ، وبالتالي خلت دراسته من المسحة العالمية global touch ، كما تنقصها الشجاعة على البوح بالأهداف السياسية التي كان الاثنان ينشدانها ..

وفي الواقع يدين راداتس نفسه بنفسه كما جاء في الصفحه رقم ٤٠٤ من كتابه السابق حيث يذكر أن المؤلف المهتم بشئون المجتمع ، ينتهج أسلوب التحليل " الغنوصي الهدّام " وذلك حينما يفصّل أحد الأمور التالية " أن يورد شيئاً عار عن الصحة أو يكتم شيئاً صادقاً " ثم يكمل اعترافه بالتزوير المنهجي للحقائق المرتبطة بالإسلام ، في الصفحة التالية ٤٠٥ حيث يؤكد أن الأخلاقية التي يقوم عليها العلم تفقد موضوعيتها حين تفرز مبادئ اشتراكية أو فاشية أو إسلامية ، وبالتالي يدخل كتابه في خانة العلوم غير الموضوعية ، التي تتحيز لخدمة أهداف خاصة ، حددت مسبقاً الثقافة التي تريد الهجوم عليها ، أي اصطنعت

لنفسها عدواً من قبل أن تأتى بالبرهان على أن هناك عدواً يضمر لها الشر فعلاً.

خطورة الاستشراق الجديد

يرى المستشرق الألمانى – من أصل إيرانى – " نويد كرمانى " فى دراسة عن مستقبل الدراسات الإسلامية فى المانيا أن الخلفية الاجتماعية والثقافية التى تقوم عليها الدراسات الإسلامية السائدة الآن – الاستشراق الجديد القائم على المتخصصين فى الدراسات الإسلامية– ترتكز على التصورات المهيمنة على الذهن الأوروبى بشأن الإسلام ، والغرور الأوروبى الذى يتسبب فى أن يستنكر " الوعى العام" والعادات والتقاليد المتأصلة فى الاقلية المسلمة القاطنة فى أوروبا، ونفى الثراء الثقافى الذى دخل أوروبا مع المهاجرين ، بما يشكل انقلاباً حقيقيّاً على سر نجاح المشروع الأوروبى منذ الثوره الفرنسية – أى الانفتاح الحقيقى على ثقافات العالم – حتى أصبح بعض المؤرخين يرون أن المسلم – بسبب دينه– " لايمكن أن يكون أوروبيّاً !!

ويؤكد "رومان لويماير " أستاذ الدراسات الإسلامية **بجامعة بايروت الألمانية** أنه يمكن للباحثين فى الدراسات الإسلامية أن يدعموا الأحكام المسبقه القائمة والمفاهيم الخاطئة عن المجتمعات الإسلامية ، وذلك من خلال تقديمهم لمادة تخصصهم بهذا الشكل الخطير المزيف سواء بوعى أو بغير وعى .. ويعترف لويماير خلال ندوة عقدت بمدينة فرايبورج الألمانية عام ٢٠٠١م قبل وقوع احداث سبتمبر بخطورة الدور الذى يلعبه الاستشراق الجديد ، قائلاً : " يمكن اعتبار الخطاب الاستشراقى عن " الإسلام " و" المسلمين " وأهمية الدين استراتيجية إمبريالية ماهرة للتعامل مع دول الشرق فى وصفها الحالى ، كدول أدنى وأقل تطوراً من الغرب، ويضيف : نحن " المستشرقين " لا نريد أن تكون هناك دول عربية حديثة ، وأن تبقوا " مسلمين متخلفين " ، وأن تبقى الصور العدائية لدينكم ، بوصفه ديناً سلفيّاً بطريركيّاً معادياً للنساء "...

محاربة أى أفكار مقترحة مخالفة للاتجاه السابق السائد فى الدراسات الاسلامية – الاستشراق الحالى – على طريقة الحروب الصليبية ، وهو ماحدث مع فكرة "رانيهارد شولته" عن إمكان وجود " تنوير إسلامى " .. حتى أضحى ذلك التخصص يعطى انطباعاً بأنه يتبع نموذجاً استشراقيّاً قديماً ،يرجع تفسير أي حدث فى بلاد المشرق إلى الإسلام .

هذه النظرة الاستشراقية يتبناها عدد من المثقفين اليساريين الذين تضايقهم مجتمعات الشرق الأوسط وحضور الدين القوى فيها ، ويطالبون بعلمنة راديكالية لهذه المجتمعات .. ويرى المستشرق الألمانى " البريشت ميتسجر" فى دراسة عن نقد الفكر الاستشراقى نشرتها مجلة " فكروفن" الألمانية – باللغة العربية ، عام ٢٠٠٥م أن هذه المدرسة قائمة على مقولة أن " هناك ارتباط قوى بين الدين والسياسة فى العالم الإسلامى منذ البداية ، ولهذا فالإسلام لديه مشكلة مبدئية – كدين – للقبول بدولة علمانية حديثة ، والحركات الإسلامية ما هى إلا الشكل الحديث للجمع بين الدين والدولة " ..إذا " فإن كل إسلامى يظل فى حقيقته معادياً للسامية ، وفاشيّاً ومتطرفاً لا صدى للحوار معه " ، كما أنها ترى أن الكراهية للغرب فى العالم الاسلامى لا تقتصر على الإسلاميين وحدهم، فقد كان القوميون العرب فى السبعينات والثمانيات يكرهون الغرب رغم أنهم لم يرفضوا مبادئ التنوير .

العمل كجواسيس وعملاء لدى الجهات الأمنية والجهات المعادية للإسلام .. تقول الكاتبة الألمانية " كتايون اميربور " فى دراسة عن الدراسات الإسلامية والتحديات الجديدة عام ٢٠٠٤م ، أن المتخصصين فى الدراسات الإسلامية أصبحوا عملة نادرة فى ألمانيا بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م ، فبين عشيَّة وضحاها ازدادت الحاجة لهم للعمل كخبراء فى شئون الإسلام والمسلمين لدى الكنائس أو فى وزاره الخارجية أو كمستشارين لدى هذا السياسى أو ذاك ، أو كموظفين لدى جهاز أمن الدولة ، المسمى فى ألمانيا مكتب حماية الدستور ،

وكذلك الوزارات والسفارات ، كما وظف " مكتب المخابرات الاتحادى " بضعة آلاف من المتخصصين فى الشئون الإسلامية ، وتفاقمت الحاجة لهذا الاختصاص بحيث صار مكتب التحريات الجنائية فى مدينة فيسبادن يركز على طلبة الدراسات الإسلامية ، أملاً فى تجنيدهم قبل أن ينهوا دراستهم بسنوات عديدة ، وينطبق الأمر ذاته على وزارة الخارجية ، فهى تسعى أيضاً للانتفاع بخدماتهم فى إطار ما يسمى " ملف مكافحة الإرهاب " .. إلا أن الأمر الذى يتعين ملاحظته أن الدراسات التى تقدم فى هذا الملف يقوم بها باحثون متخصصون فى شئون الإرهاب فقط ، أى أن إلمامهم بالمشاكل السائدة فى الإقليم المراد تسليط الضوء عليه – كمكان لانتشار الحركات التى تمارس العنف – يكون ضعيفاً جداً ، وبالتالى قلة الخبرة والكفاءة فى التعرف على خصائص ومكونات المجتمعات المراد تسليط الضوء عليها فى العالم الإسلامي.

أما عن علاقتهم الوثيقة بوسائل الإعلام : يرى المستشرق الألمانى " جويدو شتاينبرج " ان الصورة المتداولة فى وسائل الإعلام ولدى الباحثين المتخصصين فى شئون الإرهاب ، هى صورة مغلوطة عن الإسلام والمسلمين توحى بأن ثمة هناك " تنظيم إرهابى عالمى الأبعاد " .. وترى كتايون اميربور فى دراستها السابقة أن وسائل الإعلام فى أوروبا قد وجهت لوماً كبيراً للمستشرقين – الباحثين الأكاديميين المتخصصين فى الشأن الإسلامي – بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ، على اعتبار أن دورهم التنبؤ بالزمان والمكان الذى سيتعرض فيه المجتمع لاعتداء جديد ينفذه ما يسمى بالإرهاب الاسلامى..

رابعاً: دور اليهود والصهيونية

لعبت التأثيرات الصهيونية والإسرائيلية دوراً مهماً فى بث الخوف من الإسلام فى العقلية الغربية ووسائل الإعلام من خلال :

١- الدور الذى لعبه المستشرقون اليهود أمثال برنارد لويس وهانتنجتون وجوديت ميلر وغيرهم من الباحثين والمفكرين .

٢- السيطرة على كثير من الصحف في أوروبا وأمريكا ، إلى جانب الكتّاب والمعلقين فى مختلف الصحف والقنوات الإعلامية ، فبثت الرعب فى النفوس من الإسلام ، وأيدت إسرائيل ، وعملت على وصف المقاومة الفلسطينية بالإرهاب ، والتخويف من الإسلام من خلال الانتفاضة .

يقول معلق إسرائيلى :" لا يهم كيف كانت الشيوعية سيئة ، فإنها لم تكن أبداً خطوة للعودة للقرون الوسطى ، وما يصعب علينا رؤيته هو كيف ستتمكن ديموقراطيات القرن الحادى والعشرين من العيش فى سلام مع قوى عقدت العزم على أن تبرهن أن الألف سنة الأخيرة لم تحدث" .

٣- دأب مسئولو الحكومة الإسرائيلية والأكاديميون الإسرائيليون على الترويج لما يدعون أنه " شبكة عالمية من الإرهابيين والمتعصبين المسلمين المكرسين لتدمير الحضارة الغربية " ، كما تقول جوديث ميلر الكاتبة فى نيويورك تايمز فرئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق اسحاق رابين يصف إسرائيل بالحليف الجاهز للغرب حيث قال : " إن العالم الغربى ، والعالم عموماً ، سوف يدفع الثمن إذا لم يتوقف سرطان الإسلام الأصولى المتشدد فى أكاديمية الخومينى وأتباعه فى إيران ".. وهكذا تكفلت االصهيونية فى وقت مبكر بمهمة تأليب العالم الغربى ضد الإسلاميين ، وكانت أول من سعى إلى إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام وعمدت إلى تحريض العالم على تشكيل ما أسمته بتحالف دولى ضد الأصولية والتطرف الإسلامى .. ولا يكاد يمر يوم دون أن تنشر الصحف العبرية تصريحات لمسئولين من إسرائيل يحذرون فيه من الحركات الإسلامية، ويدعون أنها أصبحت الخطر الأكبر على استقرار المنطقه والعالم ، كما جعل الكتاب الإسرائيليين من " الإسلام السياسى " قضيتهم الأولى.

ويرى بعض الأكاديميين – مثل هارتن كرامر الباحث بمركز موشيه دايان بجامعة تل أبيب – أن الشرعية تقف فى تعارض صارخ مع الإعلان العالمى لحقوق الانسان الذى يضمن حرية الاختيار ، وأنها " ليست مرنة بصورة لا

نهاية لها ".. بينما يرى " مايكل ويدلانسكى" فى مقال نشرته جريدة " جيروزاليم بوست " الإسرائيلية يوم ٢١ أبريل عام ١٩٩٣م ، إن الإسلام "عقيدة سياسية واضحة وعقلية نضالية تبشيرية بل عدوانية ".. بينما يرى آخرون أن الصلة بين الإسلام والديمقراطية وحرية الرأى منقطعة ، وهكذا زرع الإسرائيليون المخاوف عن الإسلام فى نفوس الأوروبيين والغربيين – المهيئين فى الأصل – لقبول كل ما يقال من سلبيات الإسلاميين.

٤– كما لعب المفكرون فى خطابهم الإعلامى على وتر أن العرب والمسلمين يريدون تدمير إسرائيل لأنها جزء من الحضارة الغربية ، وأنها الموقع الأمامى فى المعركة الحضارية ، ومثال ذلك ما نشرته صحيفة " يديعوت احرونوت " فى مقال للمفكر الصهيونى جاى باخور يوم ٢٨ فبراير ٢٠٠٥م ، زاعماً أن الطائفة المسلمة فى أوروبا أصبحت تمثل رعباً للمجتمع والحكومات ، على اعتبار أن المسلمين قد يصبحون أكثرية فى المستقبل القريب فى بعض دول أوروبا .

يتفق كل من المفكرين والمستشرقين الصهاينه فى موقفهم العريق المتسم بالعنصرية والعداوة ضد الإسلام والعرب ، وذلك بسبب اللغة والعقيدة المشتركة بين الغرب والصهيونية والتوحد فى التصور – Identification عن العرب والمسلمين فعلى سبيل المثال ، نجد باحث صهيونى مخلص هو وليام زف صاحب كتاب " اغتصاب فلسطين " يردد نفس مقولات المستشرقين القدامى عن العرب مثل الصفات البدائية والتهتك الجنسى والنزعة النفسية للعنف، واللاعقلانية المتعطشة للدماء والافتقار للذكاء .. أما الإسلام فيصفه الباحث اليهودى – مثلما ورد لدى المستشرقين – بأنه مليء بالمستويات الخلقية الحقيرة، والخرافات والجهل المتعصب.

يمكن القول أن تقديم الصهاينة للعرب على النحو السابق – إلى المجتمع الغربى لم يؤد إلى تشويه الصورة العربية والإسلامية فقط بل أدى إلى إحياء

الصورة السلبية القديمة مثل الجهل والتخلف والجبن والعنف والبدائية .. فقد أكدت الباحثة الأمريكية " جانيس تيرى " فى دراستها "للاتجاهات الصهيونية تجاه العرب ، كما تعكسها النشرات الموجهة إلى الجماهير الغربية " ، أن الصهيونية قد جردت الشعب الفلسطينى من إنسانيته ، بشكل يحط من قدره ، وعملت هذه النشرات الصهيونية على تثبيت الصور القديمة التى روجها المستشرقون ..وتقول تيرى إن الدعاية الصهيونية عملت على إشاعة الاعتقاد لدى القارئ العادى ، إن العربى هو "الفلاح" أو " البدوى" وأن " الإسرائيلي " شخص متفوق عليه ، مما يوحى للقارئ بأنه إذا لم يعترف هذا " البدوى " بإسرائيل ، فأنه سيظل متخلفاً بمسافة طويلة جداً وراء إسرائيل.(٥٨)

٥- ممارسة الضغوط لكي ينشر الإعلام الغربي معلومات غير دقيقة عن العرب والمسلمين ويحجب المعلومات السلبية عن إسرائيل والصهيونية .. ويعد كتاب " إياك والنشر .. قصة التغطية لشئون الشرق الأوسط " من أبرز المؤلفات حول الضغط الصهيونى لدى الإعلام الأوروبى .. ويؤكد مؤلف الكتاب " مايكل ادمز " وهو صحفى بريطانى بارز ، أن الكتابات الصحفية المتحيزة ضد العرب والمسلمين الصادرة من فلسطين المحتلة ، إنما ترجع إلى عادة الصحف البريطانية فى تعيين مراسلين لها فى إسرائيل من اليهود أو المناصرين للصهيونية ، مما قد يؤدى إلى توليد عنصر من عناصر الكتابة الصحفية الانتقائية .

كما يشير ادمز إلى الضغوط التى مورست عليه لمنعه من نشر سلسلة تقارير عن الأوضاع المتردية للشعب الفلسطينى تحت الاحتلال الإسرائيلى فى غزة والضفة الغربية عام١٩٦٧م ، حيث رفضت جريدته – الجارديان – وكذلك التايمز نشر هذه المقالات ، وعندما قام بنشرها فى جريدة أخرى ، واجه حملة منظمة من قِبَل السفارة الإسرائيلية فى لندن وكذلك الصحف اليهودية فى بريطانيا ومن مؤيدى الصهيونية ..

ويؤكد ادامز أن الصحفى مهما يكن مؤهلاً ، فإن الكتابة لصحفية بريطانية يجب ألا يتعارض مع الهوى الصهيونى والسفارة الإسرائيلية، وألا تعرض الصحفى لفقد عمله أو على الأقل منعه من الكتابة فى نفس الموضوع ، ويذكر ادامز أن جهود الصحفيين لوقف الضغوط الصهيونية لم يكن لها إلا تأثير قليل ، حيث يواجه هؤلاء الصحفيين " جبروت الوكالات الدعائية الصهيونية المختلفة ومجموعات الضغط فى هذه البلاد . " (٥٩)

والخلاصة ، أن الصهيونية منذ قيام دولتها عام ١٩٤٨م على أرض فلسطين. لم تتغير لهجتها بشأن العرب والفلسطينيين ، فهم يمثلون كتلة لا وجهة لها إرهابية مجردة من الإنسانية ، تظهر دائماً فى صور عنصرية سلبية ، وليس من المستغرب أن تتبنى وسائل الإعلام الأوروبية والأمريكية مثل هذه الصور بالنظر إلى الصلة الحميمة بين الأهداف الامريكية والأوروبية من جانب والأهداف الصهيونية من جانب أخر .

مراكز الأبحاث الصهيونية .. مؤسسات تصنع العداء للإسلام

لعبت مراكز الأبحاث السياسية think tank ومراكز الأبحاث الإعلامية والتي يسيطر اليهود والصهاينة على أغلبها دوراً مهماً فى صناعة العداء للإسلام والمسلمين، ومن أهم هذه المراكز ، مؤسسة أبحاث الإعلام للشرق الأوسط (ميمرى) والذى تأسس عام ١٩٩٨م فى واشنطن على يد الكولونيل ايجال كارمون العضو السابق فى الاستخبارات الإسرائيلية :

أ- مهمة المركز ترجمة محتوى وسائل الإعلام (العربى والفارسى والعبرى) إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والإيطالية والروسية والتركية والعبرية ، إلى جانب تقديم تحليلات فريدة للتوجهات السياسية والايديولوجية والفكرية والثقافية والدينية والاجتماعية السائدة فى الشرق الأوسط وهى مؤسسة مستقلة لها مكاتب فى برلين ولندن والقدس ، وتوفر خدماتها مجاناً بانتظام وبشكل واسع إلى وسائل الإعلام والمؤسسات والسياسيين

والمسئولين فى أوروبا والولايات المتحدة -خاصة أعضاء الكونجرس الأمريكى إلى جانب " مشروع ميمرى للرقابة التلفزيونية " والذى يتابع محطات التلفزيون الرئيسية العربية والإيرانية ، وتقوم المؤسسة بانتظام بترجمة مقتطفات قصيرة مختارة بعناية ، لتقدمها إلى المحطات الغربية وإلى مختلف هيئات الإشراف السمعى والبصرى .. تقوم العملية على اختيار النصوص والمقاطع المطلوب ترجمتها ، وتنزع "ميمرى" إلى إبراز تيارات فكرية محدودة التأثير فى الصحافة والإعلام ، فالقارئ الذى لا يتقن العربية ويكتفى بهذه الترجمات يعتقد أن الإعلام العربى يقوده مجموعة من الكتاب والصحفيين المتعصبين المعاديين للغرب.[٦٠]

ب- يشير موقع المؤسسة على شبكة الانترنت www.memri.org إلى أنها تعمل على استكشاف الشرق الأوسط من خلال وسائل إعلام المنطقة ، وإنها تقيم جسراً بين الغرب والشرق الإوسط ؛ " توفيراً لمعلومات عن النقاش الدائر حول السياسة الإمريكية فى الشرق الأوسط " ويؤكد ذلك الجنرال ايجال كارمون مؤسس المركز بقوله على شاشة قناة الجزيرة فى فبراير ٢٠٠٤م "إن هدف ميمرى علمى وهو إبلاغ الغرب كيف أن وسائل الإعلام العربية تصنع أحداثاً فى الشرق الأوسط " .. ولكن يرى بعض الكتاب العرب ، وأحياناً الأوروبيين ، أن الدور الحقيقى لمؤسسة " ميمرى "هو خدمة حكومة تل أبيب وخاصة الليكود وجماعات الضغط الصهيونية فى الولايات المتحدة ، فالواقع إنه عند تأسيسها ،كان ثلاثة من أصل ستة من فريق عملها قادمين من جهاز الاستخبارات الإسرائيلية، كما أن الكولونيل كارمون يتمتع بروابط قوية مع صُنَّاع القرار فى الكيان الصهيونى ، فهو يتحدث العربية وعمل مستشاراً فى مجال مكافحة الإرهاب لدى رئيسين للوزراء هناك هما اسحاق شامير واسحاق رابين ، كما يستفيد من دعم بعض القوى الفاعلة فى الولايات المتحدة ،مثل مؤسسة " هودسون " القريبة من المحافظين الجدد – الذين حكموا الولايات

المتحدة إبان فترة بوش الابن - خاصة الناشطة الصهيونية " مايراف ورمسر " مسئولة قسم الشرق الأوسط فى المؤسسة – آنذاك – كما تستفيد " ميمرى " أيضاً من عطاءات العديد من المانحين الذين ينتمون لليمين الأمريكى مثل مؤسسة " ليندو هارى برادلى " ... وبشكل عام تخدم " ميمورى " الاستراتيجية الإسرائيلية للتشكيك فى العلاقات بين الغرب والعالم العربى والإسلامى ، أى تسميم الأجواء بيننا وبين الغرب ، بهدف تشويه صورة العرب والمسلمين فى نظر الغرب ، من خلال تصويرهم بأنهم متعصبون وكارهون للآخر ، وذلك من أجل تحسين صورة الدولة العبرية أمام العالم ، والتى تدهورت كثيراً منذ الانتفاضة الفلسطينية الاولى (١٩٨٧- ١٩٩٣) وحرب الجنوب اللبنانى ، مما دفع الكيان الصهيونى إلى الاهتمام مباشرة بما تقدمه وسائل الإعلام العربية خاصة بعد انتشار الفضائيات وفَقْد الحكام العرب جزء من رقابتهم على الإعلام(٦١).

جـ - نفذت "ميمرى" عدة حملات ضد القضايا المتعلقة بالعرب والمسلمين مثل : حملة التشهير بالكتب الفلسطينية المدرسية عام ٢٠٠١م ، للإيحاء بأن هذه الكتب تغذى معاداة السامية ، كما ساهمت عام 2003 فى الحملة التى ادت الى اغلاق مركز الشيخ زايد فى الامارات ، وفى عام 2004 نجحت بالتعاون مع موقع info–proche- orient فى منع بث قناة "المنار" التابعة لحزب الله فى فرنسا ، بعد ان بثت القناة فى اكتوبر 2003 مسلسلا يتعلق باليهود ويعرض جريمة قتل تتعلق بالشعائر ، وكانت التهمة حسب القانون الفرنسى معاداة السامية .!!

وفى يونيو ٢٠٠٤م أطلقت ميمرى حملة عنيفة ضد زيارة الشيخ القرضاوى إلى لندن ،رغم طلب عمدة لندن فى ذلك الوقت "كين لفنجستون" دراسة ، خلصت إلى أن هذه الحملة الإعلامية لميمرى " تندرج بالتأكيد ضمن موجة العداء للمسلمين الرامية إلى منع الحوار بين المسلمين التقدميين والغرب " ..

وفى نهاية الدراسة التى شملت مؤلفات القرضاوى أشارات النتائج ، التى جاءت مذهلة ، أن مؤسسة "ميمرى " التى تدَّعى الموضوعية هى من روجت عن عمد إلى صناعة الأكاذيب التى تشوِّه مواقف وآراء القرضاوى .. وقد جاء ذلك على لسان عمدة لندن قائلاً : " اكتشفنا أن مدير المؤسسة ضابط سابق فى الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) وهو يشوِّه الوقائع بانتظام ، ليس ما يتعلق بالقرضاوى فقط ، إنما بكل ما يقوله العلماء المسلمون ، وفى غالب الأحيان ، يكون التشويه كاملاً لذا نشرت هذا الملف " (٦٢)

د- ورغم خطورة ما سبق ، فإن الأمر الأكثر خطورة هو خلق جيل من العملاء والموالين للفكر والمنهج الذى تسير عليه هذه المؤسسة ، وذلك من خلال ابتداع فئة " الصحفي الليبرالي أو التقدمي" ، والانتماء لهذا الصنف ، يتطلب :

أولاً : الوقوف ضد أية مقاومة مسلَّحة في العالم العربي ، خاصة في العراق وفلسطين ، انتقاد حركة حماس وحزب الله ، إظهار العداء الشديد للقومية والإسلام السياسي (لاحظ ذلك الهجوم في مصر بعد الثورة خاصة بعد حصول التيار الإسلامي علي الإغلبية في البرلمان بداية ٢٠١٢م ، ثم انتخاب رئيس الجمهورية المنتمي للتيار الإسلامي) والتعبير عن احتقاره للثقافة العربية وانتقاد علماء الدين .

ثانياً : مطلوب منه الدعوة إلي "الواقعية " أي القبول ميزان القوى وبالتالي الهيمنة الأجنبية ، والترحيب بالمشاريع الأمريكية في الشرق الأوسط ، وتشجيع العرب علي النقد الذاتي والتخلي عن عقلية "المؤامرة" ، وكذلك امتداح الحريات الفردية بأنواعها !! دون التشديد علي الحريات السياسية والإصلاح السياسي ، خاصة في دول الخليج .. وبالتالي وضعت قائمة للصحفيين العرب الذين تكيل لهم "ميمرى" المدح أو الانتقاد بما يشكل نظاماً للثواب والعقاب (٦٣) .. فالصحفيون الليبراليون والتقدميون يُدْعَوْن لزيارة الولايات المتحدة ومراكز

الأبحاث الموالية للصهيونية ، ويتم الحصول على تأشيرات دخول أمريكا بسهولة ومن ثم الاتصال بالإعلام والمسئولين الإمريكيين والأوروبيين .. أما العقاب ضد من تصنفهم " ميمرى " مروجي الكراهية ، فيمكن أن يتضاعف كماً وكيفاً إلى حد مطالبة بعض الإعلاميين الإمريكيين من وزارة الخارجية الإمريكية بإصدار تقرير كل ٣ أشهر يتضمن أسماء العشرة الأوائل المروجين للكراهية ومن يجدون مبررات أو أعذاراً للإرهاب ، خاصة توماس فريدمان كاتب الافتتاحيات فى صحيفة " نيويورك تايمز ".

هـ - غالباً ما يتم توجيه نقد لمؤسسة " ميمرى " بسبب نوعية ترجماتها وحتى حول مصداقيتها ، خاصة فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين أو ما يتعرض للصهيونية أو إسرائيل بالنقد .. من أهم الأمثلة على ذلك قيام المؤسسة بترجمة فقرات من برنامج " أكثر من رأى " الذى أذاعته قناة " الجزيرة" القطرية بعد التفجيرات التى وقعت فى لندن فى السابع من يوليو ٢٠٠٥م ، والذى شارك فيه هانى السباعى القيادى الإسلامى المقيم فى بريطانيا ، وأدخلت الترجمة مصطلح " دار الحرب " الذى تم ذكره على لسان السباعى ، وبالتالى فإن إضافة هذا المفهوم – فى ظل الحرب على الإرهاب فى ذلك الوقت – يوحى أن كل شئ مباح فى " دار الحرب " !! وكأن الإسلام يسعى للخراب والدمار والقتل .. وقد تم ترجمة مصطلح "الصهيونية " الذى يرد فى الصحف العربية باليهودية أو اليهود، بما يوحى أن الكاتب لا ينتقد الحركه الصهيونية أو إسرائيل وإنما ينتقد اليهود كشعب ، بالتالى فإن تهمة معاداة السامية جاهزة وبالتالى يمكن عقاب الكاتب وتدمير حياته ، خاصة إذا كان مقيماً فى الولايات المتحدة أو أوروبا أو له مصالح مرتبطة بالغرب ، وحدث ذلك مع حليم بركات الأستاذ بجامعة جورج تاون بنيويورك ، حيث تم ترجمة مقال نشر له فى "الحياة " اللندنية تحت عنوان " المسخ الذى خلقته الصهيونية : التدمير الذاتى" ترجمة "ميمرى" بعنوان يثير الكراهية (اليهود فقدوا انسانيتهم) .

الخلاصة

تشير الاتجاهات السائدة فى انحاء كثيرة من أوروبا – خاصة فى الدنمارك وهولندا وفرنسا وسويسرا وبلجيكا – إلى أن الروح المعادية للإسلام لم تفصح عن نفسها فى الأبواب الثقافية التى تنشرها الصحف والمجلات ، ولا شبكة الإنترنت والندوات التلفزيونية فقط بل تظهر أيضاً واضحة فى خارطة الحياة الحزبية وفى نتائج الانتخابات العامة ،والتى كان آخرها حصول مرشحة الجبهة الوطنية المتطرفة فى فرنسا على نحو ٢٠% فى انتخابات الرئاسة ٢٠١٢م ، خلال الجولة الأولى ، والمعروفه بعدائها الشديد للمهاجرين وخاصة المسلمين.

يرى بعض المحللين والباحثين المتخصصين – مثل فايدنر – أن المواقف السلبية التى يتخذها الرأى العام الأوروبى تجاه الإسلام ، ترجع إلى مجرد مخاوف مرضية وليست حصيلة وقائع حقيقية .. والدليل على ذلك أن الحركة المعادية للإسلام تعمل بلا أرضية سياسية ، بالرغم من تمتعها بتأييد جماهيرى عريض ووجود بعض المثقفين والسياسيين فى صفوفها كما أن الأحزاب التابعة لهذه الحركة العنصرية ، هى أحزاب تكاد تعيش على الهامش وتعجز عن تحديد أهداف سياسية لتحقيقها دون اتخاذ اجراءات متحيزة ضد الإسلام ، إلى جانب لجوء الخطاب الإعلامى للحركة المعادية للإسلام إلى " التعميم " فى الأحكام ، وتجاهل الاختلافات بين المسلمين ، فأصبح الغضب والاحتجاج الصادر من هذه الحركة ليس إلا من قبيل الضجيج والصخب ، حيث التنفيس عن غضبها من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية ، والتى يجدون منها الأذان مصغية بحجة أن التنفيس يمنع قيام أحزاب تناهض الإسلام أو اتخاذ مواقف متطرفة تجاه الإسلام رغم أن الشواهد تؤكد أن المنطق والحجج الدامغة لا تجدى نفعاً مع هذه الحركة المناهضة للإسلام كما يقول رئيس تحرير مجلة فكروفن .

يمكن تلخيص العقيدة التي تتوارى خلفها حركة العداء للإسلام في الغرب ، في عبارة تزعم ظلماً وبهتاناً أن الإسلام لم ينطو على خير قط ، ولا خير منه

قطعاً ، وبالتالي فقد انعكس ذلك على صفحات بعض الصحف الأوروبية على سبيل المثال حتى عام ٢٠١٠م ، حيث يمكن أن نفترض من خلال النقاشات في تلك الصحف أن حوالي نصف الأوروبيين يعتبرون الإسلام وأغلب المسلمين خطراً يهدد أمنهم ، ويعتقدون أن وجود الحجاب والمساجد في الأماكن العامة رمزاً لاضطهاد المرأة وظاهرة تشير إلى سعي الإسلام للهيمنة على بلادهم – انظر " شتيفان فايدنر " : " جدل جديد هو الإسلام في المانيا : لماذا يتملق الإعلام الألماني للحركة المعادية للإسلام "موقع قنطرة ١٠/١٠/ ٢٠١٠!

ومع ذلك أمست حركة معاداة الإسلام تتصف بالاحترام والتبجيل !! وذلك لانتشار هذا التوجه المتعجرف بشكل واسع في صفوف الكثير من المثقفين ووسائل الإعلام .. وكلما كانت وسيلة الإعلام أكثر جماهيرية ، كان خطابهم الإعلامي أكثر تمتعاً بصفات السمو والرفعة ، كما صارت هذه الحركة تتسم بالتعالي والعجرفة ، ولا تصغي لوجهات النظر الأخرى أو الاعتراض على آرائها ، وتعتبر النقد سياسة تضحي بالمبادئ الأخلاقية .

المبحث الخامس

مفهوم الأصولية وحرب المصطلحات الإعلامية

هناك خلط واضح – سواء بقصد أو بغير قصد – من الإعلام الغربي في المفاهيم المتعلقة بالقضايا الإسلامية ، مثل الفرق بين الإسلام والتوجهات والحركات الإسلامية وكذلك مفهوم " الأصولية " ، " التطرف " ، " الإرهاب " "الراديكالية الإسلامية " و " الإسلام السياسي" .. فهذه المصطلحات من صنع الإعلام الغربي بصفة عامة ولا وجود لها فى اللغة العربية أو الثقافة الإسلامية إلا منذ سنوات قليلة ماضية ، كما أن هناك اختلافاً كبيراً في الدلالات والمعاني، بين ما يريده الإعلام الغربي من هذه المصطلحات وبين معانيها في العالم العربي والإسلامي .

مصطلح التطرف

إن العالم الإسلامي لا يعرف مصطلح "التطرف" فهناك "الغلو" أو "التشدد" ، وهي حالة من الشطط في الأفكار أو المعتقدات لا تخرج إلى حيث الفعل ، أما في الأعلام الأوروبي والغربي بصفة عامة ، فالتطرف والإرهاب سواء .. كما أن "الإرهاب" في الأعلام الأوروبي هو كل نشاط أو رد فعل يخالف السياسات الغربية، وبالتالي فإن حركة حماس وحزب الله من الإرهابيين، أما علماء الإسلام فيرون (في اجتماع عقد في شهر يناير٢٠٠٢م في مكة) أن الإرهاب هو" كل عمل يمثل عدوان ضد الإنسان أو دينه أو روحه أو ممتلكاته أو أفكاره" وبناء على ذلك فالمقاومة ضد الاحتلال ليست إرهاباً ،بل قتل الفلسطينيين الأبرياء هو الإرهاب . (٦٤)

مصطلح الأصولية

أما "الأصولية" فهي في الإعلام الغربي تعني التخلف والجمود والرجعية (هذا هو المعنى الذى عرف عنها فى أوروبا في عصر النهضة) .. بينما "الاصولية" في الفكر الإسلامى هي عملية وضع القواعد التى قام عليها الفقه الاسلامى ، والأصوليون هم العلماء المتخصصون في أصول الفقه ... وفي العصر الحديث أصطلح على إنها تعني حركة "البعث" أو "الإحياء" الإسلامي والعودة للجذور الإسلامية من القران والسنة ، واتباع الشريعة في كافة مناحى الحياة .. وبناءً على ما سبق فإنه يمكن الأخذ في عين الاعتبار أن مفهوم مصطلح "الأصولية" من وجهة نظر الإعلام الغربي هو مصطلح سلبي ، وهو دليل في أغلب الأحيان على تقدم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين .. وجدير بالذكر أن الإعلام العربي والإسلامي قد نقل المعانى السابقة إلى قاموسه اللغوي ومرجعيته الدلالية ، نقلاً عن الإعلام الغربي(الذى مارس عملية نحت لغوى لهذه المصطلحات دون مراجعة نقدية).

اتسمت كثير من المعالجات الإعلامية الغربية حول "الأصولية" بالتحيز الواضح ورسم صورة سيئة للإسلام والمسلمين من خلال الربط بين الأصولية وحركة التدين بصفة عامة ، مع التركيز على أحداث العنف من بعض الجماعات الإسلامية والربط بين هذه الأحداث والإسلام أو التركيز على ما يحدث بين أبناء الجاليات الإسلامية فى الغرب وربطه بظاهرة الأصولية .. وفى هذا الإطار نشرت صحيفة " لوبوان" الفرنسية تحقيقاً صحفياً في نهاية شهر مارس ١٩٩٦م حول أوضاع المسلمين في فرنسا اعتمدت على شهادات حية لعدد من أبناء الجالية المسلمة هناك ، إلى جانب لقاء مع أحد المهتمين بقضايا الإسلام والمسلمين ، وكان الحوار عن جذور التطرف ومنابع الأصولية الإسلامية في فرنسا حيث أشار هذا المفكر إلى دور أئمة المساجد في فرنسا الذين يتولون مسئولية الإرشاد الديني بين أبناء الجالية المسلمة هناك ، وأن معظم هؤلاء الأئمة غير متعلمين أو متوسطى التعليم خاصة القادمين من شمال إفريقيا . وحذرت الصحيفة في ختام التحقيق من حدوث انتفاضة إسلامية على الطريقة الفرنسية ، تشبه الانتفاضة الفلسطينية بين مسلمي فرنسا وأشارت إلى قول أحد الكتّاب الفرنسيين بأن السيطرة على أفعال المسلمين في فرنسا هي السبيل الوحيد والصحيح لإزالة جميع أشكال التوتر والشعور بعدم الأمان في المجتمع الفرنسي .. وهناك أمثلة عديدة في مختلف وسائل الإعلام الأوروبية للتشويه المتعمد في تصوير" الظاهرة الإسلامية" والخلط في المفاهيم منها مانشرته معظم الصحف الإيطالية في أوائل عام ١٩٩٧م عن مقتل أسقف فلبيني في جزيرة جولو الواقعة جنوب الفلبين وتقطنها أغلبية كبيرة من المسلمين وقد اشتبه رجال الأمن فى أن أحد أعضاء جماعة "أبو سياف" الإسلامية قد ارتكب هذه الجريمة ، حيث إن هذه الجماعة التى تنادى بالاستقلال عن الفلبين ، قد نظمت فى الأعوام الأخيرة عدداً من الاعتداءات وكانت أبرز الصحف الإيطالية في تناول الحدث هي صحيفة "كورييري ديلاسيرا" تحت عنوان " جماعة أبو سياف التى تمولها الدول العربية ومرتبطة بالإرهاب الدولي كانت تريد اغتيال

البابا بواسطة انتحارى فدائـــى" ، بقلم "جويدو اولمبيو" الكاتب الصحفي المتخصص في الكتابات التى تتناول الأنشطة الإرهابية جاء فيه :

١- إن المتطرفين الإسلاميين التابعين لجماعة "أبو سياف" لهم حساب مفتوح مع الكنيسة الكاثوليكية ،أي أن كل من يمثل المسيحية يعتبر هدفاً يجب ضربه ، فالمجاهدون في مشروعهم الهادف إلي خلق جمهورية إسلامية جنوب الفلبين لا يتوقفون أمام أحد بما في ذلك البابا الذي نظموا له محاولة اغتيال في يناير ١٩٩٥م اثناء زيارته للفلبين .

٢- إن "أبو سياف" نفسه قد تربى في مدارس "الأصولية الإسلامية" في باكستان في معسكرات الجهاد ضد الروس .

٣- رجال أبو سياف تآمروا لتدمير طائرة أمريكية وضرب البيت الأبيض والقيادة العامة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وأنهم يقومون بحملة تصفية جسدية للقساوسة والمبشرين والموظفين ،وأنهم يتلقون الدعم المالى من بعض دول العالم العربي مثل : ليبيا ،وسوريا ومن رجال أعمال الخليج الأثرياء

يلاحظ القارئ مدى الخلط والتشويه الذى تقدمه هذه المعالجة الصحفية لصورة الإسلام والمسلمين، وذلك عندما يطالع هذا المقال الذي يربط بين المتطرفين المسلمين ومحاولة اغتيال البابا وقتل أسقف فلبيني وغيره من القساوسة والمبشرين ، وأن قيام جمهورية إسلامية يعني عدم التوقف أمام أى ممنوعات أو محظورات فعلى الفور سيدرك القارئ الإيطالي المسيحي أن هذا هو موقف الإسلام نفسه من غير المسلمين .

ومن الأمثلة الصارخة فى هذا السياق مقال البروفيسور الروسي "اليكس مالا شينكو" الأستاذ بمعهد العلاقات الدولية بموسكو والذى نُشر في الملحق الدينى الأسبوعي لصحيفة "نيزا فسيمايا" آواخر يونيو ٢٠٠٢م حول العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي من وجهة النظر الروسية وجاء فيه :

١- إن الصراع في الشرق الأوسط بين العرب واليهود هو صراع سياسي ولكن يؤججه العامل الديني ، وذلك في معرض حديثه عن أسباب التطرف في العالم الإسلامي .

٢- كما يرى أن ظاهرة التطرف توجد في الإسلام أكثر من أى دين آخر ، ولكنه في نفس الوقت يرى أنه لا يجوز أن نساوى التطرف الإسلامي بالإسلام.

٣- يشير الكاتب إلى أن استطلاعاً للرأى أجري آنذاك في موسكو ، شمل مسلمي العاصمة الروسية ، أظهر أن بعضهم يرى في" أسامة بن لادن" المسلم الحقيقي ، إذ جاء بن لادن في المرتبة الثالثة بين النماذج الصالحة التى يجب الاقتداء بها في رأي الذين شملهم الاستطلاع وهم المسلمين الموسكوفيين. فهذا المقال من وجهة نظر بعض المحللين يحاول "دس السم في العسل" أو يتحلى بقصور النظر ، ففي الوقت الذي يرفض الربط بين التطرف والإسلام ، نجده يستخدم لفظ "الإرهاب الإسلامي" "التطرف الاسلامي" ، كما أنه لم يكن الصراع العربي الإسرائيلي يوماً من الأيام يرجع إلى عامل ديني بل هو احتلال لأراضٍ عربية ، وبناءً على ذلك يرى أن العرب المسيحين يميلون إلى الاتفاق مع إسرائيل بصورة أكبر من العرب المسلمين .

فالكاتب هنا يرى المقاومة الفلسطينية عنف وإرهاب ، وهو خلط نتج عن ربط "الأصولية والإرهاب" بالإسلام . كما أن الحديث عن الاستطلاع الذى يظهر مسلمى موسكو يؤيدون "ابن لادن" ويعتبرونه ثالث نموذج إسلامي يمكن الاقتداء به ، هو تشويه خطير للصورة الإسلامية في الفترة التى جاءت بعد أحداث ١١ سبتمبر .

يؤكد "إريك رولو" مراسل صحيفة "لوموند" الفرنسية بالشرق الأوسط ، في كلمته خلال منتدى الإعلام العربي – الذى عقد في دبي خلال شهر مايو ٢٠٠٢م – أن الرأي العام الفرنسي مازال مشوشاً بالنسبة لصورة العرب

والمسلمين ، وأشار إلى استفتاء حديث أظهر أن واحداً من بين كل شخصين فرنسيين يؤمن بوجود علاقة بين الإرهاب والإسلام . (٦٥)

نشرت صحيفة (ديلى تيلجراف) البريطانية تقريراً مطولاً بتاريخ ٣١/ ٨ / ٢٠٠٢م تحت عنوان (علاقة السلفيين بابن لادن) .. حيث يشير كاتبا التقرير إلى الربط بين الإسلام السلفى ـ المقصود هنا الإصولية الإسلامية - وبين المشتبه فيهم فى أحداث سبتمبر ٢٠٠١م الذين لهم صلة بتنظيم القاعدة ، وأن المتهم الرئيسى كان كان يحمل فى أمتعته كراسة دعاية للمذهب السلفى ، وأن هناك جماعتان فى بريطانيا تتمسكان بتعاليم السلفيين ومقرها(مسجد فينسبرى بارك) وبالتالى توجيه الإتهام للمساجد والمراكز الإسلامية بالإرهاب .. كما حمل التقرير اتهام صريح للسعودية بنشر الفكر السلفى وبالتالى نشر الإرهاب ، وهو ماينطبق على العديد من الجماعات التى تتبنى الفكر السلفى فى العالم العربى .. ويشير التقرير إلى أن (المواقع الخاصة بالجماعات السلفية على شبكة الإنترنت) من بين ١٠٠ موقع وصفها فريق البحث الأمريكى (انفورميشن برود يوزر) Information broad user بأنها وسائل لنشر التطرف الإسلامى، ومع ذلك يرى التقرير أن هناك تناقضاً بين الواقع وبين الأفكار والمبادئ المعلنة للفكر السلفى ، والتى تحرم بشكل واضح الاعتداء على الأبرياء أو ارتكاب أعمال عنف .

مصطلح محور الشر

وفى إطار ما يعرف باسم (الحرب على الإرهاب) بعد أحداث سبتمبر ثم غزو أفغانستان للقضاء على القاعده وطالبان ، روّجت الصحف الغربية لبعض المصطلحات التى أطلقتها الدوائر السياسية والآلة الإعلامية فى الولايات المتحده مثل مصطلح (محور الشر) ، حيث وقف جورج بوش الابن بالزى العسكرى على متن حاملة طائرات ليعلن انتصاره على محور الشر أى الإسلام، وعموماً فإن الإسلام بالنسبه للغرب يعتبر مرادفاً للجهاد والذى يفسر

فى الغرب على أنه إرهاب ،، أما القرآن فهو كتاب فى نظرهم يحض على الكراهيه ــ انظر مجلة (جين أفريك) الفرنسية تحت عنوان(هل يشكل الإسلام عقبه أمام السلام !) بتاريخ ١٠ أغسطس ٢٠٠٣م ــ وهكذا أصبح التمييز بين الإسلام والتطرف الإسلامى فى الإعلام الغربى ــ ما هو إلا تجميل وتورية ، ويصرح (فرانكلين بيلى جراهام) ــ ابن القس الذى أقام شعائر الصلاة بمناسبة تولى جورج بوش الإبن رئيساً ــ بأن الإسلام (دين شيطانى وشرير) ففى الغرب أصبح الدين الوحيد الذى ينظر إليه بهذه الطريقه هو الإسلام ، ومن هنا يتضح معنى محور الشر ، كما يقول كاتب المقال السابق .

كما انتشرت خلال أعلام الغرب فى تلك الفترة مفاهيم مغلوطة عن العلاقة بين الإسلام وحقوق الإنسان والديموقراطية ، واعتبار أن فكر الحركات الإسلامية والإسلام السياسي ترجمة إسلامية مزيفة للفاشية الغربية وأن هذا الفكر ماهو إلا (التفسير الخبيث للإسلام) والذى بدأ منذ عقود مضت مع الأيديولوجيين المعادين للغرب مثل أبو الأعلى المودى فى باكستان وسيد قطب فى مصر ، فأصبحت أفكارهم عن البربرية الغربية وصحوة الإسلام عليها شعارات وضعت لدفع المتعصبين للقتل [٦٦] حتى ذهب البعض بعد سقوط صدام حسين عام ٢٠٠٣م إلى أنه من البديهى والواضح أن القانون الوحيد الذى يمكن تطبيقه فى العراق مثلاً هو القانون الإسلامى وشريعة القرآن وأنه يختلف تماماً عن مبدأ حقوق الإنسان الذى على أساسه تقوم الديموقراطيات ... ويرى هؤلاء من المؤكد أنه لم يحدث قط فى أى بلد إسلامى أن تمخضت الانتخابات عن ديموقراطية حقيقية كما ورد فى صحيفة (كوريرى ديلاسيرا) الإيطالية ٢٩ / ٤/ ٢٠٠٣م .

استخدام الإعلام الأوروبى مصطلحات لها علاقة مثلاً (بالأمراض) فعندما يدور الحديث عن التطرف الإسلامى بأنه ورم سرطانى ــ كما جاء فى مجلة دير شبينجيل ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٢م ــ فإن التسمية المثيرة للخوف والاشمئزاز

تتضمن فى حد ذاتها دعوة للقضاء على الإسلام وتدميره باعتبار أنه ورم سرطانى !! ، ولكنه من الملاحظ – كما سبق ذكر ذلك مراراً- أنه نادراً ما يتم الفصل بين التطرف والإسلام بصورة واضحة وجلية .. وقد استخدمت الصحف الفرنسية تعبير(حمى الإسلام) مثل صحيفة (لواكسبريس) بتاريخ ٢٠٠١/١١/١م في الصفحة الأولى، رغم أن المقصود هو الإشارة إلى التطرف ، ويأتى فى إطار الخلط الواضح فى استخدام المفاهيم والمصطلحات ، عبارات مثل : (المعتدى المسلم) ، (الإرهابى الإسلامى) ، (المتطرف المسلم) .

الخلط بين الاستشهاد والانتحار ، والاحتلال والتحرير

وفى إطار حرب المصطلحات ، تتم ترجمة بعض المصطلحات بما يغير دلالاتها مثل استخدام لفظ انتحارى أو عمليات انتحارية ، بدلاً من شهيد أو عمليات استشهادية ' خاصة بما يتعلق بالمقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلى.. كما تستخدم القنوات التليفزيونية الكبرى مثل C.NN عبارات مراوغة مقتبسة من القاموس العسكرى لتعبر عن اغتيالات الجيش الإسرائيلى للعناصر الفلسطينية بـــ Target Killing (قتل هادف) بدلاً من تسميتها الصحيحة (جريمة قتل) Assassination ، كما أطلقت العديد من وسائل الإعلام الغربية على الاجتياح الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣م (حرب تحرير) Liberation of War بدلاً من الاسم الحقيقى وهو (حرب احتلال) Occupation of War أو غزو العراق مثلاً .

أطلقت بعض الصحف الأوروبية والغربية – بصفة عامة- مصطلحات عنصرية على حركات الإسلام السياسي ، مثل الفاشية الإسلامية مع الربط بين الإسلاميين و(النازيين الجدد) ، لأنهم يظلون متحدين جميعاً فى (الحقد على المرأة ومعادات السامية ورفض الديموقراطية والأفكار التحريرية والممارسة الإختيارية للجنس) ، وهذه ليست سوى بعض السمات المشتركة التى تجمع

بينهما ، مثل الرؤية العامة للعالم وصورة العدو النموذجى) كما نشرت صحيفة TAZ الألمانية بتاريخ ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤م .

تجاهل الجرائم العنصرية ضد المسلمين

ومن الملاحظ أنه عندما يتم ارتكاب جرائم عنصرية ، من قتل واعتداء على المسلمين ومساجدهم ، على أيدى متطرفين ، فإن وسائل الإعلام فى أوروبا والولايات المتحدة تتجاهل تناولها بشكل موسع فى النقاشات والحوارات التى تقدمها ولا نلاحظ تكرارها أو التركيز عليها، فالرغم من أن قيام متطرف يمينى باغتيال المواطنة المصرية مروة الشربينى فى قاعة محكمة مدينة (دريسدن بألمانيا) كان صرخة مدوية ونموذج صارخ تحذر من خطر السموم العنصرية ضد المسلمين ، إلا أن الحدث سرعان ماجرى تجاهله فى الأعلام الأوروبى وفى الحلقات النقاشية ، بزعم أنه لا يوجد ربط بين هذه الجريمة والحركة العنصرية المعادية للإسلام ، على الرغم من أن واقع الحال يشهد فعلاً وجود هذا الربط ، فالحركة المعادية للإسلام فى ألمانيا خلقت مناخاً يعطى لكل مجرم الانطباع بأنه محق فيما يقترف من عمليات إجرامية ضد المسلمين وأنه يتصرف بأسم أغلبية المواطنين الألمانين ــ كما جاء بموقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامى qantara .de تحت عنوان " جدل حول الإسلام فى ألمانيا : لماذا يتعلق الإعلام الألمانى فى الحركة المعادية للإسلام " بتاريخ ١٠/١٠/ ٢٠١٠م .

تعمد تشويه الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين

إن تناول الإعلام الغربي لظاهرة الأصولية الإسلامية والاعتراف الصريح بتعمد تشويه الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين يأتى من خلال شهادات بعض الإعلامين والباحثين المتخصصين فى القضايا الإسلامية ، الذين ينتمون بقدر كبير من الشجاعة والموضوعية ومن أهم هؤلاء الخبراء:

روجرهاردلى المحلل السياسى المتخصص فى شئون الشرق الأوسط فى هيئة الإذاعة البريطانية B . B . C والذى قدم برنامج (الإسلام : عقيدة وقوة) حيث يعترف بأن الفهم الأوروبى للإسلام ذو بعد واحد والذى لا يمثل فقط صورة سلبية وعدائية للإسلام والمسلمين ، بل يمثل نظرة سطحية وخطيرة .. ويشير إلى أنه من خلال برنامجه السابق قد تعرض إلى تعريف مصطلح (الإسلام السياسى) وعلاقته بالإسلام وهل يمثل خطراً وتهديداً للغرب ؟ إلى جانب بحث قضية مستقبل العلاقات بين الإسلام والغرب خاصة فى بريطانيا حيث توصل إلى قناعات تؤكد وقوع خلط واضح فى المصطلحات والتعريفات خاصة الخلط بين الدين الإسلامى ومبادئة وبين ما اصطلح على تسميته بالأصولية الإسلامية وكذلك الخلط بين المسلمين وما أصطلح على تسميتهم (بالأصوليين) وهذا فى حد ذاته خطأ واضح ومنحنى خطير يؤثر فى تشكيل صورة معينة عن الإسلام – ويؤكد هاردلى فى محاضرة ألقاهابنادى الخليج الثقافى فى لندن ١٩٩٦م – على آرائه السابقة حول التوجه العام،الذى يمكن ان نسميه " توجيه التعميم " ، فعندما يقوم مسلم بعمل شئ ما فإن هذا يعني أن الاسلام هو الذى فعل ذلك – وفق التوجه العام – وهذا التوجه ليس جديداً ، ولكنه اليوم أكثر تطوراً وشراسة وفي هذا الإطار يأتي أستاذ من جامعة هارفارد الأمريكية – صمويل هانتنجتون – ليدخل نظريته ضمن هذه التصورات "السوقية " عن الإسلام ،فنظرية صراع الحضارات التى نشرت عام ١٩٩٣م في مجلة " شئون خارجية " foreign affairs " لم تأت من فراغ ، وهي صورة "سوقية " مشوهة يحملها المواطن العادى – مثل سائق التاكسي والعامل – عن الإسلام ، ولكن هذه التصورات تأخذ مكانة أكبر عندما يتحدث عنها أناس مثقفون مثل هانتنجتون وأنا لا أعتقد أن الإسلام خطر أو أن "الإسلام السياسي" خطر أيضاً ، ولكن أهم الأخطار هى الجهل والكراهية وعدم قبول الأخر – بغض النظر عن الجهة التى تمارس ذلك .

"فرانسوا بورجا" الباحث الفرنسى المتخصص فى الشئون الإسلامية والذى يشير فى كتابة "وجها لوجه : الظاهرة الإسلامية " إلى اتجاه الإعلام الأوروبى والغربى ــ بصفة عامة ــ للغايات الكبرى لــ "الظاهرة الإسلامية" ومحاولة تحريف خطاب المنتمين إليها وإبراز نقائصها وسلبياتها وإثارة المخاوف منها ويدلل على ذلك بأمثلة حيَّة عن تعامل الصحفيين مع هذه الظاهرة ، خاصة عندما يلجئون إلى الاستشهاد بأقوال وتصريحات (من ليس لهم أدنى تمثيل للظاهرة) .. وبالتالى فإن النتيجة الحتمية والطبيعية لهذه القراءة السطحية والتفسيرات العرجاء ، أن القارئ أو المشاهد ــ المتلقى ــ متوسط التعليم أو الثقافة قد يلجأــ لضيق الوقت أو عدم الرغبة فى التعمق ــ إلى الاكتفاء بما تقدمه وسائل الإعلام ولا يهتم بالبحث بدقة عن مدى صحة المعلومات والأفكار التى تقدم إليه ، فيقوم باستنكار ما أطلق عليه "الراديكالية" أو التطرف الإسلامى ... كما أن كثيراً من الدوائر العلمية فى أوروبا والغرب تسهم فى تكريس هذه الصورة المشوهه بل تضفى عليها المصداقية والشرعية . ويوضح الباحث فى نهاية كتابه أن الإعلام الأوروبى يبرز الوجه السيئ للظاهرة الإسلامية من خلال التركيز على العناصر والحركات غير المنضبطة والتى لا تعبر عن مجمل "الظاهرة الإسلامية" والتى تحمل بعض الجوانب الإيجابية ــ مثل التصدى للغزو الثقافى وكذلك استرداد الهوية ــ لذلك فإن عدم تقبل هذه الظاهرة يمثل فشلاً إعلامياً فى معالجة لهذة الظاهرة .

د. جون إسبوزيتو ، أستاذ الأديان والشئون الدولية والدرسات الإسلامية بجامعة جورج تاون الأمريكية ، ومدير مركز التفاهم الإسلامى المسيحى ، كما أنه باحث متخصص فى الإسلام وتأثير الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى، وعمل رئيساً لاتحاد دراسات الشرق الأوسط فى أمريكا الشمالية والمجلس الأمريكى لدراسة المجتمعات الإسلامية ونائب مدير مركز درسات الإسلام والديموقراطية .. ومن أهم أعماله موسوعة إكسفورد عن العالم الإسلامى

المعاصر وموسوعة اكسفورد لتاريخ الإسلام .. كما تضم مؤلفاته - التى تزيد عن٢٥ كتاباً - كتاب "الإسلام :الطريق المستقيم" وكتاب "الإسلام والسياسة " و"الإسلام والديموقراطية " و"الإسلام السياسى : ثورة أم راديكالية أم اصلاح "وكتاب "الإسلام والعلمانية فى الشرق الأوسط و"الثورة الإيرانية : التأثير العالمى" و " الدين والنظام العالمى " و " الإسلام فى آسيا : الدين والسياسة والمجتمع" و " الإسلام والتنمية " .

وإسبوزريتو مقيم حالياً فى واشنطن ، وهو أسباني الأصل وقد تمت ترجمت كتبه إلى اللغة العربية وعدة لغات أسيوية إلى جانب اللغات الأوروبية.

يؤكد إسبوزيتو أن عملية الخلط فى المفاهيم فى الإعلام الغربى تؤدى إلى تقديم صورة سلبية عن الإسلام كدين والمسلمين كأمة ... فيقول "إن اتجاه الحكومات ووسائل الإعلام لا تساوى بين الإسلام و"الأصولية الإسلامية "وبين الراديكالية والإرهاب ، فإن ذلك يعيق فهمنا ويحكم استجاباتنا للأحداث التى تجرى فى العالم الإسلامى على نحو خطير "ويرى أن وسائل الإعلام الغربية ــ بصفة عامة ــ تركز على أن الإسلام هو الأصولية فى إيران والثراء العربى الفاحش فى الخليج ، والموقف بصورة عامة تجاه الإسلام ،وهو أن (الإسلام هوالأصولية ،والأصولية هى التطرف ، والتطرف هو الإرهاب والعنف ،وكلما كان الشخص متديناً يظن أنه سيصبح متطرفاً ومجرماً) .. كما يشير اسبوزيتو إلى أنه ثمة تحليل انتقادى ــ يميل إلى فكر الأزمة ــ يربط بين الإسلام والأحداث الجارية فى العالم الإسلامى ويقوم بهذا التحليل علماء بارزون ومعلقون سياسيون ، غالباً ما يكون مصدر توجية للمقالات الافتتاحية عن القضايا الإسلامية ، تحت عناوين مثيرة وملفتة للنظر مثل "صدام الثقافات : صعود الإسلام فى فرنسا يزعج عامة الشعب ويقود إلى حركة رجعية "والذى نشر بجريدة "صنداى تليجراف" البريطانية يوم ١ من يناير ١٩٩٥م ، وفى نفس اليوم نشرت صحيفة "صنداىتايمز" مقالاً تحت عنوان "جزائريون فى لندن

يموّلون الإرهاب الإسلامى " ، "الأمير تشارلز على خطأ .. الإسلام يهدد الغرب فعلاً ، وهو مقال ينتقد صاحبه الكاتب بجريدة " ديلى تليجراف " توجيهات الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا للتقريب فى وجهات النظر بين الإسلام والغرب .

ويؤكد أسبوزيتو أن عملية الخلط بين المفاهيم والتصورات فى فهم "الظاهرة الإسلامية " يرجع إلى :

١- ندرة الباحثين المتخصصين فى دراسات الشرق الأوسط عموماً والدراسات الإسلامية خصوصاً ،بما يعنى أن الكثير منهم يحاولون تغطية مساحات جغرافية شاسعة وموضوعات مختلفة مثل القانون والسياسة والتاريخ ، سواء فى أبحاثهم ودراساتهم أو بوصفهم معلقين فى وسائل الإعلام .

٢- كثير من الباحثين فى الإسلام تدرَّبوا على التعامل مع الماضى بدلاً من الفترات الحديثة والمعاصرة .

٣- بما أن كثيراً من الخبراء جاءوا بانحياز أكاديمى وكذلك بقدر قليل من المعلومات الصحيحة عن الإسلام والبعد الإسلامى للمجتمعات الإسلامية فإن هناك اتجاهاً أكبر نحو التعميم أو الخروج باستنتاجات استنباطية من الانحيازات إلى جانب الفهم الضحل للإسلام والتقاليد الدينية .

٤- معظم المعلقين فى وسائل الإعلام نالوا تعليماً محدوداً وكان اتصالهم وخبرتهم بالظاهرة الإسلامية أقل مما ينبغى . (٦٧)

الكتّاب العرب ومصطلح الأصولية

كثير من الكتاب والمفكرين العرب سار على نفس الدرب واستعمل مصطلح الأصولية فى الإعلام العربى دون التفريق بين معناها الإسلامى الصحيح ــ أى المشتغلين بعلم الأصول فى الإسلام أو "الإحياء " و"البعث " ــ ومعناها فى أذهان الأوروبين والغربيين حيث تعطى الانطباع بالتشدد والتعصب ويؤدى

استعمال الأصولية اليومى فى التقارير الصحفية والمرئية إلى غياب معناها الأصلى ، وقد حدث ذلك بالفعل وأصبحت متداولة فى حلقات المفكرين أنفسهم دون تحفظ أحياناً ، وإذا ما تمَّ تسجيل التحفظ ــ مع القبول باستعمالها لتسهيل النقاش ــ فإن هذا التحفظ لا يؤثر فى أذهان الناس ولا يبقى إلا مايتردد وبشكل يومى مكثف من معان سلبية . وهنا ضرورة تنقية لغة الخطاب الإعلامى العربى من الألفاظ ذات المعانى المتشابهة والمختلفة ورفض استعمالها تماماً ، طالما أن لمثل هذه الألفاظ معنى آخر مختلف لدى أبناء الحضارات الأخرى[٦٨]

وفى هذا الصدد يمكن الإشارة إلى السيطرة الإعلامية الأمريكية ، والتى تهدف إلى اختراق المجتمعات العربية والإسلامية ، من خلال أجهزة إعلام تتحدث بلغاتها تقوم بنقل نمط البرامج والأفكار ــ الأمريكية ــ عبر تدريب الإعلاميين وتطوير مهاراتهم ، وإكسابهم الأفكار والقيم الأمريكية والغربية بصفة عامة ، لا سيما خلال برامج التوك شو ، أو السيطرة من المنبع على الأخبار والمعلومات والتحليلات وتقديمها للصحف والفضائيات جاهزة الصنع،حاملة مفاهيم ورؤى ومصطلحات الولايات المتحدة وأوروبا،خاصة فيما يتعلق بالقضايا الإسلامية . [٦٩]

***

هوامش الفصل الثاني

١) مراد هوفمان " العقلية الأوروبية والإسلام "، جريدة الشرق الأوسط ،لندن ،١٤ مارس ١٩٩٤م .

٢) جريدة عكاظ السعودية: "العنصرية ضد الأقليات"٢٥، يونيو ١٩٩٣ ، ص ١٧.

٣) جون ل . اسبو زيتو: " التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة" ، ترجمة عبده قاسم، دار الشرق الأوسط، القاهرة ، ٢٠٠١م.

٤) (Ahmed Islam ,living (London : BBC book ltd ,1993.) . Akbar .

٥) المصدر السابق ، ص١٤.

٦) مراد هوفمان " العقلية الأوروبية والإسلام "جريدة الشرق الأوسط ،مصدر سابق .

٧) ابريش فولات: " من كان محمد ؟وما هو سر الإسلام" ، مجلة دير شبيجل الألمانية ، ٢ يونيو ٢٠٠١.

٨) رجب البنا: "تشويه القرآن في ترجمتة على يد أعدائه " ، مجلة أكتوبر، القاهرة ،٨ ديسمبر ٢٠٠٢ص ١٣.

٩) رجب البنا: المصدر السابق ص ١٤.

١٠) رجب البنا: المصدر السابق ص ٨.

١١) رجب البنا:"تشويه الإسلام صناعة قديمة "مجلة أكتوبر، القاهرة ،٣ نوفمبر ٢٠٠٢م ص ١١.

١٢) رجب البنا: المصدر السابق ص ١٢.

١٣) المصدر السابق ص٩.

١٤) المصدر السابق ص١٣.

١٥) رجب البنا: تشويه الإسلام، مصدر سابق ص ٨.

١٦) المصدر السابق ص ١٠ .

١٧) رجب البنا : تشويه القرآن، مصدر سابق، ص ١٣ .

١٨) جريدة العالم الاسلامى السعودية :" الإستشراق ما له وما عليه ؟ المستشرقون حوروا كثيراً من الشواهد الإسلامية عمداً أو عن جهل " ١١، سبتمبر ١٩٩٥ ص ١٠ .

١٩) رجب البنا: تشويه الإسلام، مصدر السابق ص ٨، ٩ .

٢٠) جريدة العالم الاسلامى السعودية :" الاستشراق ما له وما عليه ؟ المستشرقون حوروا كثيرا من الشواهد الإسلامية عمدا او عن جهل " ١١، سبتمبر ١٩٩٥م ص١٠ .

٢١) كاي هانز وآخرون: "الإسلام والغرب : بداية للحوار ، فرانكفورت، دار فيشر للنشر،١٩٩٩م.

٢٢) د.حازم الببلاوى: "أين الخطأ ؟ "،جريدة الأهرام ،القاهرة ،٢٨يوليو ٢٠٠٢م .

Akbar S.Ahmed Islam Today , London, 1999 .(23

٢٤) جريدة العالم الإسلامي السعودية ، ٦ نوفمبر ١٩٩٥م .

٢٥) عبد الباسط عبد الدين :"أوراق عائد من عاصمة الضباب " جريدة العالم الإسلامي السعودية ٢٦ فبراير ١٩٩٦م .

٢٦) جريدة عكاظ السعودية ، ٢٥ يونيو ١٩٩٣م ، ص١٧ .

٢٧) تقرير إعلامي حول ندوة "أن نفهم الإسلام : أوروبا بين الحوار الصراع" ، روما ، ٦ ديسمبر ١٩٩٧م .

٢٨) محمد السماك :"أوروبا من العداء لليهود الي العداء للمسلمين " ، جريدة الشروق ، القاهرة ،٢٧ فبراير ٢٠١١م ،ص ١٤.

٢٩) المصدر السابق.

٣٠) مجلة فكر وفن الألمانية : " صورة الإسلام في الإعلام الألماني"، بون ، يونيو ٢٠١٠م .

٣١) الدكتور بهجت قرني : " صورة العرب والمسلمين في العالم " ، محاضرة بالهيئة العامة للإستعلامات، القاهرة ، ٣ يوليو ٢٠٠٤م.

٣٢) مجلة فكرة وفن ، المصدر السابق .

٣٣) مني ياسين:مقدمة كتاب "الغرب والإسلام" دار جهاد، القاهرة،١٩٩٤م.

٣٤) صامويل هانتنجتون :"الديمقراطية".. الدين والموجة الثالثة " مجلة إنترناشيونال فرست عدد ٢٤ ،١٩٩١م.

٣٥) مجلة لوموند دبلوماتيك الفرنسية ، باللغة العربية ، عدد شهر ديسمبر ١٩٩٤م.

٣٦) جريدة عكاظ السعودية : (الوجه الأسود لحضارة الغرب)،٦/٢٥/ ١٩٩٣م .

٣٧) Jochen Hippler (The Next Threat: Westen Perecptions of Islam).

٣٨) جون ل. إسبوزيتو : التهديد الإسلامي ، مصدر سابق.

٣٩) Jochen Hippler :(Islam amd The West in the Mass Media).

٤٠) المرجع السابق Ibid .

٤١) المرجع السابق Ibid .

٤٢) منى ياسين ، مصدر سابق .

٤٣) جون ل. إسبوزيتو : التهديد الإسلامي، مصدر سابق.

٤٤) صحيفة "أفريكاريبورت "، سبتمبر ١٩٩٠م.

٤٥) إسبوزيتو ، المصدر السابق .

٤٦) معالي عبد الحميد جودة :"الحطر الأخضر" ، جريدة العالم السعودية ، ٢٦ فبراير ١٩٩٦م.

٤٧) جريدة أخبار اليوم القاهرية :" لا للتعميم .. ولا للعقاب الجماعي منا أو علينا "١٨ فبراير ٢٠٠٦م ، ص١٠ .

٤٨) جريدة أخبار: اليوم "الدنمارك في دوامة الإساءة للإسلام "، القاهرة ، ١٨فبراير ٢٠٠٦ م.

٤٩) سلامة أحمد سلامة ، عمود صحفي بعنوان "من قريب " جريدة الأهرام المصرية ،١٢/ ١٢/ ٢٠٠٤م .

٥٠) جريدة أخبار اليوم القاهرية :" مع تصاعد التطرف الديني .. النموذج الأمريكي خطر يهدد أوروبا" ،١١ديسمبر ٢٠٠٤م ، ص٩ .

٥١) جريدة الوفد المصرية : " هولندا تصعد حملتها العدوانية ضد المسلمين"١٢/ ١٢/ ٢٠٠٤م، ص١ .

٥٢) إبراهارد زايدل :" العداء للإسلام في ألمانيا : عندما يتجاوز الإستياء حدوده "، صحيفة TAZ الألمانية ، ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤م ، ترجمة علي مصباح.

٥٣) المصدر السابق .

٥٤) د. عبد الله يوسف سهر : "معضلة الرؤية الغربية للإسلام والعرب"، جريدة الرأى الكويتية ، ٥ فبراير ١٩٩٧م.

٥٥) إسبوزيتو، مصدر سابق، ص ٥٠ .

٥٦) كاى هانز وآخرون ، مصدر سابق.

٥٧) د. عبد الله يوسف سهر ، مصدر سابق.

٥٨) جانيس تيري :"الإتجاهات الصهيونية تجاه العرب " ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد الخامس المجلد الاول ، فريق ١٩٧٦م ، ص٧٣ .

٥٩) صدر الكتاب في لندن ١٩٧٥م عن دار لونجمان.

٦٠) محمد العويضي : " تضليل إعلامي علي الطريقة الإسرائيلية " ، صحيفة لوموند ديبلوماتيك الفرنسية ـ الطبعة العربية ـ سبتمبر ٢٠٠٥م.

٦١) المصدر السابق .

٦٢) انظر الموقع الذي نشر نتائج الدراسة news\ www.london.gov.uk docs/qasadawi-dossier.vtf

٦٣) بلال الحسن : " سياسة الاستسلام " دار رياض الريس ، بيروت ، 2005.

٦٤) جريدة الجرائد العالمية ، الحرب علي الإرهاب والتحديات الثلاثة ، الهيئة العامة للاستعلامات ٢٠٠٢/٢/١٩م .

٦٥) جريدة أخبار اليوم القاهرية " الإعلام العربي يفشل في التصدي لأكاذيب إسرائيل" ٤ مايو ٢٠٠٢م.

٦٦) جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، ٢٥ مارس ١٩٩٦م ص١٢ .

٦٧) إسبوزيتو ، التهديد الإسلامى ، مصدر سابق ، ص٣٥٨.

٦٨) د. محجوب عمر خلال تقديمه لكتاب "الإسلام والغرب " لعدة كتاب ، القاهرة١٩٩٤م

٦٩) طلعت رميح :"صحف وقضائيات مصرية وعربية .. صناعة أمريكية" ، جريدة الفتح القاهرية ، ١٨ نوفمبر ٢٠١١ ، ص٥ .

***

الفصل الثالث
العوامل الفنية والمهنية لتشوية صورة الإسلام والمسلمين

المبحث الأول
عوامل إبراز الصورة السلبية

أولاً : الأدوات والوسائل :

١ـ العناوين

استخدام العناوين المثيرة التى تبعث الخوف والقلق فى نفوس المواطن الأوروبى وتولد شعوراً بوجود خطر وشيك يهدد الأسس العامة لحياة المواطن الأوروبى ، كما يتضح لنا من عناوين مثل : (المسلمون قادمون) (الجهاد يتجه نحونا) ، (الوجه القبيح للإسلام) (الأمير تشارلز على خطأ) (الإسلام يهدد الغرب) ، كذلك العناوين التى تستعمل مفردات الحرب مثل (انتبهوا .. الإرهاب الإسلامى فرقة انتحارية عالمية) ، (حرب مقدسة تتجه نحونا) (سيف الإسلام) ... إلى جانب العناوين التى توحى بأن المسلمين بصفة عامة ، مازالوا الآخرين فى نظر الكثير من الناس ، وأنهم مازالوا يعتبرون موضع دراسة وبحث وليس جزءاً من المجتمع الأوروبى ، ومن الأمثلة على ذلك (الجيران الغرباء) (المسلمون مابين الاندماج والانعزال) ،(الأتراك .. لماذا يقود فاروق سيارة مرسيدس خضراء ؟) .. (١)

وخطورة مثل هذه العناوين ترجع إلى أن كثيراً من المواطنين عند قراءتهم للصحف ، فقد لا يقرءون إلا العناوين ــ الرئيسية أو الثانوية ــ وحدها .. لقد

ساهم عنوان لمجلة (دير شبيجيل) الألمانية بالصفحة الرئيسية (مكة ألمانيا الأسلمة الصامتة) فى تأكيد ألمانيا تتعرض لمشروع أسلمة .

٢ـ الصور :

أ- **الصورة الصحفية** : اختيار صور لا تمت بصلة للموضوع المطروح فى الصحيفة – متن المادة الصحفية – وغير مهمة بالنسبة له لكن استخدامها يوحى بالربط وبتلك الأهمية : كأن تعرض صور لمصلين فى مسجد لدى الحديث عن الاعتداء على مترو لندن عام ٢٠٠٥م بما يوحى بإضفاء الطابع الدينى على الكثير من الموضوعات الصحفية المثيرة للجدل ، مثل قضية الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين ، وذلك باستخدام صور تتضمن صوراً دينية .. [٢]

وفى هذا الإطار تقوم الصحف الغربية بعملية مونتاج ، قص ولزق للصور ، مستخدمة فى ذلك أسلوب الإيحاء النفسى باعتبار أن الصورة أبلغ من ألف كلمة، رغم أن الصور قد تكون مغايرة تماماً لمضمون النص الصحفى أو لا تحمل نفس المعنى بدقة .. ومن الأمثلة الواضحة ما نشرتة مجلة (دير شبيجيل) الألمانية بتاريخ ٦ أكتوبر ٢٠٠٠م ، ففى الصفحتين (٢٤٠ــ ٢٤١) يوجد مونتاج لصورة منشورة فى إطار موضوع صحفى عن القضية الفلسطينية، فى الصفحة اليسرى نرى صورة كبيرة نسبيّا تظهر شابين فلسطنيين يقذفان زجاجات مولوتوف ، وتظهر الصورة نيراناً مشتعلة وجوّا ذا صبغة عدوانية وشغفاً بالاعتداء وعلى يمين الصورة مباشرة هناك صورة أخرى تبلغ ما يقرب من ثلث الصورة الأولى ، يظهر فيها مستوطن إسرائيلى يحمل بين ذراعيه رضيعاً ــ كما لو كان فى مرمى المهاجمين الفلسطينيين ــ ، أما سلاح الكلاشينكوف الذى يحمله المستوطن فى حزام الكشف فقد اختفى تقريباً وراء جسم الرضيع !! أمام هذه الصورة أصبح الموضوع هو (معتدون فلسطنيون يهاجمون مستوطنون أبرياء) أى (أطفال المستوطنين الأبرياء)!! [٣]

ب ـ الصورة التليفزيونية :

لقد أصبح الحجاب بصفة خاصة ــ إلى جانب المساجد والصلاة واللحى ــ منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م يستخدم بصورة رائجة كرمز مثالى فى سياق الحجج المتعلقة بالتطرف الإسلامى ، وبالتالى أصبح كافياً إظهار لقطة سريعة على شاشات التليفزيون لامرأة ترتدى الحجاب لكى تصبح الأمور واضحة تماماً، حيث تبدأ عملية الربط القوى بين الحجاب والاضطهاد أى قمع المرأة ، وهذا ما يوضح الأسباب التى تجعل حجاب المرأة المسلمة اليوم محل نقاش جاد فى المجتمع الغربي .. وفى هذا الإطار هناك تقنية فعَّالة فى مجال ربط شتى المجالات المختلفة ببعضها البعض من خلال البرامج والأفلام الوثائقية ، ومن أشهر من تخصص في ذلك الإعلامى الألمانى بيترشول رلاتور ، خاصة فيلمه التلفزيونى (ساحة المعركة فى المستقبل ٩ الذى يشير إلى (انفجار فى معسكر للجنود الروس فى كاسبيسك) يعرض الفيلم صوراً لمنازل مدمرة وعربات تقوم بإخلاء ورفع آثار الدمار .. ثم يأتى مقطع جديد (استعراض مسجد السلطان أحمد المبنى على الطراز التركى ، وتتجول الكاميرا (الصورة التليفزيونية) فى أنحاء المسجد بخلفيته المعمارية وتركز على القبة وعلى الهلال أعلى القبة ، وبالتالى تم الربط بين الاعتداء والإسلام والذى تم بطريقة ضخمة وبسرعة فائقة جداً كما أن الفيلم لم يحط المشاهد علماً بنوعية الانفجار الذى وقع ولم يقدم الحجج والبراهين المقنعة إذا كان هناك اعتقاد بوجود صلة بين الانفجار وما يسمى الإرهاب الإسلامى ، كما أنه قدَّم تشويهاً لكل رموز الإسلام من خلال (الصورة التليفزيونية).

٣ ـ استخدام لغة الأرقام والإحصائيات والبيانات

استخدام لغة الأرقام والإحصائيات والبيانات التى قد تكون غير صحيحة ، وذلك بهدف التهويل والمبالغة ــ من أهم أسباب انتشار "الإسلام فوبيا" بشكل واسع النطاق ــ وذلك فى حجم الظاهرة الإسلامية ، بما يوحى بوجود مخاطر

أو يثير الحساسية ، مثل الحديث عن أن عدد الذين اعتنقوا الإسلام فى ألمانيا قد وصل حتى عام ١٩٩٦م .. أو الإشارة إلى عدد المساجد فى بلد ما أو عدد المهاجرين فى دولة معينة مثل فرنسا أو الإشارة إلى استطلاع رأى يؤكد أن ثلاثة من كل أربعة فرنسيين يعتقدون أن كلمة متعصب تنطبق تماماً على الإسلام .

٤ـ الموقع والتوقيت (شكل التناول الإعلامي):

فى التليفزيون يحدد موضوع البرنامج وعنوان الحلقات وتوقيت بثه ، وأحياناً اسم مقدم البرنامج أهمية موضوع ما ، وبالتالى مدى قدرته على إثار اهتمام المشاهد ولفت انتباهه ... أما فى الصحافة فيكون موقع النشر ومساحة الموضوع الصحفى ، وأحياناً البنط والألوان، مؤشراً على أهمية المعلومات الواردة في ذلك الموضوع، ويجعل طابع الإثارة موضوعاً يتصدر الصفحات الرئيسية فى الصحف والمجلات ، ومن أمثلة ذلك أنباء ملاحقة الشرطة للأفراد فى (المساجد) منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ومن المثير للاهتمام ملاحظة ماورد فى جريدة (نورنبير جير ناخريشتين) الألمانية ، فمن خلال تقييم منهجى لعدة شهور خلال عام ٢٠٠٢م ، لوحظ أن أنباء ملاحقة المهاجرين المسلمين من قبل الشرطة الألمانية احتلت دائماً الصفحات والعناوين الرئيسة للجريدة ، أما الأنباء التى تشير إلى عدم وصول التحقيقات إلى نتيجة تدين المسلمين فإنها تُنشر فى الصفحات الداخلية وفى مساحة صغيرة غير واضحة ، أو لا يتم نشرها على الإطلاق . وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من الحالات التى تم توقيفها قد ثبت أنه لا أساس لصحة الاتهام الموجه إليها أبداً الإ أن الإعلام الغربى ظل يغذى الانطباع بأن هناك مصادر خطر نابعة من المساجد ، وهذا يفسر الاختلاف الذى بدأ يطرأ على مفهوم (المسجد) كمكان للصلاة وتعلم الدين فى تلك الفترة ، حتى أصبح رمزاً (للتآمر) فى الإعلام الأوروبى والأمريكى . (٥)

ثانيا : الأساليب والأنماط :

١- **التكرارالمستمر:** فى عرض القضايا والموضوعات التى تقدم صوراً مشوهة ومواقف سلبية للإسلام والمسلمين ، والتكرار يكون فى الوسيلة الواحدة كالصحافة (مثل تكرار بعض الأحداث المرتبطة بالعنف) ، أو فى وسائل الإعلام المختلفة (كالصحافة والإذاعة والتليفزيون والإنترنت)... وقد سبق الإشارة إلى نماذج للتكرار ــ كوسيلة لإبراز الفكرة ــ عند الحديث عن ظاهرة (الأصولية) فى الإعلام الأوروبى ، وسوف نعرض لأمثلة أخرى لبيان أسلوب التكرار .

فى شهر يونيو ٢٠٠١م أثارت الصحف الأوروبية قضية الدعوى التى أقامها أحد المحامين المصريين مطالباً بتطليق الدكتورة نوال السعداوى من زوجها إجبارياً – التفريق بينهما – بسبب تصريحاتها الخاصة بالقضايا الدينية وآرائها فى علماء الدين الإسلامى ، ووصفها للحج بالطقوس الوثنية وانتقادها لتشريع الميراث الخاص بالمرأة .

أشارت الصحف الألمانية فى العديد منها إلى هذه القضية بالإسهاب مثل الصحفيه(زود دويتشه) فى عددها الصادر بتاريخ ١٨ يونيو ٢٠٠١م بعنوان (نوال السعداوى .. المدافعة عن حقوق المرأة لن تهاب) ، وصحيفة (برلينرتسايتونج) تحت عنوان (الطلاق الإجبارى) يوم ١٩ يونيو٢٠٠١م لمراسلها من مصر كريم الجوهرى ، وصحيفة (فرانكفورترروندشاو) فى العدد الصادر يوم ٢٩ يونيو ٢٠٠١م وتناولت الصحف الفرنسية نفس القضية فى تلك الفترة تقريباً من خلال صحيفة (لوموند) تحت عناون (بدأت مطاردة المثقفين فى مصر) كما نشرت القضية صحيفة (ريزبوسيوليتا) البولندية يوم ٢٠٠١/٦/١٨م تحت عنوان (مصر : الطلاق بسبب إزدراء الدين) .

فى نفس الفترة أثارت الصحف الأوروبية قضية الراهب القبطى المخلوع من دير المحروقى فى أسيوط ، والذى نشـــرت له صوراً فاضحة مع سيدة عارية

بجريدة (النبأ) وجريدة (أخر خبر) في مصر ، مما آثار مشاكل مع الأقباط الساخطين على نشر الصور ،فقد تناولتها المعالجات الصحفية الأوروبية بشكل واسع النطاق .

وتناولت الصحف الألمانية القضية على نحو يوحى باضطهاد الأقباط فى مصر وحرمانهم من شغل الوظائف العليا بل أشارت إحدى الصحف (زود دويتش تسايتونج) إلى قصر الوظائف الدنيا على الأقباط مثل جمع القمامة ، وزعمت الصحيفة بوجود غضب وقيام مظاهرات للأقباط احتجاجاً على نشر هذه الصورة ، فإلى جانب تغطية كثير من الصحف للموضوع (دير تاجز شبيجل) (وفرانكفورتر روندشاو، زودوتيشه تسايتونج ، فرانكفوتر الجمانيه) بثت قناتا التليفزيون الألمانى ARD| ZDF تقريراً مصوَّراً تحت عنوان (الصراع بين المسلمين والأقباط يتخذ مرحلة جديدة) وذلك فى يوم ٢١ يونيو ٢٠٠١م .

طرحت الصحف الفرنسية القضية فى كل من صحيفة (لوموند) تحت عنوان (صحيفة فضائح تثير غضب الطائفة القبطية) يوم ٢٠٠١/٦/٢١م وصحيفة (ليبراسيون) التى نشرت تقريراعن الموضوع نفس اليوم.

وقد تناولت القضية صحيفة دى مورجه البلجيكية يوم ١٩/ ٦/ ٢٠٠١م تحت عنوان (قيام آلاف المسيحيين بالتظاهر أمام كاتدرائية القاهرة)

أما بعد أحداث ١١ سبتمبر فيمكن العرض للتكرار من خلال عرض الصحف الفرنسية لاحتجاجات ٦٠٠ شخصية فرنسية على محاكمة الشواذ فى مصر أمام محكمة أمن الدولة .. مثل صحيفة (ليبراسيون) التى أشارت إلى أن تهمة الشذوذ الجنسى وارتكاب أفعال منافية للأديان هى التهمة الموجهة لـــ ٢٣ مصرى ، إلى جانب صحيفة (لونوفيل أوبزرفاتو) ومجلة (لوبوان) وصحيفة (لوماتان) كما قامت صحيفة (لوموند) أكبر الصحف الفرنسية المحافظة يفتح ملف الشواذ فى مصر ، وأشارت إلى محاكمات سابقة لبعض الشواذ .

٢ـ التعميم : أى اعتبار وقائع معينة دليلاً على الصورة بأكملها ، ويأخذ التعميم عدة أشكال .

أ ــ الخلط بين العمل المنفرد والانتماء لمجموعة (المسلمين) ، مثل الحديث عن المشاكل التى تتعرض لها بعض النساء فى العالم الإسلامى بوصفه الوضع العام للمرأة المسلمة ، رغم أن هناك وقائع متشابهه تحدث فى أنحاء متفرقة من العالم ، مثل أمريكا اللاتينية ، ومثل حالات عقد الزواج بناءً على اعتبارات عائلية داخل مجتمع الصينين فى ألمانيا ... ولكن عندما يتعلق الأمر بالمسلمين نجد أنه يتم عادة انتقاء الأحداث ويجرى تعميمها وتكرارها على نحو دائم ــ كما ذكرنا من قبل ــ إلى أن تصبح بحكم الحقيقة . (٦)

ب- ذكر مواصفات تتعلق بانتماء مجموعة معينة كالقومية والدين ، وهو مايخالف قواعد ومواثيق شرف مهنة الصحافه والإعلام ، لأن خطورة الأمر ترجع إلى تفسير الحالات الفردية على أنها ظاهرة متعلقة بكامل المجموعة ، والمثال الواضح هنا ، عندما أثار قناص فى واشنطن خريف ٢٠٠٢م مشاعر الهلع والخوف فى نفوس المواطنين سمعنا فى إذاعة بافاريا الألمانية (التابعة للقناة الخامسة) بعد اعتقال القناص عبارة (جون الن محمد الذى اعتنق الإسلام) .. ورغم أنه لا يُعرف دوافع صاحب عملية واشنطن ، إلا أن الجملة السابقة قد أعطت الإيحاء فى وجود صلة بين أعمال العنف ضد الأبرياء ديانة مرتكب تلك الأعمال .. حتى أصبح فى تلك الفترة ــ هذا الأمر نوعاً من الأعراف المتداولة فى التقارير الصحفية ، طالما تعلق الموضوع بفاعل (مسلم) فيتم ذكر الانتماء الدينى سواء كان ذلك مهماً بالنسبة للموضوع أم لا !! (٧)

٣ــ **استخدام الأكليشيهات المعتادة** stereotype والمقصود بها التصورات النمطية والقوالب الجامدة عن الإسلام والمسلمين ، وكثيراً ما يتم اللجوء إلى هذا النمط فى الإعلام الغربى ، عندما يتعذَّر إنكار حقائق معينة ثابتة ، وخاصة عندما تتعارض هذه الحقائق مع التوقعات المعهودة للذهن الغربى ، يتم بسرعة

وسهولة إعادة عرضها من خلال تلك الأكليشيهات .. وأفضل مثال لتوضيح خطورة هذا النمط هو نموذج (بنازير بوتو) رئيس وزراء باكستان سابقاً ، فعندما أصبحت رئيسة للحكومة جاء ذلك متناقضاً مع التصورات التقليدية السائدة فى المجتمع والإعلام الغربى حول دور المرأة المسلمة ، ولكى لا يضطر الإعلام الغربي إلى إعادة النظر فى تلك الحقيقة المتعلقة (بوصول إمرأة مسلمة إلى الحكم فى بلد مسلم) ، قدموا بيانات تفسر أسباب ذلك فتمت الإشارة إلى تراث أبيها ، وأمية السكان ، ودراستها الجامعية فى إكسفورد ؛ مما جعلها تفقد صفتها كمسلمة إلى حد ما ، كما جرت الإشارة إلى دعم الشيعة لها فى الانتخابات .. إذن فقد تطلب الأمر تقديم تفسيرات وإيضاحات لإثبات أن حالة بوتو كانت حالة استثنائية محضة ، والتأكيد على عدم خطأ الرأى السائد بوجود تناقض بين الإسلام ووصول المرأة المسلمة لهذا المنصب . (٨)

أكدت درسات صحفية صحة الفرضية التى تقول بتأثر الصحفيين الغربيين بالأكلاشيهات الشخصية المتعلقة بالعالم الإسلامى فى تقاريرهم الصحفية ، كما أنها أثَّرت فى تقارير صحفيين آخرين ، أضف إلى ذلك العمل الصحفى لا يصحح تلك الأكلاشيهات التى يتلاقها الصحفى فى أسرته ومدرسته وفى بيئته الاجتماعية عن الإسلام والمسلمين ومن ثم يتم تقديمها خلال عمله الصحفى وفى تقاريره عن العالم الإسلامى (٩) ومن الأمثلة على تقديم الصور النمطية فى التلفزيون الأوروبى ، ما ذكره تون فان ديك فى مقالة (التمييز العنصرى والصحافة الأوروبية) عام ٢٠٠٦م ، عندما أشارت إلى نتائج دراسة نوعية للمسلسلات البوليسية الشهيرة والتى بينت أنه مازال يجرى إسناد أدوار نمطية ــ فى تلك الفترة ــ معينة للسود والأتراك والبولنديين .. مما يؤثر سلباً على الكثير من المهاجرين وصورتهم فى التلفزيون الأوروبى .

٤ـ **نظرة مبنية على الشكوك** : يرى كثير من المتخصصين فى تحليل صورة الإسلام فى الإعلام الغربي ، أن أى عمل يصدر عن المسلمين لا بد

وأن يكون عملاً خاطئاً ــ من وجهة نظر إعلام الغرب ــ وذلك لكون النظرة إليهم مبنية على الشكوك ، حيث يتم استيعاب قضايا الإسلام والمسلمين من خلال النظام (التفسيرى) القائم من قبل وليس من خلال الحقائق نفسها فعندما تصر امرأة مسلمة على ارتداء الحجاب ، فإن ذلك يفسر من قبل الإعلام على أنه نمط من التمويه والتنكر بل محاولة للتغلغل التآمرى .. فقد جاء عنوان إحدى المجلات الإسبوعية فى ألمانيا عام ٢٠٠٤م (عناصر الإرهاب التى لم تنشط بعد تسعى سعياً دءوباً إلى حيازة الجنسية الألمانية) فإذا كانت الرغبة فى الاندماج تفسر على أنها محاولة للتغلغل ، فما الذى يجب على المسلمين عمله كى يظهروا بصورة إيجابية ؟.. بما يشير إلى كيفية استخلاص نتائج خاطئة (السعى للحصول على الجنسية له علاقة بالإرهابيين) من الحقائق ، فالأمر يتطلب من السياسيين والإعلاميين التصرف بناءً على دقة المعرفة وحسن الضمير . (١٠)

٥ ـ استغلال الجهل بالإسلام والعالم الإسلامي :

يمكن القول بأن الجهل هو أحد العوامل التى تساهم فى تثبيت الصورة السيئة التى إلتصقت بالعرب والمسلمين فى أوروبا ، فعلى سبيل المثال فإن ٧٨% من الشعب البريطانى لا يعرف شيئاً عن الإسلام أو العالم الإسلامى أو العربى كما يقول (كريس دويل) المسئول الإعلامى بمجلس تطوير التفاهم العربى البريطانى .. ومن هنا تقوم وسائل الإعلام الغربية ــ التى يعتمد عليها المواطن الغربى فى معلوماته عن الإسلام والمسلمين ــ بترويج أفكار مضللة ، خاصة بتصوير الإسلام كعدو ،إلى جانب صورة المسلم الملتحى الذى يحمل السيف والمصحف ، وهى الصورة الأكثر رواجاً فى إعلام الغرب ، فعندما يصور كاتب (برناردليفين) فى صحيفة التايميز البريطانية بتاريخ (٢١ إبريل ١٩٩٥م) أن المتعصبين المسلمين سعداء مبتهجون عندما يقومون بالقتل ، لأنهم يؤمنون بأنهم ذاهبون إلى مكان بعيد أفضل ــ المقصود الجنة ــ فإن القارئ

سوف يعتقد أن الإسلام شريعة للقتل (باسم الدين) ، وأنها تنادى بحروب مقدسة ضد الأبرياء !! (١١)

٦ـ تجاهل الحديث عن الجوانب الإيجابية للمسلمين

– أظهرت دراسة موسعة لليونسكو حول التقارير الصحفية عن القضايا الدولية فى عدة بلدان غربية ، أن مشكلة هذه التقارير لا تكمن فقط فى حديثها عن قضايا سلبية ، ولكن فى إحجامها عن الحديث عن قضايا إيجابية ، إن صورة الإسلام فى الإعلام الغربى تحتاج إلى سياق من المعلومات الصحيحة لإبراز الجوانب الإيجابية للمسلمين المقيمين فى الغرب أو فى العالم الإسلامى ، بهدف مساعدة الجمهور على فهم أسرع للظاهرة الإسلامية ، فالنماذج المشرفة للمقاومة والكفاح السلمى لم يتم الحديث عنها يوماً فى وسائل الإعلام الغربية .. فالهندوسى (ماهاتما غاندى) يعرفه الجميع فى الغرب أو فى العالم الإسلامى ، لكن القليلين الذين يعرفوا شخصية مسلمة مثل (بادشاه خان) فهذا المسلم هو الذى حرك الآلاف فى باكستان للقيام بمظاهرات سلمية وكان من أكثر الناس تعاوناً مع غاندى ، كما سبق ورشح لجائزة نوبل .. إن المتتبع لتاريخ صورة الإسلام فى الإعلام الغربى ، يلحظ قلة الاهتمام بالإسلام كدين وبالقضايا الاجتماعية المختلفة داخل المجتمعات الإسلامية ، وأن الاهتمام الإعلامى يتركز بشكل كبير على الوجوة الراديكالية ، بوصفها صاحبة الأطروحة الأيدلوجية المعارضة للغرب .

المبحث الثانى

التغطية الإعلامية للقضايا الإسلامية

أولاً : تغطية إعلامية غير موضعية لقضايا العالم الإسلامى ترجع إلى :

أ ــ أليات العمل الإعلامى بصفة عامة .. حيث تتطلب ظروف التنافس الإعلامى ــ تحت ضغط الوقت تقديم معالجة سريعة .. فبدلاً من تقديم خلفية

معلومات سليمة للموضوع ، يلجأ الإعلاميون إلى نمط المعرفة السائد ــ لتقليل المخاطر ــ وهنا تحدث عملية استبدال العواطف والقوالب بالمعلومات والحقائق الجامدة (كلاشيهات) ــ خاصة فى عملية التعليق وتحليل القضايا والأحداث .

ب ــ نقص المعلومات المطلوبة لدى المحررين والإعلاميين عن قضايا الشرق الأوسط والعالم الإسلامى فيما يتعلق بالقضايا الساخنة ذات الاهتمامات الدولية .. وهناك عدة أمثلة من حرب الخليج الثانية ، حيث كان كثير من المراسلين يجهلون المعلومات الجغرافية والسياسية عن العراق .. كما أن كثيراً منهم ذهب إلى السعودية لتغطية الحرب من هناك ، ولكنهم لم يسمح لهم بالتجوُّل فى أرض المعركة أو الإطلاع على الموقف مباشرة ، بل كانوا يعدُّون رسائلهم الصحفية والتليفزيونية من خلال ما تقدمه لهم القيادة العسكرية لقوات التحالف دون أن يروا أى شيء ، أو يعرفوا أية معلومات حقيقية عن الوضع القائم فى الحرب .

جـ ــ اعتماد المعلقين والمحللين السياسين والصحفين على إصدار أحكام جاهزة وآراء معدة سلفاً حيث يتم إدراك ثقافة الأخر على أنها (تهديد) بينما ثقافة المجتمع الذى ينتمون إليه ثقافة مثالية وخيِّرة وهنا تصبح التغطية الإعلامية خاضعة لميول واتجاهات عامة الناس ، وكأنها ينطبق عليها المثل القائل (الجمهور عاوز كدا) [١٢]

صورة العرب فى صحافة ألمانيا

فى دراسة بعنوان (صورة العرب فى صحافة ألمانيا الاتحادية) ، توصَّل الباحث إلى أن أهم العوامل التى تؤدى إلى ضعف الأداء المهنى للصحافة الألمانية ــ فيما يخص القضايا الإسلامية يرجع إلى :

١ ــ عدم معرفة اللغة العربية أو الإهتمام بالقضايا العربية الإسلامية .

فمن خلال المقابلة الشخصية توصل الباحث إلى أن غالبية مراسلى الصحف الألمانية فى البلدان **العربية** لا يتكلمون العربية .. باستثناء مراسلة مجلة دير

شيجيل بالقاهرة ، ورغم أن معظمهم يقضون فترات لا تقل عن سبع سنوات فى المنطقة العربية ، كما أن غالبية المحررين المهتمين بقضايا العالم العربى — فى مقر الصحف الألمانية — لا يعرفون اللغة العربية ، بالإضافة إلى عدم وجود مصادر صحيحة للمعلومات لدى المراسلين والمحررين الذين أجريت معهم المقابلة — ماعدا اثنين — فيما يخص المنطقة العربية والعالم الإسلامى ؛ وبالتالى فإن (المعرفة العلمية والإلمام باللغة العربية والعمل الطويل لسنوات فى مكان الأحداث) هى العوامل الوحيدة القادرة على إضفاء الموضوعية على العمل الصحفى [١٣] .. ففى الوقت الذى يتعلم فيه الصحفيون المبادئ العامة للمهنة مثل الحياد والموضوعية والتوازن فإنهم يفتقرون فى العادة إلى الخلفية المعرفية ، بما يسمح لهم بتقديم تغطية إعلامية أخلاقية ومهنية ،بل إن الدراسات المتعلقة بالإسلام تظل موضوعاً جانبياً لدى الإعلاميين الغربيين ،كما تفتقر المؤسسات التعليمية الغربية إلى تقديم تكويناً علمياً لطلبتها فى مجال الصحافة والإعلام فيما يتعلق بالإسلام .

٢- المصادر الإخبارية :

يتساءل الباحث فى الدراسه السابقة ، عن كيفية حصول المراسل الصحفى الغربى على المعلومات الصحيحه حول الأحداث الجارية فى المنطقه الغربية دون معرفة اللغه العربية ... فقد أظهرت المقابلة الشخصية مع معظم المراسلين والمحررين الألمان أنهم يحصلون على أخبارهم ومعلوماتهم من الصحف الأجنبية ، حيث تأتى جريدة (لوموند) الفرنسية فى مقدمة الصحف التى يعتمدون عليها فى تغطية قضايا العالم العربى والإسلامى ، ثم (فايننشال تايمز) البريطانية ، ومجلة (تايم) (ونيوزويك) الأمريكتيين ، ومن الصحف الألمانية مجلة (ديرشبيجل) وصحيفة (زود دويتشة تسايتونج) إلى جانب صحيفة (بيلد) الشعبية واسعة الإنتشار .. وقد أجاب البعض الآخر من المحررين والمراسلين بأنهم يحصلون على معلوماتهم وأخبارهم بالإتصالات الشخصية ، ويرى بعض

الصحفين أن الطرق الشرعية للحصول على الأخبار هى التليفزيون والراديو ووكالات الأنباء ، إلى جانب الصحف الأجنبية) إلى جانب المناقشات التى يجريها مع زملائه المراسلين الأجانب ، مما يؤكد أن فرص حصول المراسل أو المحرر على الأخبار من مصادرها الصحيحة ومن قلب الحدث تكون قليلة جداً . (١٤)

يرى الباحث الأمريكى المعروف "بول فيندلى" أن الاختلاف الثقافى والدينى يُعد سبباً لتشويه الصورة التى يقدمها الإعلام والغربى بصفة عامة ، لأنه غير قادر على تفهم طبيعة الدين والثقافة الإسلامية ، ودون مبرر أو سبب إلا مجرد الإختلاف (١٥) ، ففى ألمانيا ــ على سبيل المثال ــ مازالت نسبة المهاجرين بصفة عامة العاملين فى مجال التليفزيون أقل من٣ % مع العلم أن نسبتهم فى المجتمع الألمانى تبلغ ٢٠ % من سكان ألمانيا وفق تصريحات وزيرة الدولة الألمانية لشئون الاندماج ماريا بومر عام ٢٠٠٧م .. وفى مجال الصحافة أقر الاتحاد الألمانى للصحفيين بأن نسبة المهاجرين بين الصحفيين المثبتين ، الذين يعملون بالقطعة مازالت عالية نسبيّاً ، فضلاً عن أن عملهم ينحصر فى مجالات ضيقة (١٦) فما زال عدد كبير من صانعى الإعلام الغربى يؤكدون على وجود ثقافة غربية مما يشير إلى نزعة للإشادة بالذات الأوروبية وانتقاص من قدر الأخرين فى بعض الأحيان .

وقد أدى الضعف الشديد فى تمثيل المسلمين فى الإعلام الأوروبى والغربى بصفة عامة إلى غياب وجهة النظر المسلمة للدفاع عن حقوق ومصالح المجتمع المسلم عبر وسائل الإعلام المختلفة ، ومن ثم إفساح المجال أمام الأفكار المعادية للإسلام أن تكون الأعلى صوتاً والأكثر انتشاراً .. ولكن المؤسف حقاً هو أن بعض المنتسبين زوراً للإسلام تتاح لهم فرصة الظهور فى وسائل الإعلام الغربية والتمتع بشعبية كبيرة ، على خلفية الترويج للأفكار المعادية للإسلام ، بدلاً من التعبير عن الفئة التى من المفترض أنهم يمثلونها –

المسلمون- فراح من يُطلق عليهم بـ (نقاد الإسلام) أمثال الكاتبة الألمانية من أصل تركى نجلا كليليك والكاتب المصرى حامد عبد الصمد) والألمانية من أصل تركى سيران أتيس ـ صاحبة كتاب (الإسلام بحاجة إلى ثورة جنسية)، يقومون بدور الشاهد الملك أى الإعتراف بأخطاء المسلمين من داخلهم ، وأحياناً مهاجمة الإسلام ويعتبرهم شهداء للحرية [١٧] فى حين أن الشهود الأخرين أى المسلمين الذين يتبنون وجهة النظر الإسلامية ويدافعون عن دينهم ومجتمعاتهم عبر الإعلام الأوروبى ، فإنهم يتهمُون بالمثالية أو بالنزعة التقليدية والحنين للماضى ، وبالتالى يتم تجاهلهم والاستخفاف بآرائهم ، وبالتالى التأكيد مجدداً على أن أغلب التصورات السلبية فى الإعلام الغربى عن الإسلام ترجع إلى الثقافة السائدة هناك منذ عقود فى (المجال السياسي والمؤسسات التعليمية ، ولدى الكنائس والنخب الثقافية ، إلى جانب الخطاب الشعوبى عن الإسلام المنتشرة عبر صفحات الإنترنت) ، وبالتالى فإن وسائل الإعلام من التليفزيون والإذاعة وصحافة تمثل جزءاً فقط من مجتمع معرفى متكامل ، ينزع فى أغلبيته إلى المحافظة على الإسلام (كعدو) للحداث . [١٨]

ثانياً : العوامل المؤثرة فى مضمون الرسالة الإعلامية

وتضم هذه المؤثرات ثلاثة مستويات :

المستوى الأول (الأقل تأثيراً) : ويتناول تأثير الأفراد العاملين فى مجال الصحافة والإعلام ، خاصة المحررين ومقدمى البرامج والمعدين ، وهؤلاء تنعكس خلفياتهم الفردية والمهنية فى الإنتاج الإعلامى المقروء أو المرئى ، إلى جانب الاتجاه الأيديولوجى والسياسى للصحفى والإعلامى ، وقد وضح ذلك الاختلاف فى النقاشات التى دارت إعلامياً حول قضية سلمان رشدى أو خلال أزمة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ وغيرها .. لذلك فالموضوعات القديمة التى تطرح خطاباً إعلامياً سلبياً تجاه الإسلام مازالت مستمرة ، حتى مع ارتفاع

(عدد المتخصصين فى اللغة العربية والباحثين المتخصصين فى الدراسات الإسلامية ومشاركة المهاجرين المسلمين فى العمل الإعلامى) لم يغير ذلك جوهرياً من المضمون السلبى عن الإسلام ، وبالتالى يظل تأثير القناعات الشخصية والتوجيهات الثقافية والفكرية للإعلامى الغربي قائماً حتى الأن .

المستوى الثانى (المستوى الوسيط) : والمقصود به تأثير المؤسسات الإعلامية (مصادرها ، سياستها التحريرية ونمط الملكية والإدارية وعوامل السوق الإعلامى على اعتبار أن الإعلام صناعة أيضاً) ويتم عملها على النحو التالى :

١ـ يتم تدخل المؤسسة الإعلامية فى العمل من خلال التهديد بفرض عقوبات مالية فى حالة مخالفة الصحفى أو الإعلامى للسياسة التحريرية ، مما يدفع الصحف إلى ممارسة الرقابة الذاتية بالسير على نهج المؤسسه التابع لها ، حتى وإن كان يخالف وجهات نظرة ، وهكذا يمكن ملاحظة تراجع فى الحرية الفردية للإعلامى ، خاصة مع الاعتبارات التجارية والاقتصادية للمؤسسة التى تتحكم فى دخل العاملين بها ومواردهم المالية .. وفى هذا السياق نجد أن الأزمات المالية دفعت الصحف الغربية إلى السير على درب (الصحف الصفراء) مما أدى (تراجع معايير المهنية والكفاءة) وبالتالى أصبحت القيمة الخبرية (نزاع وسباق) تستمر فى العمل والتأثير فى وسائل الإعلام الغربية على حساب القيم والمبادئ ، وهذا أكبر شيء يضر صورة الإسلام فى الإعلام الغربي ويخضعة لنظرة أحادية سلبية فى إعلام أوروبا وأمريكا. [١٩]

٢- الاعتماد الأكبر على وكلات الأنباء ، كمصدر خارجى للمعلومات ،من خلال تقدمه للصحف ووسائل الإعلام الأخرى تقارير وتخفيضات ومواد أساسية بما يسهم فى بناء حوارات ونقاشات عامة عبر وسائل الإعلام المختلفة ، والتى لا نجد الوقت الكافى لبحث مصداقية أخبار الوكالات ومصادرها الثانوية ، كما

أنها تعتمد على التفسيرات والتحليلات التى تقدمها تلك الوكالات ،وهكذا أصبحت طقوس النقل داخل الصحافة بأنواعها المختلفة من أهم أسباب التأثير على مضمون الرسالة الإعلامية المرتبطة بالإسلام . [٢٠]

٣ــ تلعب السلطة فى المؤسسات الإعلامية دوراً كبيراً فى صياغة الخبر اليومى عن الإسلام والمسلمين ، خاصة خلال الأزمات الكبرى مثل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م وقضية سلمان رشدى ومقتل المخرج الهولندى فان جوخ ...)

طلع علينا رؤساء تحرير الصحف الكبرى بافتتاحيات ساخنة ، مبرزين دورهم فى حماية الخطاب النقدى تجاه الإسلام وهو فى أغلب الأحيان خطاب تعميمى يساهم فى تثبيت الاتجاهات السلبية القائمة حول الإسلام .. وسواء تعلق الأمر برئيس تحرير صحيفة (دى نسايت) الأسبوعية الصادرة فى ألمانيا ــ على سبيل المثال ــ ثيوزومر خلال أزمة كتاب (آيات شيطانية) الذى حذر من تأثير (الثقافات الأجنبية) على أغلبية المجتمع الألمانى أو زميلة رئيس تحرير صحيفة (فرانكفورتر الجمانية تسايتونج) ــ المعروفة برصانتها فراك شير ماخر الذى ربط بعد عشرين عاماً مما كتبه زومر ، بين شباب المسلمين فى ألمانيا وانتشار الجريمة داخل المجتمع هناك .

٤ــ تتم عملية دعم الخطاب المعادى للإسلام من خلال شبكة من العلاقات غير الرسمية بين بعض وسائل الإعلام الغربية والمثقفين الناجحين فى سوق الصحافة والكتابة ، والذين يحظون بتقدير كبير من جانب مسئولى الصحف ووسائل الإعلام ويسمحون لهم بالتعبير عن مواقفتهم النقدية تجاه الإسلام .. حيث تحتاج وسائل الإعلام الكبرى إلى النخب المثقفة من أجل إضفاء الشرعية على خطابها والحفاظ على هالة الاستقلال العلمى والعقلى ، ولكن الإشكالية فى هذه العلاقات أن أغلبية هؤلاء المثقفين المشاهير لا ينتمون إلى أى نظام علمى قائم بل هم فى الأغلب كتاب مستقلون بدون انتماء أكاديمى ، ورغم تحليلاتهم

المتميزة فى بعض الأحيان ، إلا أنه لا توجد ضمانة بأن أبحاثهم وأطروحاتهم خاصة المتعلقة بالإسلام لها صلة بنتائج الأبحاث العلمية.

المستوى الثالث (الأكثر تأثيراً) :

ويشير إلى تأثيرات المجتمع على مضمون وسائل الإعلام كالتالى :

١ــ النخب الثقافية والفكرية :

فقد أدلى مثقفون يساريون بدلوهم فى السنوات الأخيرة ودأبوا على توجيه سهام نقدهم للإسلام ، مثل (أليس شفارته) التى تتحدث عن تغلغل إسلامى فى النظام القانونى الألمانى (ورالف جيوردانو) الذى يعارض بناء المساجد لأنه يرى اندماج المسلمين فى المجتمع الألمانى فشل (وهنريك برودر) الذى يحذر فى مجلة (دير شبيجيل) وفى كتبه من الاستسلام للإسلام .. والغريب أن هؤلاء المثقفين قد تحولوا من الدفاع عن قيم التسامح والتحرر فى السابق إلى تبنى مواقف يمنية محافظة ، وقد يرجع ذلك من وجهة نظرهم إلى رفض التهديد الذى تتعرض له القيم التى ناضلوا من أجلها ــ مثل التحرر والمصالحة مع اليهود من قبل مهاجرين هم أكثر محافظة منهم .. كما نلاحظ أن أصحاب المواقف اليمنية المحافظة يريدون فرض وجهة نظر مسيحية يهودية على السياسة والثقافة والمجتمع الغربى كلة ، ومن هنا تظهر تأثيراتهم فى المضمون الإعلامى . (٢١)

٢ــ النظام السياسى

ويقصد به تأثير النظام المحيط بوسائل الإعلام ،مثل التصريحات القوية للسياسين الغربيين حول الإسلام ، والتى عرضت طريقها إلى وسائل الإعلام فالرأى السائد لدى النخبة الحاكمة له تأثير كبير على صورة الإسلام فى الإعلام الغربى ، وهو ما يعنى ضرورة الدخول فى حوار مكثف مع هذه الدوائر السياسية حول الإسلام من أجل تقديم صورة متوازنة عن الإسلام ، ولكن مع

ذلك لا نلحظ إجماعاً فى الخطاب السياسي الغربى العام على الخوف من الإسلام ، فهناك علاقات جيدة بين الغرب وبعض الدول الإسلامية وبعض الجماعات الإسلامية خاصة بعد أحداث الربيع العربي ، ويؤكد الباحث الألمانى الشهير (يوخن هبلر) أن السياسة الأمريكية تقوم على التناقض فيما يخص الإسلام ، فالإسلام يتم اعتماده كعدو إذا ماتطلب الأمر حشد المجتمع الأمريكى لحرب ضد دولة مسلمة ، مثل : العراق ، أو أفغانستان .

وفيما يخص التأثير الذى يلعبه النظام السياسي فى تكوين صورة سلبية عن الإسلام لا يحدث كلياً بشكل عفوى أو تلقائى – كما يقول هبلر – بل أن هناك عوامل أيدلوجية تساعد على ذلك .. مثل وجود إسلامى أصولى وانتشار أفكار عن صراع الحضارات التى دافع عنها (صامويل هانتنخبتون) فبدون (صراع الحضارات الأصولية) لم يكن لصورة الإسلام أن تظهر بذلك الشكل المبالغ فيه فى الإعلام الغربى . (٢٢)

٣ ــ التأثير المتبادل بين وسائل الإعلام والمجتمع :

فالسؤال المطروح على الساحة الإعلامية حالياً فى الغرب ، هو هل يمكن أن تعمل وسائل الإعلام فى بيئة مستنيرة ومتوازنة فيما يخص صورة الإسلام والمسلمين ، فى ظل الإطار الثقافى السائد فى المجتمع الغربى بدءاً من المدرسة مروراً بالأسرة والمفاهيم والأفكار المنتشرة فى كل مكان فى أوروبا والولايات المتحدة ، خاصة الكتب التى تغذى الكراهية للإسلام والمسلمين ، مثل : كتاب (الغضب والكبرياء) للصحفية الإيطالية المتطرفة اوريانا فلاتشى .

المبحث الثالث

أحداث ١١ سبتمبر و الصورة السلبية

أولاً : نظرة عامة حول أحداث ١١ سبتمبر :

يرى البروفيسور رانيهارد شولتز أستاذ العلوم السياسية بجامعة برن بسويسرا أن أحداث سبتمبر ٢٠٠١م تماثل فى تأثيرها على العلاقات الدولية أثر حادث

سراييفو – الذى أدى إلى اشتعال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ، فقد أدى حادث ١١ سبتمبر إلى طرح العامل الإسلامى بالحاح فى الوعى الغربي على كل المستويات أفراداً ومؤسسات سياسية واجتماعية وبحثية . [٢٣]

الموقف الرسمى من المسلمين فى أوروبا بعد ١١ سبتمبر :

اتسم الموقف الرسمى بالتباين ، بين الإسراع فى سن قوانين تعيق نشاط المسلمين وهيئاتهم والهجوم على الإسلام والمسلمين ،ومواقف أخرى تدعو لطمأنة المسلمين وأنهم غير مستهدفين ، ومستوى آخر يدعو للاستماع لوجهات نظر المسلمين .. وتعد ألمانيا نموذجاً لهذا التباين فى الموقف الرسمى ، حيث سارع أوتو شيلى وزير الداخلية الألمانية بالضغط على البرلمان من أجل تمرير حزمة من التعديلات التشريعية ،تدور حول توسيع دائرة الاشتباه والتحقيق مع المنظمات الإسلامية فى ألمانيا وتعطى الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات الحق المطلق فى حل الجمعيات الدينية القائمة ورفض تأسيس أخرى جديدة .. فى حين أعلن رئيس الحكومة المستشار (شرورد) أن حكومته مؤمنة وملتزمة بالتسامح الدينى ، وكان حريصاً ألا يشعر المسلمون فى البلاد أنهم مستهدفون بالاشتباه لمجرد أنهم مسلمون [٢٤] بينما دعا رئيس الجمهورية يوهانس راو .

بالإضافة إلى المثقفين اللبراليين والمتحررين من رجال الكنيسة والموضوعيين من الكتاب والصحفيين ورجال الإعلام- الرأى العام إلى الالتزام بقيم الموضعية فى تناول الإسلام وغيرها من العقائد والثقافات غير الغربية ، وقيم التفكير العقلانى الهادئ فى أسباب نشوء الإرهاب وطرق مكافحته .

ونلاحظ هنا أنه قد حدثت تجاوزات عديدة من رجال الأمن الألمانى ضد المسلمين بعد ١١ سبتمبر.

كما نلاحظ أن موقف السياسيين المحافظين اتسم بالهجوم الحاد على كل ماله صلة بالإسلام فمن الأمثلة على ذلك موقف النائب عن الحزب المسيحى

اليمقراطى فى البرلمان (مارتن هو همان) الذى طالب الألمان بألا يعتبروا المسلمين مؤمنين بنفس الإله الذى يؤمن به المسيحيون ، فالله الذى يعبده المسلمون ليس سوى أحد آلهة العرب القدماء وجاء الإسلام ليجعله إلهاً مركزياً للمسلمين وحدهم والمثل الأخر فى هذه الدائرة قدمة سكرتير الحزب المسيحى الاجتماعى ، والذى حذر فيه صراحة من أن المسلمين سيصبحون فى هولندا الجار الغربى لألمانيا فى عام ٢٠٢٠م أكبر طائفة دينية ، وأنه من المحتمل أن يتكرر ذلك فى ألمانيا مالم تحدد الهجرة .. وهو مطلب يلح عليه دائماً خوفاً من اختفاْ صورة الإنسان المسيحى فى ألمانيا لتحل محلها صورة بن لادن !! (٢٥)

أشار إلى هذا التباين فى الموقف الرسمى من الإسلام والمسلمين بعد ١١ سبتمبر، مراقب الاتحاد الأوروبى المسئول عن أحداث العنصرية وكراهية الأجانب ــ ومقره فيينا ــ فى تقريرة الذى قدمة إلى الاتحاد ، حيث أكد أن رد فعل أغلبية السياسيين والأعلاميين الأوروبيين يعد رداً إيجابيّاً لما أظهروه من تفرقة فى المفاهيم المرتبطة بالإسلام وأنه لا يعنى الإرهاب،في حين أكد أن بعض البلدان وبعض الأحزاب السياسية فى أوروبا سواء الحاكمة أو المعارضة قد تبنت موقفاً معاديّاً للإسلام واصفة إياه بالإرهاب .

ثانياً: موقف الإعلام الأوروبى من أحداث سبتمبر بصفة عامة :

بالتطبيق على ألمانيا كنموذج نجد أن هناك تبايناً فى موقف وسائل الإعلام الألمانى من معالجة القضايا الاسلامية فى أعقاب أحداث ١١ سبتمر .

١ــ الموقف الإعلامى المضاد وتمثله على سبيل المثال وليس الحصر جريدة (دى فيليت) وهى من كبريات الصحف الألمانية ، ويشرح ذلك الموقف السيد "هربرت هو بوم" مدير أكاديمية العلوم الإسلامية فى بون بقوله : (إننى شخصيّاً تعرضت لتشويه متعمد من جانب صحيفة (دى فيليت) فقد نشرت الصحيفة تحقيقاً عن الأكاديمية وعن المجلس المركزى للمسلمين فى ألمانيا جاء فيه أننى أطالب بتطبيق الحدود الإسلامية فى ألمانيا .. وهذا لم يحدث مطلقاً فكيف

أطالب بتطبيق هذه الحدود فى مجتمع غير مسلم.. كما اتهمت الصحيفة المجلس المركزى للمسلمين فى ألمانيا بأنه فرع للتنظيم العالمى للإخوان المسلمين ، فى حين أنه منظمة ألمانية مستقلة من مسلمى ألمانيا وهو فى تصنيف الحكومة الألمانية ذاتها من أكثر من المنظمات الإسلامية فى البلاد اعتدالاً وإيماناً بالحوار والتعايش وسائر القيم اليموقراطية ويواصل هربرت هوبوم قائلاً : إننى أرسلت رداً بصفتى الشخصية كما أرسل المجلس الإسلامى رداً مماثلاً للصحيفة، ولكن لم ينشر ولن ينشر ــ على الأرجح حسب خبرتنا مع هذه الصحيفة وغيرها ــ فهناك تشويه متعمد وإصرار على إنكار حقنا فى التصحيح وبالتالى يترسخ التشويه ، ويعكس درجة عالية من العداء للإسلام والمسلمين)[٢٦] .

٢ــ الموقف المتوازن ويمثله كل من :

من أشهرمن يمثل هذا الموقف" هربرت برانتل" كبير محررى الشئون الداخلية بصحيفة (دويتشه تسايتونج) وقال بالنص : إن الخطر الذى يهدد ألمانيا حالياً ليس هو الإنثراكس ــ الجمرة الخبيثة ــ ولكنه أسلوب الإعلام الذى لم يعد له هدف سوى تأجيج المشاعر والاستمتاع بنقل مشاعر الحرب والإرهاب... بالصواريخ بمثابة تحريض ضد مصلح الدولة الألمانية ــ فى إشارة إلى أتام [٢٧] كما يمثل ضده الاتجاه أيضاً مجلة (دى خوخو) الألمانية التى حذرت بعد مرور عشرة أيام من أحداث ١١ سبتمر من التمترس الأيديولوجى ضد الإسلام فى مقال رئيس عن (الإسلام كعدو).

أما رئيس القناة التلفزيونية RTL –قناة خاصة مستقلة – فقد نبه إلى أن هناك (تكتيكاً إعلامياً) مقصوداً لتركيز الكراهيه على الطرف الأخر فقط ، ويتمثل هذا التكتيك فى بث صور الطائرات وهى تخترق مبنى التجارة العالمى فى نيويورك ، دون أن يوازن ذلك بث صور الضربات الأمريكية لأفغانستان ونتائج هذه الضربات على الشعب الأفغانى .

٣ــ الأثار المترتبة على هذا التكتيك الإعلامى :

أ ــ كراهية الإسلام والمسلمين دون مأخذ واحد على أسلوب الرد الأمريكى ، الأمر الذى ينعكس سلباً على صورة الإسلام والمسلمين فى ألمانيا فى حين تبقى صورة الأمريكى ناصعة البياض [٢٨].

ب ــ تتأجج مشاعر العامة ضد كل ماهو إسلاى فى أعقاب ١١ سبتمبر .. فهناك مئات من الوقائع عن التحرش بالمسلمين فى الأسواق والطرق العامة والأحياء السكينة ووسائل النقل في ألمانيا .. كما انتقلت مشاعر الغضب إلى رجال الأمن الذين بادروا تلقائياً دون أى أوامر أو سند قانونى ــ إلى التضييق على المسلمين أو توقيفهم فى الشوارع دون سبب جدى ، أو تفتيش بيوتهم بإذن قضائى أكثر من مائة مرة فى اليوم الواحد.

ثالثاً: انتشار موجة العنصرية والكراهية فى معظم دول أوروبا :

ذكرت صحيفة (الميسا جيرو) الإيطالية بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠١م أنه قد بدأت تظهر فى كل أوروبا بوادر تنم عن مدى الكراهية التى يكنها الغرب للإسلام ، وذلك عقب الأحداث الإرهابية الأخيرة فى الولايات المتحدة .. كما أشارت الصحيفة إلى تقرير المراقب المسئول عن أحداث (العنصرية والكراهية ضد الأجانب بالإتحاد الأوروبى) ، والذى حذر فى تقريره من تصاعد حدة العنصرية فى أوروبا ضد المجتمع الإسلامى كنتيجة لأحداث ١١ سبتمبر .. ويؤكد فى تقريرة أن ظاهرة العنصرية والكراهية ضد المسلمين متفاقمة وتمارس بشكل أكثر عمقاً فى كل من هولندا والمملكة المتحدة وسويسرا فهناك يضرب المسلمات اللاتى يرتدين الحجاب ، ويتعرضن لكثير من الإهانات والسباب ، بما فى ذلك البصق على وجوههن ، وهذا ماحدث أيضاً فى "بلجيكا وأيرلندا وألمانيا" كما تعرضت سيدتان صوماليتان إلى الرجم بالحجارة فى فنلندا، وحدث ذلك أيضاً لمجموعة من المغاربة بضاحية كورسيكا فى فرنسا ...

وأشار التقرير إلى أن هناك زعماء سياسيون في إيطاليا قد أدلوا بتصريحات ضد الإسلام – فى إشارة إلى رئيس الوزراء الإيطالى آنذاك – الذى تعرض بالهجوم والانتقاد للقيم والحضارة الإسلامية بعد أحداث ١١ سبتمبر، تشير الصحيفة إلى أنه بالنظر إلى صور الأعداء والكراهية ، أنه قد يكون مثيراً للدهشة أن المتطرفين لا يزالون أقلية فى العالم الإسلامى.

رابعاً: أهم اتجاهات الصحف بعد ١١ سبتمبر:

اتسمت معظم المعالجات الإعلامية لقضايا الإسلام والمسلمين فى هذه الفترة بالتعمق والبعد عن السطحية ــ استمراراً لبعض المعالجات التى بدأت فى بداية القرن ٢١ ــ إلى جانب تقديم خلفيات للقارئ عن الإسلام وتاريخ العالم الإسلامى وتقديم معلومات تنم عن بحث ودراسة (المراسلين والمعلقين والمحررين) للإسلام والقضايا الإسلامية ... وكانت أهم الاتجاهات فى الصحف كالتالى:

١ــ فى الأشهر الأولى بعد ١١ سبتمبر .. أخذت بعض الصحف تبحث فى أسباب رفض العالم الإسلامى لسياسات الغرب ــ خاصة الولايات المتحدة ــ تجاه القضايا الإسلامية ، وطرق إزالة الحواجز النفسية التى أحدثتها الأفكار المسبقة الراسخة لدى كلا الطرفين .. ويتضح ذلك فى الموضوع ــ المحايد ــ الذى نشرته مجلة (دير شبيجل) الألمانية يوم ٢٤ سبتمبر ٢٠٠١م حيث "جاء فيه" إن القارئ المسلم الذى لم يتعرف على الغرب بمشاهدته الخاصة ، من المؤكد أنه سيكتسب الانطباع بأن كل الأخلاقيات قد ضاعت فى تلك الدول اليموقراطية ،ويسود الفكر المادى وتصبح الجريمة أمراً معتاداً ، وأن المخدرات والجنس أصبحت تهدد الغرب وتهدم الكيان الأسرى فيه ، وأن الغرب يدبر دائماً المؤامرات للاستحواذ على العالم الإسلامى عسكرياً وتصدير قيمة السلبية المتمثلة فى الفساد الأخلاقى للمسلمين)

٢ـ الاتجاه الثانى يدعو إلى تبنى المسلمين فى أوروبا فكرة (الإسلام الأوروبى) وهو المصطلح الذى أخذ فى الانتشار بين أبناء الجاليات الإسلامية فى أوروبا فى السنوات القليلة الأخيرة ، والذى يعني وفق الصحافة الأوروبية ـ الجسر بين ثقافتين فهو يقدم للشاب المؤمن أسلوباً لاحترام التقاليد الموروثة فى الوقت الذى يعيشون فيه فى عالم مختلف كما أنه يمدهم بالثقة التى تمكنهم من ممارسة شعائر دينهم علانية ،على عكس آبائهم وأجدادهم الذين كانوا يعتقدون أن إقامتهم فى أوروبا مؤقتة ، أما الأبناء فإنهم يعتبرون أوروبا وطنهم.. وتؤكد الصحف فى معالجتها لهذه القضية أن هذا المفهوم مقبول لدى مسلمى أوروبا حيث يرى بسام الطيبى أستاذ العلاقات الدولية بجامعة جوتنجن أول من أطلق مصطلح (الإسلام الأوروبى) أن اندماج مسلمى أوروبا فى مجتمعاتهم يعتمد على تبنيهم شكلاً للدين الإسلامى يعترف بالقيم السياسية الغربية ، وأن المسلمين أمامهم خياران لا ثالث لهما إما الإسلام الأوروبى أو الانغلاق والانعزال عن المجتمع .

ويبرز هذا الاتجاه فى عدة معالجات إعلامية ، أهمها ، ما يمكن أن نطلق عليها دراسة صحيفة لينكولاس لوكيسن ، نشرت بصحيفة (تايم) الأمريكية ـ النسخة الأوروبية ـ يوم ٢٤ ديسمبر ٢٠٠١م ، جاء فيها :

أ ـ أن الجيل الثانى والثالث من مسلمى أوروبا سرعان ما اكتشفوا أن هناك تعارضاً مفتعلاً وغير حقيقى بين التمسك بالدين والاستقرار بالدول الأوروبية ، وهنا ظهرت الحاجة لأفكار جديدة ، خاصة أن أحداث ١١ سبتمبر وما بعدها جعلتها أكثر إلحاحاً .

ب ـ رغم أن معظم وسائل الإعلام الأوروبية تركز على جماعة هامشية من المتشددين ، فإن الأغلبية الساحقة من المسلمين ينظرون إلى دينهم كدين معتدل ومتسامح ، وأن عقيدة الإسلام لا تمنع انتماء المسلم للوطن الذى يحيا فيه ، فقد أظهر استطلاع للرأى أجرته وكالة (مورى) التى تصدر صحيفة (إيسترن آى)

اوسع الصحف الريطانية التى تهتم بالشئون الأسيوية أن ٨٧ % من المسلمين الذين شملهم الاستطلاع يدينون بالولاء لبريطانيا ،رغم أن ٦٤ % منهم يعارضون الضربات الأمريكية لأفغانستان .

ج ــ إن مفهوم الإسلام الأوروبى يعمل على اندماج المسلمين فى المجتمع الأوروبى وبالتالى حل القضايا الاجتماعية مثل : البطالة والمساواة فى سوق العمل ومشاكل التعليم ... إلى جانب التمثيل السياسى فى البرلمان والمشاركة فى الحكومة على المستوى القومى والمحلى .

نلاحظ أنه توجد خطورة في ترويج الإعلام لهذا المصطلح بدون توخي الحذر، لأنه يعني تقديم تنازلات دينية ، حيث يقدم الكاتب أنماط من التفسير الجديد للإسلام على لسان رموز إسلامية في أوروبا مثل قول أحد مسلمي بريطانيا (إذا كان هناك تغيير اجتماعي فلابد أن يكون هناك تغيير عقائدى وإذا تغيرت الأخلاق يتغير القانون تبعاً لذلك ، لهذا سوف يكون هناك تفسير جديد للإسلام).

تطرقت الصحف الروسية إلى مفهوم (الإسلام الأوروبى) بعد ١١ سبتمر فى إطار معالجتها لقضايا الإسلام والمسلمين ،والتى اتسمت فى معظمها برسم صورة سلبية للمسلمين بسبب الصراع المسلح مع مسلمى الشيشان ــ حيث أجرت صحيفة (فريميا) حديثاً مع الدكتور(ياكوف فيكشين) المحلل السياسى المعروف فى شهر إبريل ٢٠٠٢م، انطلقت الصحيفة فى إجراء هذا الحديث من فكرة مؤدها أن العالم الإسلامى عامة والإسلام الروسى خاصة لا يمثل كتلة متماسكة ، وأن المسلمين فى روسيا يتوزعون على جملة من التيارات ، لذلك فقد قسم الحديث الصحفى المسلمين الروسى إلى ثلاثة تيارات :

أ ــ (الإسلام الأوروبى) .. أشار فيكشين إلى أتباع هذا التيار هم المسلمون من مواطنى روسيا ذوى الاتجاهات الأوروبية الذين يحاولون الجمع بين ماهو

إسلامى أصيل والقيم الغربية ، وهدفهم إبعاد الإسلام عن الاتهامات الموجهة إليه بالتطرف والإرهاب .. وأنه هناك إقبال كبير على فكرة (الإسلام الأوروبى) خاصة فى جمهورية تتارستان ــ جمهورية إسلامية تتمتع بالحكم الذاتى فى إطار الاتحاد الروسى ــ كما أكد فيكشين أن أركان السلطة المركزية فى روسيا الاتحادية تتطلع للتعايش مع الإسلاميين الأوروبيين .

ب ــ الإسلام القومى .. يرى فيكشين أن الإسلاميين القوميين ينظر إليهم على أنهم متطرفون وإرهابيون ويطلق عليهم أحياناً (الوهابيون) أو السلفيون) لكنهم لا يمثلون الوهابين ولا السلفين حقيقة ، وإنما يستغلون الأمزجة الانفصالية زاعمين أنهم أتباع الحركة الوهابية ... كما يضم هذا التيار وفق هذا التقسيم ــ الحركه الصوفية ، حيث يدعى الصوفيون أن الطرق الصوفية شيء طبيعى بالنسبة لروسيا .

ج- (الأوروآسيون) ... ويتبنى هذا التيار النظرية القائلة أن الشعوب التى تحتضنها روسيا لها ماض واحد ومستقبل واحد ــ فهناك قوميات وجماعات عرقية متعددة داخل روسيا الإتحادية

ملاحظات مهمة حول المعالجة الأوربية لأحداث ١١ سبتمبر

١- يعد نموذج الإسلام الأوروبى هذا النموذج المقبول من جانب الصحافة الأوروبية ، حتى فى روسيا ــ التى تمثل أوروبا الشرقية .

٢- ازدادت نغمة الخوف من الإسلام فى الصحافة الروسية ، باعتباره الخطر القادم بعد ١١ سبتمبر ، حيث حيث تطرح الصحيفة سؤالاً على المحلل السياسى (هناك أراء ترى أن روسيا ستصبح بلداً إسلامياً بعد خمسين سنة بسبب تزايد عدد المسلمين فيها فهل نحن مستعدون لذلك ؟) فكانت إجابته "إننا مستعدون

بدليل أن أركان السلطه يجربون أساليب التعاون السياسي مع المسلمين وقد أثبتت التجارب فعاليتها"

٣- لم تكن صورة الإسلام والمسلمين فى الصحف الروسية إيجابية قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م فقد نشرت صحيفة (نيزا فيسيمايا جازيتا) فى ملحقها بالعدد الثانى لعام ١٩٩٧م مقالاً لرمضان عبد اللطيف النائب بمجلس الدوما - برلمان روسيا الاتحادية- جاء فيه (حين تتناول الصحف ووسائل الإعلام الروسية العديد من القضايا والأحداث الداخلية والدولية بالتحليل تعمد إلى الإيحاء بأن هناك (مسلمون سيئون) و(مسيحيون جيدون)

٤ـ كما برز اتجاه يتناول الشخصيات والمؤسسات الإسلامية بالرصد والتحليل إلى جانب ظاهرة الإقبال على التدين والالتزام بتعاليم الدين الإسلامى بين الشباب .

٥- قامت عدة صحف روسية بالتركيز على ممارسات الإدارات الدينية واتهام بعضها البعض بالفساد واستغلال أموال الصناديق العربية فى غير أغراضها الصحيحه ، مما أبرز على الساحة الروسية صورة سلبية عن هذه الإدارة الدينية لمسلمى روسيا وأحياناً للإسلام نفسة .. وذلك بسبب الصراع فى الشيشان إلى جانب أحداث ١١ سبتمبر ومحاولة الربط بين الحدثين ، رغم اختلافهما تماماً من حيث الأسباب والظواهر .

٦- بثت وكالة رونيرز للأنباء - والتى توزع مادتها الصحفية على كبريات الصحف فى أوروبا والولايات امنتحدة - تحقيقاً صحفياً من القاهرة بتاريخ ٦ يونيو ٢٠٠٢م تحت عنوان (الوعاظ الشبان .. صوت جديد فى زمن العولمة) تناولت ظاهرة ظهور جيل جديد من الدعاة ، لا يطلقون لحاهم ويرتدون أحدث الأزياء ويهتمون بتناسق ألوانها مستخدمين كلمات دارجة فى قواميس الشباب ، وأن الفضائيات العربية قد ساهمت فى انتشار هذه الظاهرة من خلال برامج

التوك شو ، والتى تحظى بنسبة مشاهده كبيرة ، وأن بعض الدعاة مثل عمرو خالد ــ قد أنشئوا مواقع لهم على شبكة الإنترنت .

٧ــ نشرت جريدة (لوموند) الفرنسية استطلاعاً للرأى فى شهر أكتوبر ٢٠٠١م ، أكد أن الأفراد المنحدرين من أصول غير أوروبية يحرصون على الصلاة والذهاب للمسجد وصوم رمضان أكثر من أداء هذه الشعائر عام ١٩٩٤م وقت إجراء آخر استطلاع مماثل ، وأكد الاستطلاع أن هناك اهتماماً متزايداً بشكل ملحوظ فى أوروبا - خاصة بين الطلاب وخريجي الجامعات - بالإسلام ، وفى بريطانيا يزيد عدد النساء اللاتى يرتدين الحجاب فى تلك الفترةــ عما كان عليه الحال منذ عشر سنوات .

٨ــ أشارت مجلة (الإيكونوست) البريطانية فى تقرير نُشر يوم ٢ فبراير ٢٠٠٢م إلى أن المساجد فى بريطانيا قد سجلت ارتفاعاً ملحوظاً فى نسبة المؤدين لصلاة الجمعة وكذلك بالنسبة لارتداء الحجاب .. كما حاولت صحيفة (الصنداى تايمز) البريطانية الربط بين ظاهرة الإقبال على التدين و(الأصولية) فقد تعرضت للحديث عن بعض المسلمين فى بريطانيا المشبته فى انتمائهم لتنظيم القاعدة ، حيث يروى زملاء أحد المشتبه في الدراسة أن زميلهم كانت لديه معتقدات دينية قوية منذ الصغر ، وعقب انتهاء الدراسة أصبح أكثر ورعاً وعندما التحق بالعمل بأحد المصانع كان يذهب إلى أحد المساجد حيث درس القرأن وبدأ فى إطلاق لحيته وأخذ يطالب أسرته بالإكثار من الصلاة كما كان يرفض التصوير معتقداً أن الله وحده له الحق فى خلق الصور .

ومن الملاحظ أن تناول الصحف الأوروبية لما يمكن أن نسميه بظاهرة الإحياء أو البعث الإسلامى سواء فى العالم الإسلامى أو مجتمع المسلمين فى أوروبا ، جاء فى إطار إثارة الانتباه إلى هذه الظاهرة كظاهرة دينية يمكن أن تشكل خطراً على المجتمع الأوروبى فيما بعد ، حيث الربط دائماً بين نظرية التدين والأصولية والتطرف الإسلامى .. خاصة فى ظل الهاجس الذى انتشر

فى السنوات الأخيرة فى الأوساط السياسية والإعلامية من تحول المسلمين فى بعض الدول الأوروبية إلى أغلبية ـــ مثل هولندا وألمانيا وروسيا والتى سبق الإشارة اليها فى هذا المبحث.

برزت بعد أحداث ١١ سبتمبر ـــ معالجات صحفية تدعو مسلمى أوروبا إلى الاندماج والتفاعل مع المجتمع الأوروبى ، وتطالب ببحث أسباب العزلة.. فقد أجرت صحيفة (الجارديان) البريطانية استطلاعاً للرأى نشر يوم ١٧ يونيو ٢٠٠٢م أظهر أن ٦٩ % من مسلمى بريطانيا يشعرون أنهم معزلون عن الحياة العامة وعبر ٤١ % من العينة التى شملت ٥٠٠ مسلم فى بريطانيا ـــ عن رغبتهم فى اندماج أكبر فى المجتمع البريطانى .. وتعلق وكالة روتيرز للأنباء على نتائج الاستطلاع ـــ فى برقية بثتها فى نفس اليوم ـــ بأن الاستطلاع أظهر أن ٤٠ % من أفراد العينة يؤيدون مشروع قانون أداء يمين الولاء عند الحصول على الجنسية البريطانية ، بينما رفض٣٩ % من العينة هذا القانون.. بينما أشارت وكالة الأنباء الفرنسية فى تعليقها إلى دعوة بعض أعضاء الحكومة البريطانية للجالية المسلمة إلى مزيد من الاندماج فى المجتمع ، وأنهم حذروا من أن الانعزال يغذى روح العنصرية تجاههم ، ويساهم فى نجاح تنظيمات متطرفة مثل القاعدة .

كما أثارت الصحف الأسبانية فى أوائل شهر مارس ٢٠٠٢م جدلاً واسعاً حول العلاقة بين الحضارات المختلفة ، وسبل تحقيق تكامل المهاجرين فى أسبانيا وخلصت نتائج هذا الجدل إلى صعوبة تكامل المسلمين فى المجتمع الأسبانى بسبب الفروق الثقافية واللغة واختلاف التعليم ، واعتبرت الصحف الإسبانية أنه يمكن قبول بعض (التقاليد) مثل الحجاب ولكن ينبغى عدم الخضوع لتقاليد تتعارض مع حقوق الإنسان ، ودعت إلى ضرورة عدم السماح بقيام (جيتو) إسلامى على الطريقة اليهودية .. ويلاحظ أن إثارة قضية الاندماج فى الصحف الأسبانية ، قد تفجرت فى أعقاب مشكلة التلميذة المغربية (فاطمة الإدريسى)

التى رفض والدها دخولها المدرسة بدون غطاء للرأس (حجاب) مما أدى إلى قيام حملات صحفية ضد الهجرة المغربية من خلال نقل فكرة توحى بالتصادم مع الثقافة الأسبانية .

رابعاً: أهم القضايا فى الصحف الغربية بعد أحداث ١١سبتمبر :

١ـ تصوير المساجد على أنها أركان لتفريغ جيل الإرهابيين:

تصدرت الصفحات الأولى من الصحف الأسبانية فى شهر يونيو ٢٠٠٤م صورة أحد الأئمة من أصل تونسى ،على أساس أنه العقل المدبر للتفجيرات التى وقعت فى ١١ مارس من نفس هذا العام فى أسبانيا وقد نقلت صحف فرنسا خاصة مجلة اكسبريس ــ الحدث مشيرة إلى أن أسبانيا قد اكتشفت بذهول وجود بؤر للمتشددين الإسلاميين !! وأنها قد فطنت إلى عدم إلمامها بالكثير فيما يقال داخل مساجدها وأن المتخصصين يرون أن ٢٣٥ مسجداً فقط قد تم الإفصاح عنها حالياً أى بالكاد ثلث دور العبادة الموجودة فى أسبانيا ! فقد ظل الإعلام الغربى يغذى هذا الانطباع حتى أصبح المسجد رمزاً للتآمر فى هذه الاثناء ولم يعد مكاناً للعبادة وإلقاء المواعظ .

٢ـ الهجوم على أئمة مساجد والدعاة فى العالم الغربى:

عملت الصحف الأوروبية والأمريكية منذ أحداث ٢٠٠١ على استغلال أى تصريح أو فعل لأئمة مساجد الأقليات الإسلامية لوصف الدعاة بالتحريض على ارتكاب الجرائم والدعوة للعنف والإرهاب أو حتى الخروج على قيم المجتمع الغربى، وطالبت فى كثير من الأحيان بطرد العلماء والدعاة مثلما حدث مع مفتى أستراليا الشيخ تاج الدين الهلالى ــ مصرى الأصل يحمل الجنسية الأسترالية ــ وفى نهاية شهر أكتوبر ٢٠٠٦م حيث طالبت الصحف الأسترالية بطرده من البلاد بسبب تصريحاته حول أهمية وقيمة الحجاب والتى جاء فيها

(إذا وضعتم اللحم فى الشارع أو فى الحديقة أو فى أحد النوادى دون تغطيته ثم أتت القطط لتأكله من يتعين علينا أن نلومه ؟ القطط أم اللحم العارى إنه اللحم العارى ،هذه هى المشكله فإذا ظلت المرأة فى حجرتها وفى بيتها وهى ترتدى الحجاب لن تحدث مشكلة) .

وقد تلقت الصحف الفرنسية - بصفة خاصة - نظراً لصدور قانون بمنع الحجاب فى الأماكن العامة فى فرنسا فعملت على تضخيم هذه التصريحات حيث وصفتها (بالفضيحة والإهانة) التى ارتكبها صاحب أكبر منصب مسلم فى قارة أستراليا ووصفت عبارات المفتى بإنها غير مقبولة ولا تنتمى لأستراليا..

٣- استفزاز مشاعر المسلمين ، أزمة الرسوم المسيئة للرسول كنموذج

تعاملت الصحف الأوروبية مع الأزمة من بدايتها على أنها قضية تتعلق بحرية الرأى والتعبير حيث ركزت على رد فعل المسلمين المتمثل فى المظاهرات الغاضبة فى كافة أنحاء العالم الإسلامى ومن ثم مقاطعة المنتجات الدنماركية من قبل الشعوب الإسلامية حيث أبرزت التقارير الصحفية أن إجمالى الصادرات الدنماركية للبلدان التى نفذت المقاطعة يبلغ نحو ١،١ مليار يورو وهو ما يوفر نحو١١٢٠٠ وظيفة ، كما بدأت الصحف الأوروبية تتخذ موقفاً عدائيّاً من الإسلام والمسلمين فى الدنمارك بسبب حرق العلم الدنماركى وحرق بعض السفارات فى العواصم الاسلامية .. ورغم أن الصحيفة التى نشرت الرسوم المسيئة ــ يولاندز بوست ــ قد نشرت اعتذاراً باللغة العربية حمل توقيع رئيس التحرير كارسنن بوستى ــ إلا أن الصحيفة أخذت تدافع عن موقفها معللة بأن رسومات مثل التى نشرتها كانت تنشر فى صحف بعض الدول الإسلاميه مثل(إيران وباكستان والسودان) فلماذا جرى انتقادها عندما نشرت فى الدنمارك .. ولكن السبب الحقيقى فى نشر هذه الرسوم يرجع إلى محاولة محسوبة العواقب وتستهدف إثارة الشعوب الأوروبية ضد المهاجرين

المسلمين .. وقد جاء هذا واضحاً فى تحليل صحيفة (واشنطنون بوست) الأمريكية للحدث بأنه (إهانة محسوبة تنتمى إلى تيار التعصب الأعمى وهى مشكلة كبيرة قائمة رغم عدم اعتراف الدنمارك بوجودها فى أغلب الأحيان) .. والغريب فى الأمر أن بعض الصحف الأوروبية قد أعادت نشر هذه الرسوم دون أدنى اعتبار لمشاعر أو عقائد المسلمين .. مما يعيد إلى الأذهان عهداً من الرسوم المسيئة والمعادية لليهود فى ثلاثينيات القرن العشرين من خلال الصحف النازية والفاشية .. والراجح أنها كانت حملة منظمة وممنهجة بمثابة إعداد للرأى العام ليستقبل حروباً جديدة وموجات طرد بالجملة للمهاجرين المسلمين فى أوروبا .. ومن المعروف أن حرية التعبير فى أوروبا نسبية ومعظم الديمقراطيات الغربية لها قوانينها التى تمنع التعرض بالخطاب أو النشر لبعض الأمور ذات الحساسية الخاصة وبالتالى فإن التيار العنصرى كان هدفه هو أن يصدر للسياسة الاوروبية دوائر الإعلام هناك فكرة أن كل مسلم هو (إرهابى) محتمل أو يكمن بداخله إرهابى ينتظر اللحظة المناسبة وأن المظاهرات التى وقعت فى الشارع الإسلامى والعنف الذى تخلل بعضها هو قرينه للتأكيد على هذا التصور الذى يريدون إلصاقه بالمسلمين.

٤ ـ التصريحات المعادية للإسلام والمسلمين من السياسيين وقادة الرأى:

وذلك دون تفنيد أو توضيح للحقائق أمام الرأى العام الأوروبى فقد سمحت بعض الصحف بالرد فى شكل مقالات رأى أو حوارات لكى تبقى التغطية الإخبارية للتصريحات هى الأكثر تعرضاً من قبل الجمهور ، ومن أهم التصريحات التى أثارت جدلاً واسعاً فى السنوات الأخيرة جاءت تصريحات (سيلفيو بير لكسونى) رئيس وزراء إيطاليا الأسبق عقب أحداث ١١ سبتمبر ببضعة أيام ـــ والتى فتحت الباب لكثير من التصريحات المماثلة والمعادية للإسلام مثل تصريح بوش عن الحروب الصليبية ورومانو برودى، ومارجريت تاتشر رئيس وزراء بريطانيا سابقاً ، ثم تصريحات بابا الفاتيكان وغيرها ..

وترجع خطورة تصريحات بيرلكسونى ــ إلى جانب أنها كانت البداية التى شجعت الكثير من الكارهين للإسلام ــ إلى أنها جاءت فى الوقت الذى اتجه فيه معظم زعماء العالم إلى التصريح فى وسائل الإعلام باحترام حقوق الجاليات الإسلامية والفصل بين الإسلام والإرهاب كرسالة طمأنة للشعوب والأقليات الإسلامية .. كما ذكرت الجريدة التى تملكها عائلته أن الإيطاليين يؤيدون ويتفقون مع تصريحاته رغم أنه قد دافع عن نفسه فى مجلس الشيوخ الإيطالى زاعماً أن تصريحاته قد تعرضت للتحريف وأنها انتزعت من سياقها .. كما ترجع خطورة إبراز تصريحات بيرلكسونى إلى أنه قد صرح أيضاً للصحفيين الإيطاليين الذين قامو بتغطية زيارته لألمانيا قائلاً : " إن الغرب مرشح للاستمرار فى تغريب الشعوب والتأثير عليها وقد قام بذلك مع العالم الشيوعى ، كما قام به مع العالم الإسلامى الذى يتوقف عند القرن الخامس عشر " .. مما يؤكد أن تصريحاته الأساسية ــ التى تناولت تفوق الحضارة الغربية والتى تملك قيم وتقاليد لا توجد فى الحضارة الإسلامية أو فى الدول الإسلامية على حد قوله لم تكن عفوية ولم تتعرض للتحريف كما زعم .

٥ ـ استخدام الحجاب كرمز للتطرف:

هناك عشرات المقالات والتقارير التى صارت على هذا النهج فى الصحافة الغربية خلال العشر سنوات الأخيرة وكان الهدف طبعاً هو تقديم صور سلبية ومتحيزة للمرأة المسلمة .. فقد وجهت (إيرينة شنايدر) أستاذة الدراسات الإسلامية فى جامعة جوتنجن الألمانية انتقاداً إلى الصحف الأوروبية لعدم اكتراثها بالحديث عن التطورات الإيجابية لصالح النساء العربيات ، وأكدت أنه لا يزال يوجد الكثير من الكليشيهات ــ الأحكام الجاهزة ــ عن النساء العربيات فى تقارير الصحفية (٢٩) .

لكن أكثر النماذج الصحفية التى تعرضت لموضوع الحجاب مستخدمة التحريض الرخيص والإثارة الصحفية والإسفاف واللجوء إلى الافتراء والتقليد،

هو المقال الرئيسى لمجلة (دير شبيجيل)der spiegel الألمانية الأسبوعية بالعدد الصادر أواخر سبتمبر ٢٠٠٣م الذى يحمل عنوان شامل جامع (المسلمون فى ألمانيا) فقد قام كاتبو المقال بتوجية الاتهامات وترديد الأحكام المتحيزة ضد الإسلام كما استخدم المونتاج للصور المصاحبة للمقال (مسلمون يصلون بجوار خراف مذبوحة تسيل منها الدماء) وقد قامت الباحثة الألمانية – من أصل إيرانى – (كتايون أميربور) بالرد على ما جاء فى هذا المقال مؤكدة أن المقال يعرض أفكاره بطريقة تكاد تكون مستهزئة وماجنة ويكيل الاتهام لكل امرأة تريد ارتداء الحجاب بالعمل على تقويض الدولة لألمانية ، وينسب المقال إلى فريشتا لودين (معلمة أفغانية لجأت إلى القضاء الألمانى لكى تتمكن من ارتداء الحجاب أثناء التدريس) اعتناق أراء متشددة.. يرى كاتبو المقال أن جريمة لودين أنها لم تستنكر هذا القول المنسوب للخومينى (الذى يرى كما يقول المقال أن حقوق الإنسان ليست سوى مجموعة من المعايير الفاسدة وضعها الصهاينة للقضاء على كافة الأديان).. رغم أن هذا شيء بديهى وهى غير مطالبة بذلك .. وهذا الاتهام ينطوى على مغالطة تاريخية كبرى وينطوى على عنصرية أيضاً إذ عاش المسلمون فى انسجام تام مع أنفسهم ودينهم زمناً طويلاً.

إن حياة المسلمين فى ألمانيا ــ وأوروبا بصفة عامة لم تعد يسيرة منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ويواجهون تبعاً لذلك مشاكل يومية خاصةً الشعور بامتهان الكرامة نتيجة الغطرسة والجهل فى الحكم على الإسلام ولا سيما مع المرأة المحجبة – غير المحجبات تعرضن لمشاكل ومضايقات أقل .

وفى هذه الأجواء ــ آواخر٢٠٠٣م ــ نجد كتاب (السخط والكبرياء) للكاتبة المتطرفة أوريا فلاتشى يحقق أعلى المبيعات فى ألمانيا رغم أن عداءه للإسلام يفوق الوصف ،وفى التليفزيون يصرح أحد المثقفين مثل (جونتز كونرت) دون أن يعارضة أحد (أن الإسلام لا يعرف وصية ما تحرم القتل) !![٣٠]

٦ـ الحملات الصحفية ضد الرموز والشخصيات الإسلامية :

إلصاق تهم الإرهاب والتطرف ،فى إطار تخطيط منهجى قامت به الصحف الموالية للصهيونيه والمؤيدة لإسرائيل لتثبيت وتركيز الكراهية والعداء للإسلام فى ضمير ووجدان الشعوب الغربية .. ومن أبرز الحملات الصحفية فى السنوات الأخيرة تلك التى قامت بها بعض الصحف البريطانية ضد الشيخ يوسف القرضاوي فى يوليو ٢٠٠٤م ، إبان زيارته للعاصمة البريطانية لحضور الاجتماع التأسيسى لاتحاد العلماء المسلمين بلندن ، وكانت التهم الموجهة إلى الشيخ القرضاوى هى الدفاع عن العمليات الاستشهادية ــ التى اعتبرتها الصحف : تأييداً للإرهاب ومعاداة للسامية ، والحث على قتل الشواذ جنسياً ، وتأييد معاقبة النساء بالضرب .. ويُعد توجيه التهم الثلاث للشيخ القرضاوى من قبيل تأليب الرأى العام الأوروبى ،واستثارته ضدة باعتبار أن ما نسب إليه يعد عدواناً على (ثوابت ومقدسات)أحدث طبعة للحضارة الغربية..[٣١] ولم تكن تلك الظاهرة الإعلامية مجرد مصادفة فقد بدا الترتيب فيها واضحاً بصدور أربع صحف صباحية فى نفس اليوم ٢٠٠٤/٧/٧م حاملة عناوين الإحتجاج والكراهية [٣٢] ومتبنية ذات الحجج والاتهامات ، وكأن رسالة بمضمون واحد وزعت على الجميع ، ثم أعطت إشارة البدء لفتح المعركة فى يوم محدد ، كما لم تكن مصادفة أن تكون الصحف الأربع تحت سيطرة اليمين الصهيونى ، لذلك حظيت مسألة العمليات الاستشهادية بأكبر قدر من الضوء والاهتمام ، من أجل خدمة مصالح إسرائيل وتشويه صورة المقاومة المسلمة بصورة خاصة .. وقد استمرت الضجة الإعلامية بالصحف ووجدت لها صدى فى وسائل الإعلام الأخرى فدخلت الإذاعة البريطانية وقنوات التليفزيون إلى الحلبة ودارت مناقشات مسائية خلال البرامج الحوارية حول نفس الموضوع أضف إلى هذا أسئلة الصحفيين والإعلاميين للشيخ القرضاوى بعد كلمته التى ألقاها في مقر عمدة لندن ــ للحديث عن إنشاد اتحاد العلماء المسلمين ــ حتى

خرجت الأسئلة بالحديث إلى موضوع العمليات الاستشهادية وتجاهلت الموضوع الأصلى الذى تحدث فيه القرضاوى .. وبناءً على ذلك خرجت الصحف البريطانية التى قادت الحملة الصحفية فى اليوم التالى ٨/ ٧ / ٢٠٠٤م متجاهلة تماماً ماجاء على لسان الشيخ القرضاوى عن زيارته ومهمتة فى لندن وعادت للحديث مُجدَّداً عن رأى الشيخ فى العمليات الفدائية ، وكانت النتيجة اساع دائرة الاهام ليصل البرلمان والدوائر السياسية ، حتى أن الجالية اليهودية قدمت بلاغاً للمدعى العام ضد الشيخ ، ولم تهدأ العاصفة الإعلامية والسياسية التى صنعتها الصحف الأربعة ، إلا بعد المعالجة المحايدة التى قدمتها الإذاعة البريطانية للموضوع ، والتعليقات الإيجابية لصحيفة (الجارديان) التى نشرت يوم ٩/٧/٢٠٠٤م ، عن المواقف المعتدلة للشيخ ودعوتة إلى الوسطية [٣٣] .

خامساً : صورة الإسلام والمسلمين في التلفزيون بعد ١١سبتمبر .

في نهاية شهر يناير ٢٠٠٢م بثت القناة الفرنسية الألمانية RT مسلسلاً في خمس حلقات عن سيرة النبي محمد ﷺ ويعد هذا العمل من أبرز الأعمال التليفزيونية التي عالجت صورة الإسلام والمسلمين ، حيث تناولت خمس قضايا هي " نحو النبوة " و" الدعوة " و" المدنية " و" الشريعة " و" السلطة ومكة " وأخيراً " القرآن" .. والمسلسل يتضمن سلسلة وثائقية في شكل تعليمي من خلال روايات وشروح علماء الدين والمؤرخين وخبراء من العالم الإسلامي والغربي، وقد استغرق الإعداد لهذا العمل حوالي ثلاث سنوات من العمل والتجوال في عدة بلدان هي سوريا ولبنان وتونس ومصر والأردن إلي جانب كندا والولايات المتحدة ، حيث تضمنت الرحلة التوقف عدة مرات في هذه الدول لرسم ملامح حياة الرسول ﷺ وقام بالتأليف كل من : يوسف صديق – خبير تونسى بعلم الإنسان – إلي جانب شيماسار مينتو وهو مخرج أسباني وتوجرول سيلان وهو منتج تركي ، وقد زاد من أهمية عرض المسلسل ــ كما يقول يوسف صديق ــ تجاهل أوروبا تناول هذا العمل ، وقت العرض ، إلي جانب حوادث الحادي

عشر من سبتمبر ، والتي دعمت شرعية هذا العمل الذي كان يعتبر في مراحله النهاية وقت هذه الأحداث ، إلى جانب أن تلك الأحداث قد زادت من قناعة فريق العمل بأهمية هذا العمل من منطلق أن فهم الإسلام أصبح أمراً ضرورياً

وعن الهدف من عرض هذا المسلسل قالت صحيفة "لوفيجاور" الفرنسية بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠٠٢م إن الهدف الذي يسعى إلي تحقيقه مؤلفو هذا المسلسل هو عدم الدخول في مهاترات وآراء متعصبة بل هو شرح وتعميم لأصول الإسلام بدءاً من العناصر التاريخية ، وذلك لمحاربة الأحكام المسبقة عن الإسلام إلى جانب وضع حد لعمليات الخلط في مفاهيمه .. وتشير الصحيفة إلي توضيح أهداف المسلسل علي لسان مدير التنفيذى التابع لقناة RT بقوله " نحن نود العودة إلي جذور الإسلام حتى يمكننا أن نفهم هذا الدين ، عندما نتناوله بالحديث اليوم من منظور الواقع ، حتى نبتعد عن الشك والأقاويل".

ومن أهم المشكلات التي واجهت المسلسل هي :

أ- مشروع المسلسل ــ قبل العرض ــ لم يلقي ترحيباً في مختلف المجتمعات العربية ، ويعلق يوسف صديق علي ذلك قائلاً :" لقد تطلب العمل مفاوضات عديدة ، لأنه ليس من اليسير إقناع الأئمة المسلمين بتصوير فيلم عن حياة الرسول للأوربيين ، لقد كان في إمكاننا الكذب بالنسبة لما نقوم به من عمل لنحصل علي تسهيلات أكثر ، ولكننا فضّلنا ذكر الحقيقة والإقناع مؤكدين بأننا سنقدم هذا العمل بكل احترام ".

ب- المشكلة الثانية: وكانت فنية ، حيث لا توجد صور أو رسوم للرسول ﷺ وقد اعتمد العمل علي النصوص الدينية الأصلية لوصف الرسول ورسم ملامح شخصيتة.. ولتعويض غياب الصور ، نجد الكاميرا تتجوّل فوق المساجد وفي المدارس القرآنية وفي الصحراء وتحت الخيام ، مع خلفية صوتية لآيات تتلى من القرآن الكريم .. وتعلق صحيفة "جين أفريك" الفرنسية - يوم ١١ فبراير ٢٠٠٢م - مشيرة إلى أن المشاهد الذي يتمتع بثقافة يهودية / مسيحية ، قد

يضطرب عند مشاهداته المسلسل من جراء صفة خاصة بالإسلام هي غياب التشخيص للنبي محمد ﷺ ثم يتساءل الكاتب بقوله وفي العمل الفني الذي لا تظهر فيه صورة البطل ، ألا يعتبر ذلك الأمر بمثابة مجازفة ؟ كلا الاحتمالين قائم ، تماماً مثل المجازفة التي شرع فيها خاتم النبيين وآخر الرسل محمد ﷺ ليبني مجتمعاً مُوحَّداً وسط عالم وثني .

ج – ونلاحظ أن هناك اعتراضاً من جانب الصحفية الفرنسية علي موقف الإسلام، الذي يحرم تصوير النبي الكريم أو تمثيل شخصيتة على الشاشة ، فهو موقف ديني بحت ما كان يجب التعرض له في معرض الحديث عن عمل فني..

ولكن الأكثر غرابة هو موقف يوسف صديق ـ المسلم العربي ـ ويري أن "التصوير ليس محرماً في الإسلام ولكن التقاليد الإسلامية تحرمه " ، فمن المعروف دينيّاً أن تصوير جميع الأنبياء مُحرَّم لمكانة هؤلاء الأنبياء ، ولا يجوز أن يقوم أحد بتمثيل أشخاصهم علي الشاشة. ويذكر أن يوسف صديق قد قدم مسلسلاً للرسوم المتحركة ، بعنوان " إذا روى القرآن " أدانته المؤسسات الدينية وعلي رأسها منظمة المؤتمر الإسلامي ـ وذلك حين عرض، وذلك لتشخيصة شخصية الرسول في المسلسل ، لذلك فإنه يقول "هذه المرة قد تسلحنا مسبقاً ضد أي نقد " .

د – نجح المؤلفون في البعد عن الاستغراق في الأسلوب التعليمي للمسلسل في حبك القضية بشكل متضافر علي ثلاثة مستويات :

الأول : وهو الأكثر تأثيراً .. الحديث من جانب البسطاء كالأجداد والأطفال والحرفيين ورعاة الأغنام عن سيرة الرسول ﷺ والذين يتوحدون مع شخصية الرسول وبالتالي يستطيعون استرجاع سيرته في حياتهم في جميع المراحل العمرية .

والمستوى الثاني : أحاديث العلماء والخبراء المتخصصين من جميع الجنسيات. أما المستوى الثالث : هو النصوص الإسلامية : القرآن ، والسنة ، وكتب التاريخ ، والسيرة .

هـــ - أجرت القناة التليفزيونية دراسة مفصلة لقياس كثافة المشاهدة ــ من أجل التعرف علي ردود أفعال الجمهور ، وقد أكدت الدراسة أن كل حلقة جذبت عدداً من المشاهدين بلغ متوسطة 850 ألف مشاهد (٦٥٠ ألفاً في فرنسا و٢٠٠ ألف في المانيا ، كما وصل إجمالي عدد المشاهدين لمجموع الحلقات ١,٣مليون مشاهد ، منهم ٣,٤٥٣ % من المسنين ، و٥٩ % منهم من النساء .. ومن المعروف أن القناة الفرنسية الألمانية RT لا تحدد نوعية برامجها علي أساس كثافة المشاهد ، ولكن تقدم برامج ثقافية لا تقدمها القنوات الأخرى ..

تقييم المسلسل

جاءت صورة الإسلام والمسلمين في هذا المسلسل إيجابية إلي حد كبير ، فالرسول في المسلسل ، شخصية تاريخية بشرية وإنسانية ، وليس إلهاً أو ابن الله ، كما يرى المسيحيون طبيعة المسيح ، وهو زعيم له تاريخه الخاص المليء بالأحداث ، له أصدقاء وأعداء يعرف المشاكل الأسرية ، جاهد بنفسه وقاد القرارات ، وضع أساس وقواعد إقامة الدولة بالمفهوم السليم للكلمة ، واجه صعوبات في سبيل نشر الرسالة .. ولكن هناك بعض الجوانب السلبية في صورة الرسول في المسلسل ــ كما ذكرت صحيفة "جين أفريك" حيث أشارت إلي أن الفيلم لم يتردد في إحصاء أخطاء النبي محمد ﷺ وانفعالاته ومخاوفه .. كما تأخذ الصحيفة علي المسلسل .. من وجهة نظرها ــ عدم عقد مقارنة بين الإسلام والمسيحية ، وتري المشاهد المسيحي الذي تعلم أن "يسوع" هو ابن الله بل هو الله نفسه ، يمكن أن يشعر بالتشويش وإن كانت عملية عدم المقارنة هذه، تعد نقطة إيجابية أيضاً حتى تجنب المسلسل الحملات الإعلامية المضادة خاصة في وقت أصبح فيه حساسية شديدة للإعلام الأوروبي تجاه كل ما هو إسلامي .

وجدير بالذكر أن صحيفة "جين أفريك" قد نشرت رسماً مصاحباً للمقال السابق يصور الرسول الكريم وهو يتلقى الوحي من جبريل ، وحول هذا الرسم بعض الكتابات باللغة الفارسية .. ويرى المحللون أن نشر هذه الصورة يعد استفزازاً واضحاً للمسلمين وللقيم الإسلامية ، رغم علم كاتب المقال أن ظهور صور للرسول يعد أمراً محرماً في الإسلام .

تناول التلفزيون في أوروبا من خلال برامجه وأفلامه ــ بقدر من التركيز موضوع " النساء المحجبات " في الدول الإسلامية ، من خلال الربط المقصود بهدف التعميم ما بين المرآة المسلمة والحجاب باعتبار أن المرأة المسلمة المتمسكة بحضارتها ومنفتحة إلي حد ما علي الغرب ، هي عقلية ممزقة بين التقاليد والحداثة .. ومن أمثلة ذلك البرنامج الذي بثته إحدى القنوات الفرنسية صيف ٢٠٠٣م تحت عنوان " الإسلام من منظور النساء " وهو سهرة خصصت للحديث عن بنات الرسول ﷺ من إخراج ثلاث نساء من تركيا وباكستان وإيران، ذهبت كل واحدة لإجراء مقابلات مع نساء محجبات من بلدها وتتحدث المخرجة التركية "هاتيس أتين" عن تجربتها الشخصية وأسلوب تربيتها وتذكر أن والدتها قد أكدت لها أن الحجاب ليس مفروضاً ، وليس لأنها مؤمنة بل هي مسألة تعود وأنها لا تظن أن تلك القماشة هي التي ستفتح لها أبواب الجنة " !! ورغم عرض الفيلم لنماذج إيجابية للمرآة المحجبة في البلدان الثلاثة ، إلا أنه استعرض نماذج أخرى للمرآة المسلمة المضطهدة والمقهورة . (٣٥)

وفي نفس السياق تم بث فيلم تسجيلي بعنوان "المياه الساكنة" من إخراج "صبيحة سومار" ــ باكستانية الأصل ــ من خلال نماذج للمرآة المسلمة المدافعة بحرارة عن "الإسلام " ولكنها تشير "بشيء من المعاناة " إلى أحوال المرآة في باكستان ، والتي قد يستوعبها المشاهد الغربي علي أنها بسبب الإسلام،فقد أصبح الحجاب كما ذكرنا سابقاً رمزاً لاحتقار المرأة ومعاناتها!!(٣٦)

ذكرت دراسة حول صورة الإسلام في القناتين الأولي والثانية بالتليفزيون الألماني ZDF , ARD ما بين عامي ٢٠٠٥- ٢٠٠٦ أن النزعة العدائية تجاه الإسلام قد زادت في التلفزيون الألماني بعد أحداث ١١سبتمبر ، فهناك أكثر من ٨٠ % من البرامج والتقارير الإخبارية "حول الإسلام" في تلك القناتين تحفل بالموضوعات السلبية مثل الإرهاب والصراعات الدولية وعدم التسامح الديني والأصولية ، إلي جانب قمع المرآة ومشاكل الاندماج وحقوق الإنسان.[٣٧]

من أبرز الأفلام التي أثارت جدلاً واسعاً فيما يتعلق بالإسلام في السنوات الأخيرة ، فيلم " الفتنة " للسياسي الهولندي العنصري "جيرت فيلدرز" ، وهو فيلم قصير (٧١ دقيقة) تم بثه علي جزأين ، الأول يستخدم أحد الرسومات الدنماركية المسيئة للنبي ﷺ والتي تظهره يرتدى عمامة فيها قنبلة علي وشك الانفجار ، ثم صوت إمام في المسجد الحرام يتلو آيات من القرآن الكريم تدعو للقتال ، ثم تظهر صورة لضرب المركز التجاري بنيويورك يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، يتبعها خطبة لشيخ ينادي بالجهاد في فلسطين ، ثم صورة لطفلة محجبة ٤ سنوات تتحدث عن المسخ إلى قردة وخنازير إيماء إلى اليهود .. وفجاءة تصدر موسيقي صاخبة ودعوة باللغة العربية لرجل ملتح لقتل اليهود، وتتداخل معها صورة للجيش النازي يؤدي التحية لهتلر ، ثم مشهد آخر لقراءة القرآن من الحرم المكي يتلو آيات عن اليهود والنصارى والحرب ، الخلفية بها صور لضحايا انفجارات لندن ومدريد .. وتتولي صورة قراءة القرآن من الحرم المكي ومن خلال آيات الجهاد والقتال للمشركين ، كما تظهر مع قراءة آية {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} صورة المخرج الهولندي "ثيوفان جوخ" والذي قُتل علي يد شاب مغربي ، وهنا يكرر الفيلم كلمات الشاب المغربي (سأقتله ثانية لو عاش) وتتلاحق بعدها الصور لرجل أمريكي قطعت رأسه في العراق لتغرق الشاشة بالدم رغم ما قيل عن احتمال أن تكون الصور مفبركة وغير صحيحة ، وينتهي الجزء الأول بصوت انفجار وصفحة قرآنية

مفتوحة وتمتد يد لتقلب صفحة المصحف ، وتظهر الشاشة سوداء ليسمع صوت تمزيق ورق وعبارة (فلتمزقوا هذا الكتاب) ، هذه " دعوة للحرية " .

وفي الجزء الثاني يتناول المخرج أعداد المسلمين في هولندا وأوروبا عموماً، ثم مشاهد عنف وقتل أحياناً ، وعناوين للصحف الغربية، إلي جانب الدعوة لقتل مخرج الفيلم نفسه (فيلدرز) كما ناقش الفيلم رفض المجتمع المسلم في الغرب للعلاقات الجنسية بدون زواج .. وفي نهاية هذا الجزء دعوة لتمزيق المصحف أيضاً من خلال النص التالي (انتهينا من الفاشية والنازية ، ولا بد أن ننتهي من أسلمة أوروبا)..(٣٨) والفيلم لم يقدم جديداً ، بل هو يعد عملاً ضعيفاً فنيّاً ومهيناً، ولكنه حاول التركيز علي فكرة القتل في القرآن !!

في المقابل هناك بعض الأفلام التسجيلية الإيجابية عن الإسلام ، مثل الفيلم الذي تم بثه عام ٢٠٠٨م علي موقع "اليوتيوب" علي شبكة الانترنت والذي يتناول سر إسلام العالم التشيكي "ميلان شولتس" بما يغني عن ألف خطبة ، والذي أكد أنه كان يحمل صوراً سلبية جداً عن الإسلام وأنه كان يعتقد أن محمداً ﷺ هو من كتب القرآن ، ولكن عندما قرأ ترجمته إجتاحه شعور عارم بأن هناك قوة معرفية كونية لا مثيل لها وراء هذا القرآن ، فسارع ناطقاً بالشهادتين فوراً.(٣٩)

سادساً : صورة الإسلام والمسلمين في السينما الغربية بعد أحداث سبتمبر

منذ هجمات ١١ سبتمبر أصبح المواطن العربي والمسلم ضيفاً شبه دائم على أفلام السينما الغربية التي استهدفت صورة العرب والمسلمين :

١- السينما الأمريكية (هوليوود) :

أ- فيلم "مملكة الجنة " Kingdom of Heaven ، والذي استقبله النقاد العرب عند الإعلان عن بدء تصويره بعاصفة من الاستهجان بدافع نظرية المؤامرة وإمكانية تشوية صورة المسلمين من خلال الفيلم ، ولكنهم فوجئوا بعد

عرض الفيلم في مايو ٢٠٠٥م بأن الفيلم قدم المسلمين في صورة جيدة من خلال الناصر صلاح الدين ، والذي ظهر كقائد عسكري مثالي .

في حين جاءت الشخصيات الغربية التي أدارت الحروب الصليبية جشعة ونهمة لسفك الدماء فثارت ثائرة الغرب ضد المخرج "ريدلي سكوت" ، واتهم بمغالطة التاريخ ، لأنه قدَّم المسلمين بالصورة الحقيقة المشرقة.(٤٠)

أما فيلم "رحلة طيران" Flight plane يتعرض لقضية الاتهام المسبق دون أدلة للعرب بأنهم إرهابيون ، من خلال طائرة أمريكية تتعرض للاختطاف ، ولأن علي متنها عرب ، فإن الطبيعي هو اتهام البطلة للعرب بخطف ابنتها ، بناءً علي الأكليشيهات الجاهزة لإلقاء المسئولية علي العرب والمسلمين حال وجودهم في أي مكان تقع فيه جريمة .. ويحاول فيلم أن يقول أن العرب والمسلمين أبرياء في الواقع ولكن ملامحهم الشرقية فقط هي التي دفعت بعض الركاب لاتهامهم دون دليل ــ نمط الشك والريبة .

أما فيلم "سيريانا" للمخرج "ستفين جاجان" فرغم أن أحداثه تدور حول الإرهابي العربي " محمد عجيزة " إلا أن الفيلم يرى أن ليس كل العرب إرهابيين أو أشرار ــ يرفض نمط التعميم .

كما أن الفيلم يكشف الوجه القبيح للعم سام الأمريكي الطامع في نفط العرب ، ومن أجل ذلك يخوض الحروب السياسية والعسكرية في الشرق الأوسط ، وأن المصلحة النفطية تفوق كثير من المصالح الوطينة والسياسية ، ولذلك اتهم بطل الفيلم ــ الذي عرض في نوفمبر٢٠٠٥م – "جورج كلوني" بخيانة وطنه بسبب تركيز القصة التي كتبها كلوني أيضاً علي الشخصيات الأمريكية التي تخوض لعبة قذرة في عالم البترول لجني ثروات تقدر بالملايين من الدولارات.

وفي مطلع عام ٢٠٠٦م تم عرض فيلم (البحث عن كوميديا في العالم الإسلامي) الذي تدور أحداثه في إطار كوميدي ، حول رغبة الإدارة الأمريكية

في تحسين صورتها لدى العالم الإسلامي ، فترسل مبعوثاً خاصاً لتحقيق هذا الهدف ، ومن خلال العمل السينمائي يحاول المخرج الأمريكي "البرت بروكس" مغازلة العرب والمسلمين بعد تاريخ طويل من التشوية للإسلام والمسلمين في سينما هوليوود ــ كما سبق .

ويعد فيلم "ميونخ" بمثابة قنبلة في وجه الصهيونية الذي يتناول حادث إغتيال مجموعة من الفلسطينيين لأحد عشر لاعباً إسرائيلياً في حادث تفجير بدورة الألعاب الأوليمبية عام١٩٧٢م ، وذلك لأن مخرج الفيلم الأمريكي "ستيفن سبيلبرج" اعتمد في تقديم الفيلم علي كتاب "الانتقاد" الصادر عام ١٩٨٤م ، والذي يحتوى علي اعترافات قاتل بالموساد انشق احتجاجاً علي أساليب إسرائيل العدوانية ، وقد أدى ذلك إلي قلب الأوضاع عليه "المخرج" في إسرائيل ، والذي عرف عنه ميوله نحو تأييد اليهود والتعاطف مع الفكر الصهيوني ، خاصة ما يسمي "الهولوكوست" التي جسدها في فيلم " قائمة شيندلر" عام ١٩٩٣م ، الحاصل علي عدة جوائز أوسكار ، ومن المعروف أن "سبيلبرج" قدَّم جهوداً متميزة للسينما الإسرائيلية من خلال إقامة أرشيف الفيلم اليهودي. [٤١]

٢ـ الأفلام الأوروبية

احتلت القضية الفلسطينية حيِّزاً من اهتمام السينما الأوروبية ، ومن أهم هذه الأفلام ، الفيلم الإيطالي (خاص) الذي تدور أحداثه حول عائلة فلسطينية تحتل القوات الصهيونية بيتها، وتفرض علي العائلة الفلسطينية أن تقيم مع عائلة يهودية ، وقد أثار الفيلم الذي يرمز لضرورة أن يقبل الفلسطينيون بالوضع الحالي ويعيشوا مع الطرف الإسرائيلي وكأنه صاحب حق انتقادات واسعة خاصة ضد بطل الفيلم الفلسطيني "محمد بكرى" باعتباره قد خان القضية الفلسطينية ، والفيلم الثاني هو "الجنة الآن" للمخرج الفلسطيني هاني أبو أسعد ، وهو أنتاج اسرائيلي فرنسي الماني مشترك ، ويعرض لقصة شابين من فلسطين يستعدِّان لتنفيذ عملية استشهادية ضد العدو الصهيوني ، ورغم إشادة النقاد

العرب والغربيين بالفيلم ، إلا أنه أثار موجة من الجدل في الدول العربية بعد أن أكد مخرج الفيلم ـــ الذي كُرِّم في مهرجان برلين ٢٠٠٥م بحصوله علي ثلاثة جوائز ،أن العمليات الاستشهادية تؤجج الصراع العربي الإسرائيلي ولا جدوى منها !! وهو الأمر الذي جعل المخرج جديراً بالتكريم بل والحفاوة نظراً لجهوده الفنية المنحازة ضد الجانب العربي والفلسطيني.(٤٢)

الفيلم البريطاني " قوة الكوابيس " والذي عرض في مهرجان "كان" صيف ٢٠٠٥م ، ويتناول هجمات الحادي عشر من سبتيمر ٢٠٠١م ، مؤكداً أن ما قامت به الحكوماتان الأمريكية والبريطانية من إجراءات مشددة تحولت إلى ذعر مما عرف بالإرهاب ، ليس سوى لعب علي دافع الحاجة للأمان ووهم صنعته الإدارة الأمريكية.

وجاء فيلم "بذور الشك" للمخرج المصري المقيم في فرنسا سمير نصر (إنتاج ألماني فرنسي) ، وتتناول أحداث الفيلم حياة المهاجرين العرب والمسلمين في الدول الأوروبية بعد أحداث ١١ سبتمبر ، حيث أصبحت كلمة "مسلم" تحمل دلالة سياسية أكثر منها دلالة دينية.(٤٣)

وفي هذا الإطار اهتمت السينما الألمانية بمعالجة قضية المهاجرين المسلمين في ألمانيا ، من خلال الأفلام التي قدمها مخرجون من أصل تركي ، خلال السنوات الأخيرة التي تلت أحداث ١١ سبتبمر ، وقد تغيَّرت موضوعات الأفلام التي تناولت المهاجرين ، من الشعور بالغربة أو المعاملة كأجنبي ، كما كان الحال في العهود الثلاث الأخيرة من القرن الماضي ، إلى مناقشة قضية الصراع بين قيم الثقافة الإسلامية وتقاليد البلد الأم من ناحية وبين قيم وثقافة المجتمع الأوروبي .. يتم تركيز الأضواء علي الفتيات المسلمات وتعرض هذه الأفلام لنماذج مُشوَّهة وساقطة وخارجة عن القيم والفضائل الأخلاقية علي اعتبار أنها تعاني من الموروث الثقافي، فقد تغيرت الموضوعات والقضايا ولكن الصورة ما زالت سلبية إلا حد كبير وما زالت الأحكام جاهزة ومسبقة

(صور نمطية مثل الأكليشيهات) .. ومن الأمثلة علي ذلك فيلم "الغريبة" عن قصة سيدة تركية تهرب من " قهر " الزوج واستبداده في إسطنبول إلي والديها في ألمانيا ، ولكنهما لا يوافقان علي فعل الابنة المضطهدة ، فتلجأ إلي أحد بيوت مساعدة النساء وتتورط في علاقة غرامية آثمة مع شخص ألماني ، مما يلطخ شرف العائلة الذي لا يمكن تطهيرة إلا بالدم.. ويرى الفيلم أن القصة تحاول كسر حواجز " التعصب " الموجودة في المجتمع داخل ألمانيا وفي هذا السياق يأتي فيلم " أيلا " للمخرج التركي "سوتورهان" الذي ترفض فيه البطلة قيود والدها الصارم، فتقرر أن تعمل ليلاً في أحد النوادي الليلية مرتدية زيّاً مثيراً وباروكة ، رغم أنها تعمل صباحاً في مدرسة للتمريض ، ويعمل الفيلم علي فتح نافذة علي مجتمع المهاجرين الأتراك . (٤٤)

أما المخرج الأفغاني الأصل "برهان قرباني " فقد حاول في فيلمه " شهادة " أن يطرح التناقضات التي تولدها كل من الثقافة الألمانية والإسلامية داخل المسلم المقيم في الغرب ، من خلال التركيز علي ثلاثة مسلمين غير أسوياء محملين بمشاعر الذنب ، أحدهما شرطي من أصل تركي قتلت رصاصة طائشة من مسدسه جنيناً في بطن أمه ، والثاني شاب نيجيري يصارع ميولة الجنسية الشاذة ، والنموذج الثالث ابنة إمام مسجد في ألمانيا تحب المتعة الحرام ،اتجهت للأصولية ، بعد جراء عملية إجهاض .. وفي سياق استعراض نماذج سلبية للمهاجر المسلم ، يأتي فيلم " الألباني" الذي يغوص في عالم المهاجرين غير الشرعيين ، من خلال قصة مؤثرة لرجل مسلم من ألبانيا حاول كسب المال في ألمانيا ، بهدف الحصول علي تكاليف زواجه ، دون الاكتراث بالاعتبارات الأخلاقية ، وفي النهاية يدفع الثمن باهظاً مقابل ذلك ، ، حيث الفقر والبطالة والعمل خارج إطار القانون والأعمال غير الشرعية ــ يستدعي في الذهن المواطن العربي والمسلم ، حيث الملامح والزى والعادات التي تشير الي منطقة الشرق الأوسط ، وهي تساوي العالم الإسلامي لدى المواطن الغربي.

ومن أهم الأفلام التي تناولت قضية المهاجرين داخل المجتمع الألماني ولكن بثقة أكثر وبروح الدعابة فيلم أهلاً وسهلاً بكم في ألمانيا ، للمخرجة ياسمين سامد يريلي ، ويتناول مناقشة قضية الهوية داخل العائلة التركية وعلي رأسها "سي السيد" والأبناء غير مهتمين بالهوية التركية لأنهم مندمجون في المجتمع الألماني بنجاح، ويعد الفيلم الذي عرض ٢٠١١م كوميديّاً عابرة للأجيال والثقافات تتميز بالشجاعة وقوة الطرح والنظرة المتفائلة ، ولكنه مليء بالأحكام المسبقة والصور الجاهزة للمسلمين ، وهي بالطبع صور نمطية جامدة تقليدية ، وهناك أفلام في هذا السياق تتفوق علي هذا الفيلم من حيث الجودة ، مثل "ضد الحائط" للمخرج فاتح أكين ، وفيلم "قصير وبدون ألم" للمخرج فيوألاداغ ، وهما مخرجان من أصل تركي أيضاً . (٤٥)

***

هوامش الفصل الثالث

١) زابينه شيفر : "التنوع في وسائل الإعلام الألمانية ضد الأحادية"، مجلة فكروفن الألمانية ــ باللغة العربية ــ يونيو ٢٠١٠م .

١) المصدر السابق .

١) زابينه شيفر : "الإسلام في الإعلام الألماني حقائق مختلفة وصور مشوهة"،موقع قنطرة، بتاريخ ١٤/ ١٢ / ٢٠٠٤م .

٤) زابينه شيفر ، المصدر السابق .

٥) المصدر السابق .

٦) المصدر السابق.

٧) المصدر السابق .

٨) المصدر السابق

٩) مجلة فكروفن ، صورة الإسلام في الإعلام الألماني ، مصدر سابق.

١٠) زابينه شيفر ، الإسلام في الإعلام الألماني : حقائق مختلفة وصور مشوهة " مصدر سابق.

١١) جريدة أخبار اليوم المصرية ، ٤ مايو ٢٠٠٢م .

١٢) Jochen Hippler : (The next threat : Western Perception of Islam) , (London ، Pluto Press ، 1995) pp116.

١٣) سامي مسلم : صورة العرب في صحافة ألمانية الإتحادية ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٨٥م ص ٤١ .

١٤) المصدر السابق .

١٥) بول فيندلي : كفي صمتا .. مواجهة تصورات أمريكا الخاطئة عن الإسلام " ، ترجمة وعرض الهيئة العامة للإستعلامات ، القاهرة ٢٠٠٢م.

١٦) زابينه شيفر : "التنوع في وسائل الإعلام الألمانية ضد الأحادية " ، مصدر سابق.

١٧) المصدر السابق.

١٨) مجلة فكر وفن : صورة الإسلام في الإعلام الألماني ، مصدر سابق .

١٩) المصدر السابق .

٢٠) المصدر السابق .

٢١) المصدر السابق .

٢٢) المصدر السابق نفسه .

٢٣) جريدة الأهرام المصرية ، خلاصة حوار برلين حول مستقبل المسلمين في أوروبا ،٢٠٠٢/٥/٢٢م ، ص١٥ .

٢٤) عبد العظيم حمادة :"الإسلام والمسلمون في ألمانيا بعد ١١سبتمبر" الأهرام القاهرة،٢٠٠١/١١/٨م .

٢٥) المصدر السابق.

٢٦) المصدر السابق.

٢٧) المصدر السابق.

٢٨) المصدر السابق.

٢٩) مارتينا صبرا : "الحوار الإعلامي الألماني في الرباط : النساء في وسائل الإعلام" موقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامي de.qantara بتاريخ ٢٩/١٢/ ٢٠٠٥ م .

٣٠) كتايون أميربور: "تحريض رخيص" موقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامي١٠/ ١٠ / ٢٠٠٣م as qantara.de.

٣١) فهمي هويدي :" مؤامرة في لندن " ،جريدة الأهرام المصرية ، ٢٠ يوليو ٢٠٠٤ ، ص١١ .

٣٢) الصحيفة الأولي "الصن" والتي جاء عنوان صفحتها الأولي هو :"لقد هبط الشر المملكة المتحدة رحبت بالشيخ الذي يعشق الإرهاب" أما الصحيفة الثانية هي "ديلي اكسبريس " والتي حمل عنوان تقريرها : "سفير الكراهية وصل الي بريطانيا .. هذا الرجل الشرير يجب أن يمنع من الدخول " والصحيفة الثالثة هي "التايمز" والرابعة " ايفننيج ستاندر ، وقد ذكرت نفس المعاني في النصوص والعناوين ، ولكن بشكل أقل فجاجه.

٣٣) فهمي هويدي ، مؤامرة في لندن ، مصدر سابق .

٣٤) المصدر السابق .

٣٥) صحيفة لوفيجارو الفرنسية ،٣٠ أغسطس ٢٠٠٣م .

٣٦) المصدر السابق .

٣٧) مجلة فكر وفن ، صورة الإسلام في الإعلام الألماني ، مصدر سابق .

٣٨) مجلة أكتوبر المصرية ، فتنة الفاتن الهولندي الأشقر ،٦ إبريل ٢٠٠٨م ص٢٦، ٢٧ .

٣٩) المصدر السابق.

٤٠) عرض الفيلم في مصر صيف ٢٠٠٥م ولاقي قبولاً وإعجاباً من الجمهور والنقاد ، وقد شارك فيه ممثلون من مصر وسوريا.

٤١) جريدة المصري اليوم المصرية ، ٤ أفلام أمريكية .. غزل هوليوودي علي غير العادة ،٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٥م ص ١٥ .

٤٢) جريدة المصري اليوم ، 3موضوعات علي الأجندة السياسية .. المهاجرون واحتلال العراق والعمليات الإستشهادية في فلسطين ،٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٥م .

٤٣) المصدر السابق .

٤٤) مارجريت كولر : "المهاجرون في السينما الألمانية : من ضحايا الي رعايا " ، موقع قنطرة qantara . de. ، ١١يناير٢٠١٢م .

٤٥) المصدر السابق .

***

الفصل الرابع

أساليب ووسائل مواجهة الحرب الإعلامية ودور الربيع العربي في تغيير الصورة السلبية

المبحث الأول

أساليب تصحيح الصورة السلبية

أولاً : مراجعة نقدية:

البدء بأنفسنا .. أي مراجعة مواقفنا وأوضاعنا على كافة المستويات، ويستلزم ذلك تحرير أنفسنا من هذه الصورة التي رسمها الآخر- الأوروبي- لنا .. ذلك أن تأثير هذه الصورة قد امتد إلى بعض العرب والمسلمين .. وتسربت أبعادها ومعالمها من خلال وسائل الإعلام والاتصال لنا، فيجب ترتيب البيت من الداخل ومداواة الجروح والانقسامات، وإعادة تعريف الأهداف الكبرى للأمة وبلورة إرادة جماعية على تحقيقها.

كما يجدر بنا- في النظر إلى هذه المعادلة- ألا ننظر إلى الغرب ككتلة واحدة لا تتجزأ، بل على النقيض من ذلك، فالغرب تيارات سياسية وثقافية وليبرالية وعنصرية متفاوتة ومتباينة. وهذا التنوع في الخريطة الثقافية للغرب يتيح لنا إمكانية النقد على المستوى الداخلي أو الخارجي.

الرغبة الصادقة في تطوير الخطاب الإعلامي العربي والإسلامي والتي تنطلق من رغبة أعمق في إحداث تغييرات في النموذج الثقافي السائد عربياً

وإسلامياً- باتجاه العقلانية والحرية، بالقدر الذي يمكن النموذج الثقافي من استيعاب "ألوان الطيف" في الاتجاهات الثقافية (١)

تصويب وتصحيح المفاهيم الدينية السائدة على النحو التالي:-

١- إحياء المنهج العلمي وأسلوب التفكير العقلاني المنضبط في فهم النصوص الدينية.

٢- إشاعة منهج "التيسير" ورفع الحرج وتمكين الشباب من "التدين" في جو من الراحة النفسية.

٣ - التأكيد على أن المسلم ليس عدوّاً لأحد وتصحيح الموقف من الآخر.

٤- إحياء قيم التسامح والرفق، وإدراك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس دعوة للفوضى.. والتذكير بحرمة "الآخر" في دمه وماله وعرضه(٢)

٥- تعزيز قيم التفاهم والحوار ونبذ الخلافات الفكرية والثقافية والدينية في العالم الإسلامي. فلن يجدي حوار مع الآخرين ما لم يكن حوار حقيقي مع المسلمين أولاً .. وما لم يختف التعصب المذهبي ثانياً.. وما لم تحترم حقوق الإنسان والعدالة في بلادنا جميعاً.

٦- وضع إستراتيجية عربية وإسلامية .. لإصلاح أوضاع المرأة وإعلاء قيمة الدور الذي تلعبه سواء في العمل أو في إطار أسرتها.. وبيان الفرق بين صحيح الإسلام والممارسات القائمة على العادات والتقاليد والقيم المتوارثة فيما يخص المرأة .. لأن صورة المرأة في العالم العربي والإسلامي مشوهة وسلبية في وسائل الإعلام الغربية، والتي تراها متخلفة ومقهورة بسبب الحجاب والتمسك بالقيم الدينية (التي يراها رجعية وتخلف).

٧- مراجعة السياسات الإعلامية وآليات العمل الإعلامي في العالم العربي والإسلامي، القائم على مفهوم "الدعاية" أكثر منه إلى الإعلام المستند إلى

الحقائق .. خاصة الإعلام الرسمي للدول الإسلامية، مما يجعله أكثر فاعلية وتأثير بما يخص القضايا الدولية والأوروبية على وجه الخصوص بعد ثورات الربيع العربي.

٨- عرض الفكر الإسلامي بأسلوب جديد ومشوق، والبعد عن الأسلوب الإنشائي الحالي، الذي لا يناسب العقل الغربي، ولا يتناسب مع الطابع المركز لنقل المعلومات في وسائل الاتصال الحديثة .. لذا يجب مراعاة العقلية الأوروبية التي تعمد على رصد الحقائق وتقديم الأدلة المادية المدموغة بالبيانات والمعلومات. (٣)

ثانياً: التفاعل والتواصل مع الجانب الغربي:

يرى "بول فيندلي" أن القرآن الكريم يكفي بكل ما فيه لتعديل صورة الإسلام في الغرب بصفة عامة بما يحمله من قيم رفيعة سامية اللين والرفق والتسامح وعدم التفرقة بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى .. إن من يقرأ بعض آيات القرآن الكريم يعرف على الفور أن صورة الإسلام المتطرفة والعنيفة ما هي إلا محض افتراء كاذب.

ويؤكد "فيندلي" أن الإسلام يقبل ويتسامح مع المسيحية واليهودية بوصفهما شريعتان سماويتان، بينما لا تعترف اليهودية أو المسيحية بالإسلام كدين سماوي، ولو علم المسيحيون بهذه العلاقة التي تربطهم بالإسلام وتربط الإسلام بهم، فلسوف يتكلمون عن الأصول الأخلاقية : اليهودية ، المسيحية ، الإسلامية.. ولو حدث ذلك فلسوف تتوقف مدارس الآحاد عن ترديد مقولة "إن المسلمين ليسوا مثلنا". (٤)

يزيد (التعتيم الإعلامي والجهل وعدم معرفة الإنسان بديانات الآخرين) من احتمالات التعصب والعنف وعدم التفاهم .. لذلك يصبح الحوار هو الوسيلة الوحيدة لتقارب الشعوب إلى جانب أنها غدت من أهم وسائل تصحيح الصورة الذهنية والمفاهيم المغلوطة عن الإسلام والمسلمين أمام العالم كله.

– في السنوات الأخيرة بدأت مسألة الحوار بين الأديان والحضارات تأخذ موقعها على الساحة الأوروبية .. حيث ظهرت جمعيات ومنتديات عديدة تهتم بالحوار والفهم المتبادل بين أصحاب الديانات المختلفة.

من الجهود المبذولة في هذا الاتجاه محاولات البروفيسور "جون ل. اسبوزيتو" الذي اهتم بتوضيح مبادئ الإسلام ومفاهيمه الصحيحة، إلى جانب إنجاز موسوعة أكسفورد الإسلامية، كما قام بتحرير عدة مقالات في مجال تقريب وجهات النظر.

ومن أمثلة هذه الجهود لجنة الحوار الإسلامي / المسيحي التابعة للأزهر، والتي تشارك في كثير من المنتديات الثقافية وتلتقي بممثلي الدين المسيحي في أوروبا، ولها دور واضح في محاولة تحسين صورة الإسلام في أوروبا.

هناك بعض الجمعيات والهيئات التي أنشئت مؤخراً في إيطاليا، مثل جمعية "سانت إجيديو" وجمعية "أنيللي" وبعض الأحزاب السياسية .. وهي جهات تقيم مؤتمرات ومنتديات حول التفاهم العربي والإسلامي مع أوروبا وحوار الحضارات والأديان.(٥)

تكثيف الاتصالات مع القوى السياسية وصانعي القرار في الدول الغربية، بالإضافة إلى المنظمات غير الحكومية خاصة العاملة في مجال حقوق الإنسان.. بهدف تفعيل دورها في القضايا المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وتشجيعها على تصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية وفي مناهج التعليم . (٦)

إقامة جسور تعاون وتبادل الخدمات مع شبكات التلفزيون والصحف الكبرى في الغرب، ودعوتهم لحضور المؤتمرات الإسلامية المهمة في مصر والعالم الإسلامي ليطلعوا بأنفسهم على مدى تطور وانفتاح المفكرين المسلمين. (٧)

عقد مؤتمرات وندوات دولية في أوروبا والغرب بصفة عامة عن الإسلام وعلاقته بالثقافة الغربية، والمشاركة في المؤتمرات الدولية التي تناقش قضايا

العالم الثالث أو الأقليات في الغرب .. بالإضافة إلى القيام بالزيارات والجولات التفقدية لممثلي المؤسسات الإسلامية- مثل رابطة العالم الإسلامي- لمراكز البحوث والهيئات الثقافية والإعلامية .. بهدف قيام صلات قوية وعلاقات وطيدة، من أجل تقديم معلومات صحيحة عن الإسلام .. خاصة أن هذه المراكز والهيئات لها دور كبير في تشكيل الوعي الغربي... فإذا أتيح لها تقديم المعلومات من مصادرها الصحيحة، فسوف تكون هناك نتائج إيجابية تساهم في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين.(٨)

إذا كان بعض المفكرين يرفض ما يسمى "بحوار الأديان" ويرى أنه يجب أن يكون حوارا للحضارات .. فإنه يجب إبراز العناصر المشتركة في الحضارتين : الإسلامية ، والغربية باعتبار أن كلاهما من الحضارات الإيمانية، وأن فكرة العدل والمساواة والحرية هي عناصر أساسية في الحضارتين العالميتين .

المبحث الثاني

وسائل مواجهة الصورة السلبية

أولاً : دور الأزهر والمؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي:

وضع خطة دعوية متكاملة يشترك فيها الأزهر والمؤسسات الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي-مثل رابطة العالم الإسلامي ورابطة الجامعات الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامي- بهدف تقديم النصوص التي تثبت أن القيم الغربية مثل (حقوق الإنسان والديمقراطية والتعددية والحرية والعدالة الاجتماعية) هي قيم يكفلها الإسلام .. وتوضيح أن القراءة الدقيقة للنصوص الدينية تثبت أن حقوق المرأة مكفولة في الإسلام .. لدرجة أن بعض الدول الإسلامية قد وصلت فيها المرأة إلى منصب رئيس الوزراء أو رئيس الدولة،

في حين أن بعض الدول الأوروبية لا يوجد بها أي عضو نسائي في البرلمـــان، فضلاً عن تقبلها على رأس السلطة الحاكمة . (٩)

إعداد سلسلة كتب وكتيبات تقدم معلومات مبسطة ومركـــزة تحمـــل حقـــائق الإسلام باللغات الأجنبية، بشكل منطقي ومتوافق مع العقلية الغربيـــة .. وذلـــك بالتنسيق مع الجهات الإعلامية والدينية والدبلوماسية التابعة للدول الإسلامية في الغرب.

إنجاز موسوعة علمية تهتم بتوضيح وشرح كافة القضايا الدينية المتعلقة بالأقليات الإسلامية في الغرب فيما يعرف بـــ " فقه الأقليات " بهدف إيجاد حلول لكافة المشاكل الفقهية والثقافية والاجتماعية التي يتعرض لها المسلمون في الغرب، خاصة أن تصرفات المسلمين هناك تُعد من أهم أسباب تشويه صورة الإسلام والمسلمين كما ذكرنا سابقاً، حيث إن هناك أعداداً كبيرة من الجيل الثاني والثالث للمهاجرين صلتهم بالإسلام ضعيفة .. كما أن الخلافات والمشاكل بين الهيئات والجمعيات الإسلامية في الغرب ترجع إلى نقص في العلوم الإسلامية أو الفهم الصحيح للإسلام.

إعداد برامج تدريب وتأهيل خاصة للدعاة الذين يتم إيفادهم للعمل في المراكز الإسلامية بالمدن الغربية .. بحيث يكون الداعية متسلح بالعلوم المدنية الحديثة خاصة الكمبيوتر والإنترنت إلى جانب العلوم الشرعية، ولديه خلفية جيدة عن طبيعة هذا المجتمع ومشاكله واهتماماته وأهم الخطوط العريضة التي تحكم عقلية المواطن العادي، فضلاً عن المثقفين وقادة الرأي العام.

الاستفادة من التقنيات الحديثة، خاصة شبكة الانترنت، وذلك بإنشاء مواقع على الشبكة توضح حقائق ومفاهيم الإسلام الصحيحة، والرد على التساؤلات المثارة، تعتمد على الإجابات الشافية المنطقية التى تستند على الأدلة والحقائق والمعلومات والبيانات، بعيداً عن الاختلافات المذهبية أو الحساسيات التاريخية.

الإشراف الدقيق على كافة الترجمات لمعاني القرآن الكريم، ومراجعة الترجمات الموجودة بهدف تنقيتها من الأخطاء والشبهات الموجودة في هذه الأعمال، مثل ترجمة "جان بيرك" لمعاني القرآن بالفرنسية والتي تمتلئ بالكثير من المغالطات الخطيرة عن الإسلام.

ثانياً: دور المراكز والهيئات الإسلامية في الدول الغربية:

تُعد المراكز والهيئات الإسلامية أجدر الجهات القادرة على تصحيح صورة الإسلام في الغرب، بحكم تواجدها في معمعة الصراعات والتحديات التي تواجه المسلمين هناك.. لذلك فإن أهم دور يجب أن تقوم به هو العمل على وحدة الصف المسلم ونبذ الخلافات، التي يستغلها الإعلام الغربي لرسم صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين .

إلى جانب الأنشطة المختلفة لهذه المراكز.. يجب فتح جسور التفاهم والتعاون مع كافة الهيئات السياسية والإدارية والجمعيات الأهلية وأجهزة الإعلام الغربية..والشخصيات التي يمكن أن تتعاطف وتتفهم لطبيعة الإسلام والمسلمين.

تنظيم لقاءات مفتوحة مع كافة فئات المجتمع لشرح حقائق الإسلام وتوضيح الصورة الصحيحة للإسلام.. مثل المركز الإسلامي بمدينة أخن الألمانية، والذي يقوم بتنظيم لقاء يسمى بيوم "الباب المفتوح"، والذي يُدعى إليه مختلف أبناء الشعب الألماني وقطاعات الثقافة والجامعات والأحزاب السياسية والصحافة والإعلام من داخل ألمانيا ومختلف بلدان أوروبا الغربية.. حيث يتم تقديم عرض شامل عن الإسلام للمجموعات الزائرة، مع إقامة جسور أمنية لتبادل المعرفة والتفاهم العقلاني والعلمي على الوجه الصحيح بين المركز والزائرين، مع تقديم الكتب والنشرات باللغة الألمانية واللغات الأوربية الأخرى . [١٠]

إعداد الدراسات الموضوعية والبحوث العلمية الجادة، التي تقدم الإسلام في صورته الصحيحة، إلى جانب تنظيم المؤتمرات واللقاءات الفكرية المحاضرات،

لعرض وجهات النظر الإسلامية في القضايا التي يتعرض لها المسلمون في الغرب، مع إتاحة الفرصة للعلماء والمفكرين الأوربيين بعرض وجهات نظرهم والرد عليها، من أجل إزالة الشبهات والتصورات المغلوطة عن الإسلام. ويمكن أن يضطلع بهذا الدور مركز مثل مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن، والذي يشكل نقطة التقاء بين العالمين الإسلامية والغربي، بصفة مؤسسة أكاديمية مرتبطة بعلاقة رسمية مع واحدة من أكبر وأشهر الجامعات في أوروبا- جامعة أكسفورد.

إمكانية الاستفادة من المسلمين الأوربيين- خاصة المفكرين والأكاديميين الذين اعتنقوا الإسلام- في تعديل الصورة القاتمة للإسلام والمسلمين، حيث أنهم- من خلال خبرتهم وفهمهم لطبيعة المجتمع الأوروبي- هم مفاتيح الحوار العقلاني الهادف مع الجانب الأوروبي، وهم الأدلة الحيوية على إمكانية تنمية بشكل أفضل.

تفعيل الجوانب الإعلامية .. من خلال الاتصال الفعَّال مع الصحف ووسائل الإعلام الأخرى، بغرض عرض الحقائق وتوضيح المفاهيم المغلوطة التصورات الخاطئة، والرد على أية تغطية إعلامية تسيء للإسلام والمسلمين بالطرق والوسائل المنطقية والحجج والبراهين، إعتماداً على مناخ الحرية الإعلامية السائد في الغرب.. مثلما يفعل اليهود في سعيهم الدائم والدءوب لرسم صورة إيجابية عنهم .(١١)

ثالثاً: دور الهيئات الإعلامية للدول الإسلامية في الغرب:

دور المكاتب الإعلامية التابعة للدول الإسلامية في الغرب مثل: مكاتب الهيئة العامة للاستعلامات المصرية في الدول الأوروبية والولايات المتحدة، حيث تلعب دوراً مهماً في التصدي للدعايات المسيئة للإسلام والمسلمين، وتعمل على توضيح الصورة الحقيقية لتعاملات المسلمين مع غيرهم في البلدان العربية والإسلامية. وذلك من خلال الردود في مختلف وسائل الإعلام الغربية، وتنظيم

اللقاءات الإعلامية مع المسئولين ورجال الإعلام الغربيين بهدف إقامة جسور من التعاون والتفاهم، بما يحسن من مهمة تحسين الصورة السلبية للمسلمين أمام الرأي العام الغربي، كما تساعد على فهم طريقة التفكير الأوروبية في كل بلد، سواء لقادة الرأي والنخبة الأوروبية، أو أفضل الطرق لمخاطبة الشعب الأوروبي عبر وسائل الإعلام .

بعض المقترحات التي تعمل على أداء هذا الدور بنجاح :

١- تزويد المكاتب الإعلامية في الدول الغربية بتقارير مفصلة عن أهم القضايا الساخنة المثارة في العالم الإسلامي، خاصة في النواحي المتعلقة بحرية الرأي وحرية العبادة وحقوق الأقليات. وهي القضايا التي توليها الدول الغربية اهتماماً وتعد مجالاً للتشويه في الصورة الذهنية.. بحيث يتضمن التقرير الدواعي الحقيقية لإثارة القضية وتطورها، حتى يتسنى للقائمين على المكاتب الإعلامية سرعة الرد على المغالطات التي ينشرها الإعلام الغربي ثم مقابلة الصحفيين لتوضيح الحقائق المتعلقة بهذه القضايا بشكل أوسع .

٢- تنسيق الجهود مع المكاتب الإعلامية للدول العربية والإسلامية العاملة في أوروبا، ووضع إستراتيجية عامة للتعامل مع وسائل الإعلام الغربي في هذا المجال، بما يوفر الجهد والوقت ويساعد على تأدية الدور المطلوب بكفاءة.

٣- يؤكد العديد من خبراء الإعلام العرب أن القيام بعمل إعلامي فعَّال في الخارج -بصفة عامة -يتعرض لعدة معوقات منها:

أ- الخلافات السياسية والعقائدية بين الدول العربية والإسلامية، واختلاف الأولويات الإعلامية لهذه الدول، مما ينعكس على قيمة مساهمتها المالية والأدبية في دعم موازنة إعلام جماعي يتصدي للتشويه المستمر في صورة العرب والمسلمين،سواء عن طريق الجامعة العربية أو المؤسسات الأخرى..[١٢] وفي هذا الصدد نشير إلى الخبر المنشورة في جريدة الأهرام- يوم ٢٢ إبريل

٢٠٠٢ عن تجميد الخطة الإعلامية لجامعة الدول العربية، والتي وضعت لكشف حقيقة الممارسات الإسرائيلية أمام الرأي العام العالمي إلى جانب تصحيح صورة العرب والمسلمين في أوروبا والدول الغربية، وذلك بسبب العجز عن توفير مبلغ ٢٠ مليون دولار .. والمثير للانتباه في هذا الخبر الذي نشرته الأهرام، أنه أشار إلى أن الدول العربية- التي اتفق وزراء إعلامها على وضع الخطة- آثرت أن تعمل كل منها منفردة من خلال سفاراتها وقنواتها الخاصة، الأمر الذي ترتب عليه إجهاض الخطة الجماعية فور وضعها .. في حين اعتمدت إحدى لجان الكونجرس مبلغ ٢٤٥ مليون دولار لتمويل خطة إعلامية لغسل أدمغة العرب والمسلمين من خلال مشروع جديد للبث الإذاعي والتلفزيوني باللغة العربية.[١٣]

ب- القصور في فهم طبيعة الرأي العام الغربي والأوروبي، وطبيعة قيمه وقناعاته وحساسياته، وذلك أن ما يتأثر به الرأي العام الغربي (عبر وسائل الإعلام) يختلف عما يتأثر به الرأي العام العربي والإسلامي سواء في اختيار طريقة العرض أو العناوين والإخراج والتقديم .. ويُلاحظ أن الإعلاميين اليهود الذين يتعاملون مع الجمهور الغربي، ويعرفون جيداً نقاط الضعف وكيفية التأثير عليه. ولكن الإعلاميين العرب والمسلمين لا يجارونهم في المعرفة، وفي بعض الأحيان يخشون من ردود الأفعال السلبية في الأوساط السياسية والإعلامية.[١٤]

رابعاً: دور الإعلام الإسلامي الموجه للدول الغربية :

١- مراجعة ما تقدمه القنوات الفضائية وشبكات الإرسال التلفزيون والإذاعي من مواد إعلامية وإخبارية وثقافية عن العرب والمسلمين.

٢- دعم ومساندة الخطط الجماعية للدول العربية والإسلامية لمواجهة حملات تشويه صورة الإسلام والمسلمين.. مثل خطة وزراء الإعلام العرب- التي تم تجميدها، وكذلك الخطة الخليجية والتي رُصد لها ١٢ مليون دولار وأقرها وزراء الإعلام دول مجلس التعاون الخليجي أخر ديسمبر ٢٠٠١.

٣- إنشاء إدارة خاصة بالجامعة العربية تعمل على متابعة الجاليات العربية في الدول الأوروبية، مع تزويدهم بالمعلومات اللازمة عن الجهات والهيئات التي تعمل على تشويه الصورة، وتشجيعهم على الاتصال بالجهات الإعلامية والفكرية الفاعلية في المجتمع.

٤- إنشاء قناة فضائية إسلامية باللغات الأجنبية خاصة اللغة الإنجليزية، يشارك في تحديد مضمون الرسالة الإعلامية لهذه القناة متخصصون في الثقافة الإسلامية إلى جانب المتخصصين في الإعلام وفنونه .. وتخاطب الغرب باللغة التي تناسبهم.

وتعد هذه القناة ضرورة عربية إسلامية مُلحّة في الوقت الحالي، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. المهم أنها تقدم مضامين جيدة تساعد على رسم صورة ذهنية مرغوبة عن الإسلام والمسلمين في الغرب ..وأن تصحح الصورة السلبية القائمة، بشكل مشوق وجذاب يلفت انتباه المشاهد الأوروبي الذي يميل لكل ما هو منطقي وعقلاني ولكنه في نفس الوقت يبحث عن الشيء الممتع والمثير والمشوق ..أي الخدمة الإعلامية الجيدة التي تلاءم نمط تفكيره واهتماماته وثقافاته.

٥- إنتاج أفلام روائية قصيرة وتسجيلية عن المسلمين في الغرب والعالم الإسلامي ، والعمل على عرضها في المحطات التلفزيونية المختلفة في بلدان أوروبا، للتصدي لتشويه الصورة السلبية عن القضايا الإسلامية في الإعلام الغربي.

٦- الاهتمام بالإذاعات العربية الموجهة إلى الدول الأوروبية بصفة خاصة، والتي أصبحت تغطي مساحات واسعة من القارة الأوروبية باللغات الأجنبية، خاصة أن هناك جهة عربية .. اتحاد الإذاعات العربية - ترعى هذه الإذاعات وتشرف عليها، منذ تاريخ إنشاء هذا الاتحاد عام ١٩٦٩ .. بهدف تعريف الرأي العام الأوروبي بقضايا العالم العربي والإسلامي والتعريف بحضارته إلى

جانب المواجهة السريعة للإشاعات والمغالطات التي تشوه صورة العرب والمسلمين.

وفي هذا الصدد نطالب المزيد من البرامج الدينية الثقافية في الإذاعات الموجهة .. فقد كانت نسبة البرامج الدينية لا تتعدى ٧ % منذ بداية انطلاقها- في الخمسينات- حتى الستينات- ثم وصلت ٢١,٧% عام ١٩٩٦، مع أن البرامج الترفيهية وصلت إلى نسبة ٤٣ % .. ونأمل أن يكون وقت إذاعة البرامج الدينية ملائماً في الجهة التي يغطيها الإرسال .. مع العناية القصوى بالإعداد الجيد لهذه البرامج بحيث تحقق الأغراض المطلوبة.

إلى جانب تقديم المزيد من العون المادي والفني لهذه الإذاعات .. وذلك من خلال دعم هيئات بحوث الاستماع ، التي تستطيع رصد اتجاهات الإذاعات الأوروبية، المضادة، ومراقبة برامجها وتحليل أهدافها، كما يمكن أن تساعد مكاتبنا الإعلامية في الخارج بالمساهمة في ذلك (١٥)

المبحث الثالث

الربيع العربي و تغيير الصورة السلبية للإسلام

أولاً : صورة الشارع العربي والإسلامي قبل ٢٠١١:

المقصود بالشارع العربي والإسلامي، الرأي العام أو الجماهير في الدول العربية والإسلامية التي تحمل المشاعر والآراء السياسية، ولذلك أطلق على ثورات العربي "الثورات الشعبية"، وقد أثبتت هذه الثورات أن الشارع العربي له وجود بدون أدنى شك، ولكنه يبعد كل البعد عن الصورة المقيتة التي طالما رسمها وصورها الخيال الغربي ، والصورة النمطية التي صنعها المستشرقون عن الثقافة العربية والرأي العام العربي .

والآن بعد قيام هذه الثورات الشعبية العظيمة ضد الظلم والاستبداد والفساد ورفض التبعية للولايات المتحدة والغرب، ومن ثم المشروع الصهيوني في منطقة الشرق الأوسط .. فقد تم تكذيب وتفنيد الحسابات الخاطئة والأوهام القديمة التي راهنت على صمت الشارع العربي والجماهير العربية، ومن ثم غيابه عن المشهد السياسي إلى يوم القيامة .

يرى العديد من الباحثين والخبراء المتخصصين أن التصورات الغربية عن الجماهير العربية هي جزء من الصورة السلبية عن العالم العربي والإسلامي.. ويمكن القول أن ملامح هذه الصورة في الذهن الغربي تتكون من (حشود من المتعصبين دينيّاً المعادين للغرب والمتصفين بالغضب وقلة العقل وكلهم مصرون على الفوضى) وهذه " الأوهام " لها جذور عميقة من المفاهيم الغربية الخاطئة حول العالم العربي والإسلامي، كما أوضح الدكتور إدوارد سعيد في دراسته الشهيرة " الاستشراق " الصادرة عام ١٩٧٨، والتي يخلص فيها إلى أن إحدى المسلمات الأساسية غير المنطقية في فكر الاستشراق هي" أن الشرق في نهاية المطاف شيء يجب إما الخوف منه أو التحكم فيه".. وهكذا فقد استغل الحكام العرب المستبدون المنحازون للغرب والولايات المتحدة الأمريكية "الخرافات حول الشارع العربي" اعتماداً على وهم المقولة التي تقول أن الشعوب العربية هي " شعوب همجية خطرة من الصعب السيطرة عليها " وبالتالي قام الغرب بغض الطرف عن كل الممارسات القمعية والاستبدادية في حق الشعوب العربية، بما في ذلك القتل والاعتقال والتعذيب وكبت الحريات وتكميم الأفواه . [١٦]

ترجع التصورات الغربية عن الجماهير العربية " الخطيرة " إلى العصور الوسطى، وقد أشار إلى ذلك "نورمان دانييل" في كتابه المهم الصادر عام ١٩٦٠ بعنوان " الإسلام والغرب: صناعة الصورة " كما أشارت إلى ذلك دراسة حديثة صدرت عام ٢٠٠٢م للباحث "جون تولان" بعنوان " الشرقيين:

الإسلام في مخيلة الأوروبيين في العصور الوسطى" حيث تتبع المؤلف – الذي اعتمد في دراسته على كتاب دانييل السابق – الأصول الدينية التي تعود لقرون بعيدة لذلك الشعور الذي لم يتبدل كثيراً أي "الشعور بتفوق الغرب على العرب المسلمين"– كما سبق الإشارة إليه في الجزء الخاص بعوامل تكوين الصورة السلبية في الفصل الثاني– ويمكن أن نُشير هنا إلى بعض الكتابات الغربية وأدبيات الاستشراق الحديث التي تناولت "العقل العربي" بوصفه منغلقاً ومعادياً بشدة للتغيير، وقد عبر هؤلاء المؤلفين عن القلق الناشئ منذ العصور الوسطى تجاه الثقافة الإسلامية العربية، والتي تمثل من وجهة نظرهم خطراً مميتاً على الغرب، وقد غذى اليمين الصهيوني بكل وقاحة هذه التوجهات والمخاوف.. ومن أشهر الكتابات في هذا الصدد الرسومات الساخرة المشينة التي نشرها "رفاييل باتاي" في دراسته الصادرة عام ١٩٧٣ تحت عنوان "العقل العربي" وتم إعادة نشرها عدة مرات، والأسوأ من ذلك أنه قد استخدمها في تدريبات ثقافية للجيش الأمريكي، خاصة التدريبات التي ارتبطت بالحرب على العراق، كما أصدر "ديفيد برايس جونز" دراسة عام ١٩٨٩م تحت عنوان "الدائرة المغلقة: تفسير العرب" حيث أعاد إنتاج الكثير من العداء المتعالي الذي قدمه "باتاي" وقام بتشخيص كل الثقافة العربية – بدون تمييز –على أنها ثقافة مريضة، مدعياً أنها تحكم على أتباعها غير "المحظوظين" بالقهر الذاتي والاستغلال.. كما جاءت على نفس النهج القراءة الظالمة للسياسة العربية على يد "لي سميث" عام ٢٠١٠ في كتابة " الحصان القوي : القوى والسياسة وصدام الحضارات العربية " حيث قال بلا استحياء " العنف جزء من السياسة والثقافة والمجتمع عند العرب، فلن تستمر القسوة فحسب، بل إن (أتباع منهج بن لادن سوف يصبح هو السائد اجتماعيّاً وسياسيّاً في العالم العربي"!! وهناك كتاب "إرشاد منجي الطويل" الصادر عام ٢٠٠٤م ، تحت عنوان "مشاكل الإسلام اليوم: دعوة مسلمة إلى الإصلاح في دينها"، حيث تدعي في هذا الكتاب الذي ينم عن جهل شديد أن العرب لم يكن لهم دور في الحضارة الإسلامية، خاصة في العصر الذهبي لها..

وقد اتبع نفس النهج بعض الباحثين والكتاب الذي أرادوا انسلاخ العرب عن الإسلام وتفريغ الثقافية العربية من مضمونها الإسلامي من خلال الوقيعة بين المسلمين في العالم العربي وباقي مسلمي العالم، ومن أشهر من أشار إلى ذلك المعنى، "نيكولاس كريستوف" الكاتب بجريدة "نيويورك تايمز"، الذي زعم أن هناك فارقاً بين مسلمي الشرق الأوسط "حيث تكمن المشكلة والمسلمين في جنوب شرق آسيا (حيث لا توجد مشكلة).. وخلاصة القول أن هذه الكتابات السخيفة ترى "أن الإسلام نفسه ليس هو المشكلة، وإنما المشكلة هي الأجداد العرب وثقافتهم الرملية الفقيرة والكريهة !! (١٧)

ومما سبق يتضح لنا أن التصورات الغربية عن الجماهير العربية والشارع العربي، ما هي إلا أوهام اعتمدت على رفع شعارات استشراقية تنظر إلى العرب المسلمين على أنهم بفطرتهم لا يُطيقون التغيير، وأن الثقافة السياسية في العالم العربي "المسلم" تعتمد على العنف -بالفطرة دائماً- وأن العرب لديهم نقص ثقافي.

شهد عام ٢٠٠٥م بداية التغير في الشارع العربي، حيث شهدت شوارع بعض العواصم العربية مظاهر المطالبة بالتغيير (وكسر حاجز الخوف من الأنظمة القائمة) فقد شهدت القاهرة وبيروت ودمشق وتونس والرباط وغيرها من العواصم شواهد جديدة، مثل الاحتجاجات والمظاهرات والاعتصامات، التي لم يكن يتخيلها أحد، بعد أن بات اليأس والقنوط يسيطران على النفوس والعقول، بسبب تغلغل الأجهزة الأمنية في النسيج الاجتماعي وضعف الأحزاب السياسية المعارضة عن تقديم خطاب بديل يحرك الشارع، إلى جانب تقوقع الأنظمة الحاكمة على ذاتها ومحاولة قبضها على السلطة إلى الأبد- انظر محاولات التوريث في مصر وليبيا واليمن والتوريث الفعلي في الخليج والمغرب وسوريا.

ومن ثم ظهرت قوى جديدة في الشارع العربي كانت غائبة عن المشهد أو مُغيَّبة مثل المثقفين والمنظمات الحقوقية ومؤسسات المجتمع المدني الأخرى

والتجمعات الشبابية وغيرها، ورغم الانتقادات التي وجهت إلى بعض تلك الجمعيات والمنظمات في قضايا "التمويل الخارجي" والعلاقة بالغرب، فإنها كسرت ثنائية النظام والمعارضة، ولكنها أدخلت دماء جديدة إلى حركة الشارع العربي.ودفعت بقطاعات واسعة من المجتمع إلى دائرة الفعل المناهض لخط الأنظمة الحاكمة في تلك الفترة .. فقد سارعت الأنظمة العربية وأجهزتها الأمنية إلى تشويه تلك الحركات وتصويرها وكأنها معدة سلفاً في الولايات المتحدة والغرب، إلى جانب محاولة سحب البساط من تحت أقدام تلك الحركات، من خلال محاولة التبني "اللفظي فقط" لبعض مشاريع الإصلاح المبتورة، لذر الرماد في العيون من جهة، ولتقديم نفسها أمام الحليف الأمريكي والمجتمع الدولي على أنها ماضية في تطبيق الديمقراطية والإصلاح.

ومع ذلك فإن الطابع المحلي للتحركات السياسية كانت بادياً للعيان، حيث يرى الباحثون أن التحركات الشعبية في تلك الفترة في مصر على سبيل المثال والتي تصدرتها "حركة كفاية" والجمعية الوطنية للتغير، نبعت من الشعب المصري بامتياز ومن رحم معاناته من نظام الفرد الواحد والأحكام العرفية – قانون الطوارئ – المطبقة لسنوات طويلة، وأن حركة كفاية كانت مثالاً حيّاً على نزول الشباب للشارع دون رعاية خارجية أو حتى من الأحزاب التقليدية المعارضة، والتي عجزت عن تقديم معارضة حقيقية، فأضحت صورة كاريكاتورية للنظام الذي تعارضه شكلاً . (١٨)

ثانياً: ملامح تغطية الإعلام الغربي لثورات الربيع العربي:

اهتمت وسائل الإعلام الغربية بتغطية أحداث الثورات العربية منذ انطلاق شرارتها بداية من الثورة التونسية .

ويرى ماجد الخطيب الصحفي العراقي المقيم في ألمانيا أن تغطيات الإعلام الأوروبي" للربيع العربي" كانت جيدة بصفة عامة من خلال متابعة الأحداث في كل من مصر وتونس وليبيا ثم سوريا وكذلك في اليمن، وإن كانت لم ترق إلى

تغطيات الإعلام العربي- من حيث التفصيل - إلا أنها قدمت للجمهور الأوروبي الكثير مما يبحث عنه والكثير من المعلومات والتحليلات التي تجعله يكون فكرة شاملة عما يجري في تلك المنطقة المهمة من تغيرات على المستوى السياسي والاجتماعي وحتى الثقافي .. ويرجع ذلك إلى طبيعة الإعلام الأوروبي الذي يتميز بإلقاء الضوء على الأحداث التي تقع في معظم أرجاء العالم، وليس منطقة الشرق الأوسط- ذات الأحداث الساخنة فقط. [١٩]

تابع الإعلام الأوروبي الثورات العربية بالنقد والتحليل بشكل جيد، وذلك من خلال محاولة فهم الأسباب الحقيقية لها، مثل القهر والاستبداد والفساد، فقد تناول قضية الشعوب العربية المقهورة والمغلوبة على أمرها، مما أدى إلى حتمية قيام هذه الثورات وهو ما يفسر تخلي الغرب عن الكثير من حلفائه في المنطقة، كما ركزت وسائل الإعلام بشكل مكثف جداً على مستقبل الحياة السياسية في المنطقة والمخاوف الأمنية و صعود التيار الإسلامي إلى سُدة الحكم في تلك الدول التي شهدت ثورات "الربيع العربي" كما يقول ماجد الخطيب .

هناك اختلاف في التغطية للثورات العربية بين وسائل الإعلام الغربية والعربية .. فالإعلام العربي إما حكومياً أو شبه حكومي، وذلك كان حياد الغالبية العظمى من وسائل الإعلام في الدول العربية محل تساؤل كبير.. أما الإعلام الغربي- رغم وجود جهات داعمة له مثل اليمين المتطرف والدوائر الصهيونية - إلا أنه يتمتع بنوع من الحيادية ، أو يستطيع أن يطرح نفسه على أنه محايد، وذلك استناداً إلى الخبرة التي يتمتع بها، خاصة الوسائل الناطقة باللغة العربية مثل "هيئة الإذاعة البريطانية"، كما أن الإعلام الغربي يأخذ بعين الاعتبار أن جمهوره ذو تركيبة خاصة تتميز بنسبة أمية أقل ومستوى ثقافي أعلى، في حين أن الإعلام العربي لا يَولي اهتماماً كبيراً بذلك، أضف إلى ذلك نسبة الأمية المرتفعة في العالم العربي . " [٢٠]

ثالثاً : هل غيرت الثورات العربية الصورة السلبية للعرب والمسلمين ؟

يرى ماجد الخطيب أن "الربيع العربي" قد استطاع أن يَغيِّر جزئيّاً من تلك الصور النمطية، فقد أثبت أن الشعوب العربية تريد التحرر من قبضة الدكتاتوريات وأنها تريد مستقبلاً أفضل، بل أن الإعلام الأوروبي- الذي يتمتع بمهنية عالية- كان حذراً في بعض الأحيان في نقل الأحداث .. وقد استطاع أن يتخلص من بعض الأكليشيهات والصور النمطية عن العرب والمسلمين ، كما ساهم الإعلام الغربي في الكشف عن الجانب الآخر من الحقائق، كما حدث في الشأن الليبي حيث ركز الإعلام الألماني على العلاقة التي كانت تربط المخابرات الغربية بنظام القذافي وكيف تحولت هذه الأجهزة إلى آلة تعمل ضده وتحاول إسقاطه، ومن ناحية أخرى ابعد الإعلام الألماني على سبيل المثال عن نظرية المؤامرة التي انتشرت في الشارع العربي، والتي تقول إن هذه الثورات مفتعلة من قبل الغرب .. لكن نفس وسائل الإعلام ركزت على بعض الصور النمطية، من خلال تخويف الرأي العام الأوروبي من خطر الإسلاميين ووصولهم إلى السلطة في تلك الدول بعد الثورات، وهو نفس التخويف الذي استعملته الأنظمة الدكتاتورية في العالم العربي للدفاع عن نفسها وتبرير بقائها.. وبذلك فإن الصور النمطية للعربي والمسلم لم تتغير كثيراً، وهذا الأمر قد ينعكس سلباً على صورة العربي والمسلم في المستقبل.[٢١]

يرى بعض الباحثين أن الإعلام الأوروبي كان الكثير منه سيئاً في تغطية أحداث الثورة المصرية (بصفة خاصة) ، ومنه على سبيل المثال ما نشرته صحيفة "لو فيجارو" الفرنسية في بداية شهر مارس ٢٠١١، مشيرة إلى إقالة رئيس الوزراء الأسبق أحمد شفيق بأن الجيش قد تخلص منه مستخدمة تعبيرات رديئة في حين تناست دور الضغط الشعبي وإرادة الملايين التي دفعت الجيش إلى اتخاذ هذا القرار. وتساءل الباحث – وهنا يثور تساؤل عن أسباب انبهار

الشارع الأوروبي بالثورة في مصر في حين تحافظ كثير من النخب الأوروبية على مواقفها القديمة النمطية - عن الجماهير العربية، نتيجة عجزها عن فهم طبيعة هذه الثورة التي خرجت بحثاً عن الحرية، فتحدثت هذه النخب عن مخاوف وهمية مثل محاربة إسرائيل وإلغاء كامب ديفيد والخطر الإسلامي، وأهملت بصورة مُسفَّة أروع ما فيها وهو "إرادة المصريين" .(٢٢)

رغم الموقف السلبي للنخبة الأوروبية من ثورات "الربيع العربي" بصفة عامة، فإن بعض الخبراء المتخصصين في شئون الشرق الأوسط وقضايا العالم الإسلامي يرون في تلك الثورات جوانب إيجابية قد تنهي حقبة "١١سبتمبر" التي شوهت كثيراً صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي ، وعلى رأس هؤلاء الباحث الفرنسي البارز "جيل كابيل" الأستاذ بمعهد الدراسات السياسية في باريس، والذي أكد أن ثورات "الربيع العربي" تشكل نهاية لحقبة ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وبالتالي فإن المرحلة الجديدة الحالية تمثل تدشيناً لانحسار الجانب الراديكالي في الحركات الإسلامية بالمنطقة وبدء اندماجها في المجتمعات العربية وتكيفها مع الواقع الجديد، كما جاء ذلك في حواره مع جريدة لوموند الفرنسية مطلع إبريل ٢٠١١.(٢٣)

ويتفق الكاتب الصحفي الأمريكي "توماس فريدمان" مع الرأي السابق مؤكداً أن تاريخ الوفاة الحقيقي لأسامة بن لادن يعود لتاريخ اندلاع الثورات العربية مطلع عام ٢٠١١، التي أذهلت العالم بسلميتها ونبل أهدافها هي وحدها التي تستطيع اقتلاع جذور القاعدة وإزالة أسباب وجودها، وأن الصراع بعد تلك الثورات سيكون صراع أفكار ومبادئ وليس صراعاً بين العنف والسلم، أما الأكاديمي الأمريكي "جين شارب" فقد أشاد بالثوار المصريين كما وصفهم بأنهم قد برعوا في فن" القتال السياسي" مما أدى إلى نجاح الثورة في مصر، وأوضح شارب- له عدة كتابات عن كيفية استخدام الأساليب السلمية لإسقاط الأنظمة الشمولية- أن الثوار في مصر كانوا أكثر تنظيماً- مقارنة بالثوار في ليبيا.(٢٤)

أبرزت وسائل الإعلام الأوروبية (الموقف الإيجابي) لبعض السياسيين الغربيين من الثورة واعترافهم بوجود تصورات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين (قبل قيام ثورات الربيع العربي) في الذهن الأوروبي، إلى جانب وسائل الإعلام، فقد صرح "وليم هيج" وزير الخارجية البريطانية- آنذاك - في شهر مايو ٢٠١١، أن التعبير الحقيقي عن مطالب الشعوب الإسلامية كان في ميدان التحرير بالقاهرة، وليس في نيويورك عام ٢٠٠١ مؤكداً أن تأثير الربيع العربي أكبر من تأثير هجمات ١١سبتمبر والأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨، وأن الثورات هي الأهم على الإطلاق خلال القرن الحالي، نظراً لأهميتها القصوى في المساعدة على تقدم حقوق الإنسان والحريات في المنطقة.[٢٥]

كما اعترف آلان جوبيه وزير الخارجية الفرنسي السابق بأن أوروبا والغرب بصفة عامة - قد سمحت للأنظمة العربية طيلة عقود من الزمان بتسميم أفكارها حول الإسلام وربطه بالإرهاب، بحجة أن هذه الأنظمة والحكومات كانت خط الدفاع الأخير ضد التطرف والإرهاب، وطالب وزير الخارجية الفرنسي خلال زيارته لمصر في شهر إبريل ٢٠١١، أن تغير فرنسا وأوربا ومن تصوراتها ومفاهيمها المغلوطة عن الإسلام، وأن تكون هناك سياسة جديدة بخصوص الإسلام والمسلمين بصفة عامة في أوربا، لأن الإسلام ليس "بعبع" يخيف الغرب!! .[٢٦]

فيما يخص تغطية أحداث "الفتنة الطائفية" المفتعلة في مصر بعد الثورة والتي بالغ فيها الإعلام الغربي كثيراً رغم كونها أحداثاً فردية وليست ظاهرة عامة، فقد انتقد بعض الباحثين استمرار ذلك التضليل الإعلامي بعد الثورة مثل عالم الاجتماع الهولندي المعروف "كورنيليس هولزمان"الذي استنكر في تصريحات تناقلتها وسائل الإعلام الألمانية شهر يونيو ٢٠١١- موقف وسائل الإعلام الغربية من التغطية الإعلامية المنحازة وغير الدقيقة لأوضاع الأقباط في مصر وعلاقتهم بالمسلمين فيها، مؤكداً أن هذه التغطية غير المحايدة خطيرة للغاية

لأنها تتسبب في تعبئة مشاعر سلبية ضد الإسلام والمسلمين، وأن هناك بين المسلمين والأقباط معاً من يقوم بأعمال متطرفة ثم يقومون بتوجيه الاتهام جزافاً وبلا تمييز للطرف الآخر. كما أوضح هولزمان أن وضع الأقباط في مصر أفضل بكثير مما تناولته وسائل الإعلام الغربية وأنها تحسنت كثيراً مع بداية الثورة، حيث لم تقع أية اعتداءات على الكنائس رغم غياب الشرطة التام.[٢٧]

***

هوامش الفصل الرابع

١) صلاح سالم: "الخطاب العربي وإنسانية القضية الفلسطينية"، الأهرام، ٢٠٠٢/٠٥/٠٦.

٢) عبد الله مرسي العقالي: "الصورة الذهبية للعرب في أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر"، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لأكاديمية أخبار اليوم، ٢٠٠٢

٣) مصدر سابق.

٤) بول فيندلي: كفى صمتاً، (القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، ٢٠٠١).

٥) "قمة إسلامية مسيحية للسلام في روما"، جريدة الجرائد العالمية ٢٠٠١/١٠/٢٣، نقلا عن جريدة "مساجيرو" الإيطالية.

٦) عبد الله مرسي: مصدر سابق.

٧) المصدر السابق.

٨) جريدة عكاظ السعودية، ٢٠٠٢/٠٦/٢١، ص١٢.

٩) كاي هانز وآخرون: الإسلام والغرب.. بداية للحوار (فرانكفورت: دار فيشر، ١٩٩٩).

١٠) جريدة العالم الإسلامي، مكة المكرمة،١٣ نوفمبر ١٩٩٥، ص ٨.

١١) جريدة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ٢٠ مارس ١٩٩٥.

١٢) عبد الله مرسي العقالي: مصدر سابق.

١٣) فهمي هويدي: "حرب باردة جديدة"، جريدة الأهرام المصرية،٢٠٠٢/٠٥/٠٧، ص ١١.

١٤) عبد الله مرسي: المصدر السابق.

١٥) حسني عبد الحافظ: "الإذاعات الموجهة بعد نصف قرن على انطلاقها.. ماذا حققت" مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، العدد ٣٩٤، سبتمبر، أكتوبر ١٩٩٨.

١٦) حسين أبيش: " في ظل أكاذيب الغرب"، صحيفة ميدان مصر، القاهرة، فبراير ٢٠١٢، ص٦ ، ٧.

١٧) المصدر السابق.

١٨) أحمد حسو: "الإصلاح والديمقراطية في العالم العربي"، مجلة "فكر وفن" الألمانية باللغة العربية، العدد ٨١، يونيو ٢٠٠٥.

١٩) موقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامي ar.qantara. de (الثورات العربية في الصحافة الألمانية.. سقوط صور نمطية وتكريس أخرى)، ٢٠١١/٠٩/١٦.

٢٠) المصدر السابق.

٢١) المصدر السابق.

٢٢) عمرو الشوبكي: "الثورة المصرية في عيون العالم" ، جريدة المصري اليوم القاهرية ،٢٠١١/٠٣/٠٦، ص٧.

٢٣) جريدة الشروق المصرية: "باحث فرنسي: الثورات العربية تنهي حقبة ١١سبتمبر"، ٢٠١١/٠٤/٠٧، ص٨.

٢٤) صحيفة الأهرام القاهرية: "باحث أمريكي: المصريون برعوا في "فن القتال السياسي فنجحت ثورتهم"، ١٤ أبريل ٢٠١١، ص٨.

٢٥) جريدة الأهرام القاهرية: "هيج: ميدان التحرير كان التعبير الحقيقي عن مطالب المسلمين"، ٦مايو ٢٠١١، ص١.

٢٦) جريدة الأهرام المصرية: "آلان جوبيه: الحكومات العربية سممت أفكارنا عن الإسلام"،١٤/٠٤/٢٠١١، صـ٢٠، ملحق الجمعة.

٢٧) جريدة الأهرام المصرية: "عالم الاجتماع الهولندي هولزمان: العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر أفضل كثيرا مما تتناوله وسائل الإعلام الغربية"، ١ يوليو ٢٠١١، ص ٨

***

محتوى الكتاب

الفصل الثاني : عوامل تكوين الصورة السلبية في الإعلام الغربي

المبحث الأول : العوامل التاريخية

المبحث الثاني : الأدبيات الغربية

المبحث الثالث : واقع المسلمين المعاصر

الفصل الرابع : وسائل مواجهة الحرب الإعلامية

المبحث الأول : أساليب تصحيح الصورة السلبية

المبحث الثاني : وسائل مواجهة الصورة السلبية

المبحث الثالث : الربيع العربي وتغيير الصورة السلبية للإسلام والمسلمين